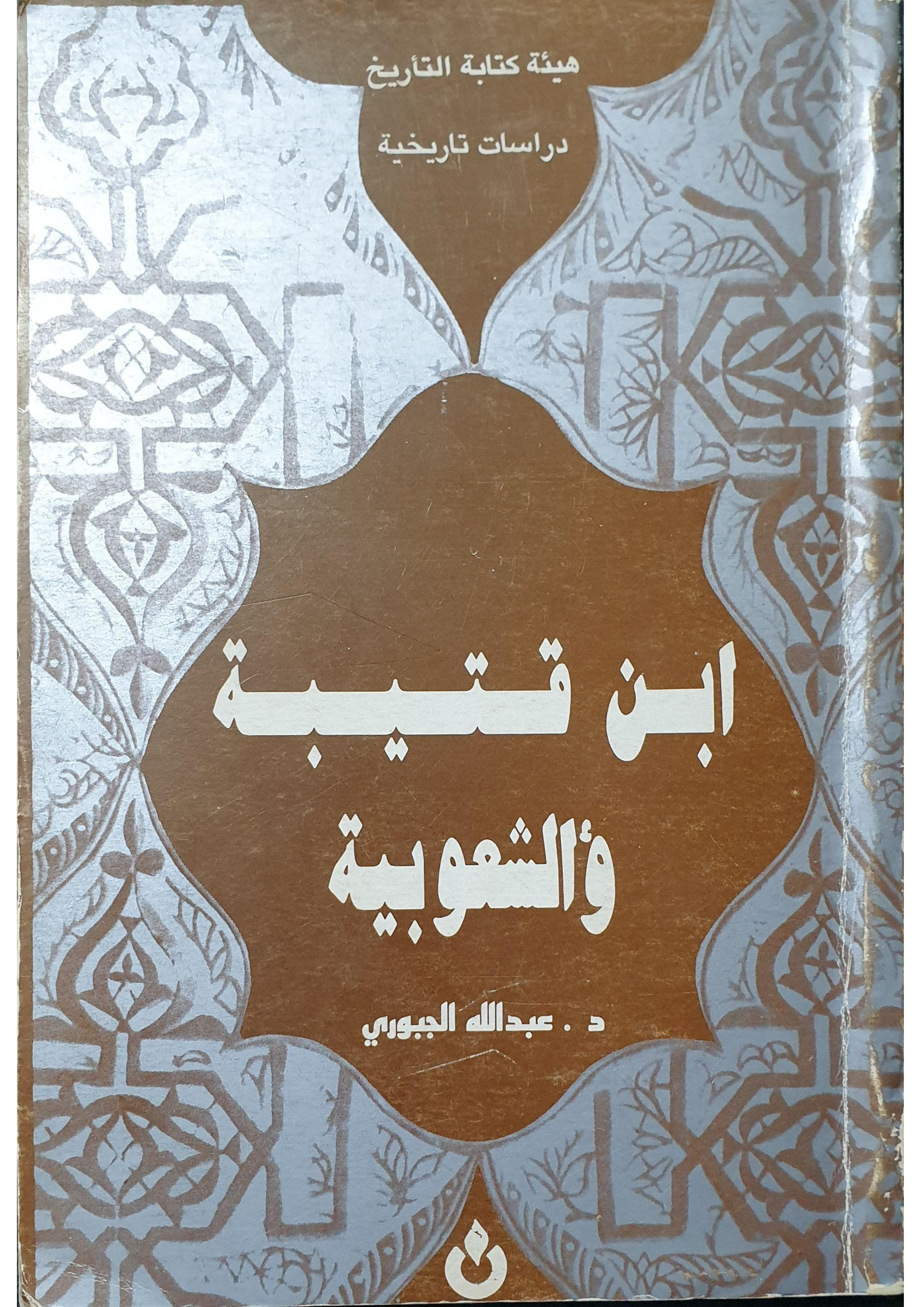

هيئة كتابة التأريخ
دراسات تاريخية
ابن قتيبة
والشعوبية
د . عبدالله الجبوري

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 19 / شوال / 1443 هـ
فـــي 20 / 05 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائـــي

م. سرمد حاتم شكر

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٩٠



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

حقوق الطبع محفوظة

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

٣٠/رمضان/١٤١٠
٢٥/نيسان/١٩٩٠



هيئة كتابة التاريخ

سلسلة دراسات تاريخية

ابن قتيبة والشعوبية

د . عبدالله الجبوري

الطبعة الاولى ١٩٩٠

إلىٰ ،

أحفاد الفاتحين . .

أبطال القادسيّة ، صنّاع يوم الأيام ، وفرسان المجد . .

قائداً وجنداً .

إليكم . . يامن مزّقتم ليل الشعوبية الجديدة . .

هذا الكتــاب . .

المؤلــف

التمهيـــد

هذا هو ابن قتيبة ..

عزيزي القارىء الواعي . .

هذا هو ابن قتيبة ،

عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، كوفي المولـد ، بصريّ الثقـافة ، بغـدادي الإقـامـة والمثـوىٰ ، عـربي الهـوى ، و (من أجلهم عـادى وعُودِي) . . نتاجُـه قَبَسٌ من أشعة لغـة السماء ، فتغلغـل حبُّها في شغاف جنانه ، وقطّع أيامه مناضلاً عن حماها ، يذود عن شرفها ، ويردُّ سهام الضّلالة عن كنانتهـا ، « وينضح عن كتـاب الله ، ويرمي من ورائه بالحجج النيرة » .

ولايذكر شيء من أخبار العرب ، أو يدار قول في تـأريخهم ، ولايخضل نديّ بنفحات مواجد شعرائهم ، ولايتقلب طالب علم في نعيم العصمة اللغوية ، أو يتبتل عابد في محاريب الذِكـر ، إلاّ وكان ابن قتيبة من شهوده وجلسائه .

فهل سمعت به ، أو تناهىٰ إليك نتٌ من أخبـاره وذكْره ؟ . . لعلك قد تعرَّفْت اليه ، وزهوت بتلك المعرفة ، فضممت أثراً من نتاجه إلى قماطر خزانة كتبك . .

وإن غاب عنك خبـره ، ألا ترىٰ معـارك الأمة اليـوم ، وهي تخوض غمار حروب وحروب ، وإنك مؤمن معي ، أن أخطر هـذه الحروب « حرب العقيـدة » أو مايـطلق عليه الآن اسم : « الصـراع

الحضاري » . . والعقيدة هي القاعدة والأساس لبناء الحضارة . . ومعارك الصراع الحضاري . . يترامىٰ خطرُها الىٰ كل مجالات الحضارة . . ومنها : التأريخ ، واللغة . .

فالتاريخ ، هو الأصل الأصيل لبناء الأمة ، بل هو نبع دائم لحياتها ، وتفصيل ذلك عند أهل التاريخ . .

أمّا اللغة ، وماأدراك مااللغة ، فهي وعاء التراث العلمي للأمة . . وهي عنوان وجودها ، ومنار شرفها ، . .

اذن ، فالتاريخ واللغة من أعظم دعائم الوجود القومي للأمة . . ومن أجل هذه (الأهميّة) لهما ، يسدد أعداؤهما سهام سخائمهم نحوهما . . أمثال : التشكيك بنواصع الأخبار من الصحائف المشرقة في تاريخنا الكبير ، ومحاولة إظهار الجوانب المعتمة من بعض آفاقه ، لإثارة النفرة منه .

وكذلك ، يفيض هؤلاء الخصوم ، من آسن أحقادهم علىٰ / اللغة ، لأنهم يعلمون ـ كما قلت لك ـ أنها وجود ، وأنها تاريخ ، وأنها حياة . .

فهل أتاك خبر / الهجمة اللئيمة علىٰ حماها ، والتي قادها (دعاة العاميّة) . . وهجمات أخر . . وهجمات من هنا ، نهض ابن قتيبة الى تدوين تاريخ العرب ، وتقييد جلائل ماأفرز من أحداث ، فكتب في حضارة العرب وأخبار أنبيائهم ، وملوكهم ، وحكمائهم . . كما تجده مفصّلاً عنده في « المعارف » ، وعضد هذا الجهد الفكري الجليل بـ « عيون الأخبار » ليجمع بين الطرافة والحكمة ، وبين الجد والهزل ،

وبين الأضداد والنظائر من مطالب الطبائع البشرية ، ليرّوح بذلك « عن القارىء من كد الجسدّ واتعاب الحق » . . إذ جعلك تطوف معه في رياض المعرفة التي وقعت عند المثقفين في أيامه ، فذلل لك قطوفها تذليلاً ، من / أخبار السلطان ، وأنباء الحرب ومايتصل بها من فنون ، وذكر عدّتها وشرح أسبابها ، إلى منابت السؤدد وهو معرفة الهمم السامية والخطار بالنفس لطلب المعالي ، واختلاف الارادات والأماني . . ولاتهذب أسباب هذا المطلب الاّ بمعرفة الطبائع والأخلاق ، أي : إلاّ بدرس (علم النفس وأصول التربية) كما فهمها الأجداد . . وأنت تدري مكانهما في بناء الحضارة . . ومن أصول التربية ـ تأمل ـ ينقلك الىٰ آفاق العلم . . فيدلُّك علىٰ أخبار العلماء والعلم ، والمتعلمين . . ويرشدك فيه الىٰ طرائق جنيه ، وقدّم لك ثروة من ألوانه . .

ثم أراد أن تترفع النفوس عن صلصال الغرور ، وأن تتمرد علىٰ قيود الكبر والصلف . . فأطلعك علىٰ مناجاة الزهّاد . . وأوقفك علىٰ لهيب أنّاتهم ، يرسلونها نجوىٰ تعبّد وغفران في ناشئة الليل وجوفه . .

وإذا فرغ من هذا اللون وذاك الضرب من المعارف ، أطلّ عليك بحديث الأطيبين (الطعام والنكاح) في إضمامة عطرة يضوع منها أرج حوّاء ، وتلقف من خيوطها آداب (مائدتك) . .

وكان من قبل قد جاء بألوان جد طريفة في معرفة الحياة الاجتماعية للعرب ، فكتب / الميسر والقداح ، وعززّه بمعرفة الأنواء . .

أمّا الشعر ، الذي هو ديوان العرب ، حفظ مآثرهم وآثارهم

وعصم تأريخهم من الضياع .. ولولا خلالٌ سنَّها الشعر لانـطوت ، ... فقد خصّه بتأليف كبير ، وزّع جهده فيه على لونين ، الأول : تاريخ الشعراء ، والثاني : عالج فيه معاني الشعر .. ثم سجّل أصولاً فيهما لقواعد النقد الأدبي عند العرب ، كـل ذلك ، كتبـه وفق منهج بحث علمي رائع بارع ..

ولاتقصر عجبك على براعة (ديكارت) في (منهج البحث) .. تذكر .. وتذكر دائماً (مناهـج البحث عند مفكـري الاسلام) تجد عنـدهم مالاتجـده عند غيـرهم من (علميـة) و (أصـول) . أراك تعبت ، أو هكذا يخيّل إليّ .. وهذا ظنّي .. وبعض الظن إثم .. فإن لم تكن هكذا .. فهاك خبر كتابي هذا .. وقد كتب عن / القتبي غير واحد من الباحثين .. ولعلك تطيق معي صبراً ..

بعد أن أنعم الله ـ سبحانه ـ على البشرية بالإسلام ، تهـددت (مصـالح) وثلت عـروش ، وزال جبـروت دول ودول . والمغلوب يحاول اصطياد السوانح للانقضاض على غالبه ، حقاً كان أم باطلاً .. فتنـادى أو شاب منكـرون من فئام « المفسـدين في الأرض » وجمعـوا كلمتهم وأعدوا أسباب (هجمتهم) للنيل من هذا الدين الجديد .. والعمل على إزالة الوجود القومي للعرب ، وإنْ تسأل ، لماذا العرب ، أقل لك : لأنهم حملوا راية القرآن ، وعَدَت خيولُهم بهـا إلى أقاصي البقاع من الأرض ..

فاتّخذ هؤلاء الأوشاب ، ولاتنسى أنهم أحفاد (مزدك وطلاب زرادشت) سرباً في (بنية العقيدة) وتاريخ جندها ، فعملوا على تشويه

جوهرها ، أملاً بالقضاء عليها ، فكان لهم أنصار وأعداء . . ونسيت أن أذكرهم لك ، باسمهم الذي تعرفه . . / أنهم الشعوبيون . .

فمن أعدائها ، بل كان من ألدّ خصومها ، هذا العالم الأديب . . ابن قتيبة . . حيث كتب لأول مرة في تاريخنا ـ منذ عصره ومن أيامه ـ كتاباً فريداً في بابه عزيزاً بين نظائره . . أودعه ردّ مطاعن الشعوبية علىٰ العرب ، وبيّن في مطاويه فضل العرب ، وأوضح للناس شيئاً من علومهم ، ومنه : الشعر . . وتذكر أنه ديوان العرب . .

من هنا كانت بداية الفكرة ، (وبداية الفكرة نهاية العمل) . . حيث قامت في قطرنا المجاهد ، (لجنة لإعادة كتابة التاريخ) تنفيذاً لسياسة الدولة في إعادة كتابة التاريخ العربي ، وذلك من (منطلقات) قائد الثورة الرئيس القائد المنصور بالله صدّام حسين . الذي نادىٰ بضرورة إعادة كتابة التاريخ . .

فندبتني هذه اللجنة الموقّرة الى تدوين أخبار هذا الأديب العالم .

بقي لك عليّ حق ، كما بقي عندي لك أمر . . وهذا الحق وذاك الأمر ، إنك تريد معرفة لمنهجي في إعداد هذا الكتاب .

فأقول لك ـ واستمحيك العذر ـ جعلت كتاب « ابن قتيبة والشعوبية » . . وهكذا يجب ان يكون اسمه ويلصق به عنوانه . . في خمسة فصول طوال ، وزّعت فيها كل ما أملك من قول في أخباره علىٰ أبوابها . . وهي :

الفصل الأول :

ابن قتيبة ، نشأته ، وحياته العامة ، وذكرت فيه اسمه ، وأسرته

ونسبه ، وثقافته ، وطلابه ، وعقيدته ، وتحامل العلماء عليه .

الفصل الثاني :

عرضت فيه للحياة الثقافية العامة في عصره ، وهو عصر طمَّ بالخطوب والفتن ، وكان للثقافة شأنها ، . . لأجل هذا ، درست النشاط العلمي لابن قتيبة من خلال دراسة التيارات الفكرية التي عاش في أهوالها . . نعم أهوالها .

الفصل الثالث :

وفيه عكفت على دراسة مؤلفات ابن قتيبة ، وعرّفْت بها كتاباً كتاباً ، من المخطوطات والمفقودات والمطبوعات .

أما الفصل الرابع :

فقد خصصته للدراسات اللغوية عند ابن قتيبة، وهي أطيب ماجنته (المكتبة العربية) من ثمار عبقريته . . ومن هذه الدراسات : القراءات ، غريب لغة الحديث ، المدرسة البغدادية (في النحو) ، والتصحيح اللغوي .

واختتمت الكتاب بالفصل الخامس ، الذي قدّمت فيه صراع ابن قتيبة للشعوبية ، وألحقت به مابقي (ميسوراً بين أيدينا الآن) من كتابه « فضل العرب والتنبيه على علومها » ، وأخذت هذا اللحق عن المرحوم الأستاذ محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م) في كتابه « رسائل البلغاء » ليكون عملي هذا تام الخطوات متكامل الجوانب في رسم صورة للصراع بين الشعوبية والعرب ، فضلاً عن تقديم أنموذج في الترسل الأدبي لأحد أدبائنا المجاهدين في سبيل الايمان والأمة والحق .

وأخيراً أعيد[1] ماقاله ابن قتيبة في خاتمة مقدمة كتاب الأنواء :

« وماأبرأ اليك بعد من العثرة والزلّة وماastغني منك - إن وقفت على شيء - عن التنبيه والدلالة ، ولاأستنكف من الرجوع الى الصواب عن الغلط ، فان هذا الفن لطيف خفي ، وابن آدم الى العجز والضعف والعجلة (وفوق كل ذي علم عليم) .

ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإيّاك بالعلم ، ويعرفنا قدره ، ويجعل شغلنا بالعمل المقرّب منه ، ويؤتينا بفضله أفضل ماآتاه من أمّله بخير نيّة وأرشد هدىً ، إنه الواسع الكريم .

٢٥ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ
٨ آب ١٩٨٨ م

الدكتور عبدالله الجبوري
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب
بغــداد

---

١ - الأستاذ صقر / مقدمة المشكل ص ٨٧ والأنواء ٨ .

الفصل الأول

ابن قتيبة
نشأته ، وحياته العامة



- ١ -

عبدالله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم[١] ، أبو محمد ، المروزي ، الدّينوري ، الكوفي .

قيل : إنه من أهل مرو (مرو العظمىٰ[٢] / مرو الشاهجـان) وإليها نسبته (المروزي)[٣] . . والدّينوري : هذه النسبة الى مدينة[٤] (الدّينور) من مدن الجَبل قرب (قرميسين) .

وقد لحقته هذه النسبة من جرّاء تولّيه القضاء فيها ، فنسب اليها وهو ليس من أهلها[٥] .

إلّا إن [٦] ابن السمعـاني انفرد بـرواية تقـول : إنـه من أهـل الدِّينَوَر .

ولادتـــه :

ولد ابن قتيبة في الكوفة ، في سنة[٧] ثلاث عشرة ومائتين للهجرة المباركة . وذلك في مستهل شهر[٨] رجب الأصم .

وقيل : ولد ببغداد ، واليه مال بعض من ترجم له[٩] .

وأنا أميل الى القول الأول ، ولي مايؤيّد ماأذهب اليـه ، فمن ذلك :

١ ـ ان كل من ترجم له ذكر : أنه سكن بغداد ، وروىٰ فيها كتبه الى أن توفىٰ .

٢ ـ وهناك نص ذكره ناسخ كتابه « المعارف » في نسخة مخـطوطة

كتبت في سنة ٧١٠ هـ في شعبان ، ويحتفظ بها (المتحف البريطاني OR ١٤٩١) يقول الناسخ ، ان سنة ٢٦٦ هـ كانت سنة وصول ابن قتيبة الى بغداد .

وان الأمير العباسي الموفّق (طلحة بن جعفر ت ـ ٢٧٨ هـ) أشخصه اليها ، حيث قرأ عليه كتابه « المعارف » فأجازه عليه بعشرة آلاف دينار وأقامه بها إلى أن توفىٰ .

وهذا النص لم يرد في أيّ مصدر[١٠] آخر ، وربما يكون مورده من أثر مفقود أو مخطوط . .

وهذا يفسر صمت المظان التاريخية ، التي لم تعرض لأسرته أو نسبه .

وربما يكون والده قد سكن الكوفة ، فولد له ابنه عبدالله (ابن قتيبة) . .

وقالوا : إن أصله خراساني ، وقد صرَّح ابن قتيبة بنسبه بقوله : « وسأقول في الشرف بأعدل القول وأبين أسبابه ، ولاأبخس أحداً حقه ولاأتجاوز به حدَّه ، فلا يمنعني نسبي في العجم أن أدفعها عما تدعيه لها جهلتها / العرب ، ٣٥٦ » .

ولابدّ لي من وقفة تأمل لإعطاء هذا القول حقه من العناية على سنن البحوث النقدية . . وذلك لأهميته ولجلاء صورته عند الدارسين ، أملاً في الوصول الى قول يقرب من الحق والحقيقة . .

فأقول :

إن ابن قتيبة قد هاجم الفرس هجوماً عنيفاً ، حتىٰ قال

أبو الريحان البيروني (ت ـ ٤٤٠ هـ) في تعقيبه على ذكر كتابه « فضل العرب والتنبيه على علومها » ، ماهذا نسخته « وكلامه في هذا الكتاب يدل على احن وتراث بينه وبين الفرس » .

أمّا تصريح ابن قتيبة بنسبته الى (العجم) ، فهذا له وجه من التفسير التاريخي ، وذلك أن ابن قتيبة كـان يطلق لفظ (العجم) ، ويريد به / الأعاجم أي أوشاب الأقوام من غير العرب . .

وإليك الدليل :

ذكر في (المشكل / ١٥٩) أن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب ، وذلك بعد أن ذكر الروم والسريان ، تعقيباً على مسألة القول بترجمة القرآن .

ثم ذكر في باب[١١] (لحن اللاحنين من القراء) : العجم بقوله : « ثم خالف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم / ليس لهم طبع اللغة ، ولاعلم التكلف . . » . . وذكر منهم حمزة الزيات وغيره من أبناء الموالي .

ويشير في رواياته الأخبارية والتاريخية في[١٢] « عيون الأخبـار » و « المعارف » الى هذا اللون . . كقوله : قرأت في كتاب العجم . . . ، أو رأيت في أخبـار العجم . . وهكـذا ، وهـو يـريـد بـذلـك كتب (الفرس) وغيرهم من الأعاجم .

أمـا تصريحـه بالفـرسيّـة ، فممـا نجـده عنـد ذكـره لشيء من المعـرّبات[١٣] ، فـإنه كـان يصرح بقـوله : بـالفارسيـة يعني كذا . . وهكذا . . أو لذكره أحداً من ملوكهم . .

وإنك لتجد نَفَساً من « الروح العربي » في كل ماكتب ، فتراه يُنبّه على أصول أنساب من يذكرهم في مؤلفاته . . فإنه ذكر[١٤] (الخريمي الشاعر ، بقوله / من العجم) ويصرّح بزندقة أبي العتاهية (قبل توبته) . . ومن هذا اللون أيضاً ، تصريحه (بفرسية) طاهر[١٥] بن الحسين ، الخزاعي ولاء (ت ـ ٢٠٧ هـ) صاحب المملكة (الامارة الطاهرية في خراسان ٢٠٥ ـ ٢٥٩ هـ) وقاتل[١٦] الأمين الخليفة العربي (أمّا . .) . .

قال : « وطاهر بن الحسين ، مولى خزاعة » . . على الرغم من صلته بحفيده[١٧] (محمد بن عبدالله بن طاهر) أمير خراسان . أمّا سبب هذه الصلة ، واحتماء شيخه ابن راهويه الحنظلي بهذه الإمارة (الأعجمية) ، فانه يعود الى حماية طاهر لبعض رجال (أهل الحديث) الذين وجدوا فيه ركناً آمناً من السلطان العباسي الذي اضطهدهم . . ثم ان أفراد هذه الأسرة كانوا يميلون الى حب العلم والأدب . . فقرّبوا اليهم الأدباء والشعراء . .

أليس هذا يكفي للدلالة على أن لفظ (العجم) يعني عنده الأعاجم ، وهو شيء و (الفرس) شيء آخر .

هذه واحـدة :

والأخرىٰ ، قالوا : إنه من[١٨] (خراسان) . .

فخراسان ، إقليم واسع كبير ، كان يضم من المدن : نيسابور ، وهراة ، ومرو ، وبلخ ، وطالقان ، وأبيورد ، ونسا (فسا) . . وهي مايطلق عليه مصطلح[١٩] « آسيا الوسطىٰ » . .

أمّا الأقوام التي عمرته ، فهي أمشاج من : الترك ، والأكراد ، والعرب ، والهياطلة (أحفاد[٢٠] / هيطل بن عالم بن سام بن نوح) وقليل من الفرس .

فمن أيّ الأقوام كان ابن قتيبة . . ؟ ومن تمام تكامل المنهج النقدي في البحث ، أن أشير إلى حقيقة أخرى ، وهي دراسة سلسلة أسماء أجداده ، وهذا الأمر يقف حجة في الدرس التاريخي والاجتماعي في البحث عن أصول الأقوام وتبيان معتقداتهم ، لأنه يفسّر كثيراً من الجوانب التي تنبهم على الباحثين . .

وتأسيساً على هذا المنهج ، أقول : إن أسماء أجداده (. . . مسلم بن قتيبة بن مسلم . .) لايعطي دليلاً على (فرسيته) . . أبداً ، إذ أن الأسماء الفارسية لها (لونها ونكهتها) وبها تميز من بين الأسماء . .

هذا اذا علمنا أن / قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي (ت ـ ٩٦ هـ)[٢١] كان أحد ولاة الأمويين في هذا الإقليم ، وكان وليها في زمن / الوليد بن عبدالملك .

ثم رأينا كثيراً من الأسماء في أبناء (خراسان) تأخذ هذا الاسم : (قتيبة) . . وتزداد كثرة في اسم (مسلم)[٢٢] . . وكل هؤلاء ليسوا من (الفرس) . . ومنهم عرب وموالي . .

ومن الثابت أن الأسماء يطلقها الآباء على أبنائهم ، تيمناً أو اعتزازاً باسم ذوي الجاه والسراة الذين تظهر شهرتهم في أيام مواليد الأبناء . . أو أنها تنزع من أصول قوميّة أو عصبية (لدين أو قومية)

وهذا مانجده في الأسماء الفارسية .

أليس هــذا وحــده مــايقــطع ببعــد نسب ابن قتيبــة عــن (الفرس)[٢٣] ؟

ثم إننا لم نجد أديباً (فارسي الأصل) أحب العرب والعربية كما أحبّهما ابن قتيبة ، وأخلص لهما إخلاصاً عجيباً ، يعز نظيره عند غيره من علماء (الموالي)[٢٤] .

وعلى ماقدّمت من أدلة ، أقطع بنسب القتبي ، وأقول : إنه من أبناء الترك أو الأكراد . . ومايدرينا أنه كان من أحفاد العرب الفاتحين الذين عمروا تلك الأصقاع بعد أن استوطنوها بعد الفتح . .

وقد وجدت شيخنا العالم الفاضل عبدالكريم[٢٥] محمد المدرّس يترجم لابن قتيبة في كتاب له خصّه بذكر (علماء الأكراد) الذين خدموا الدين والعلم . .

وربما كان مورده في هذا ، قول أبي الريحان البيروني[٢٦] : « غير خالٍ من الأخلاق الجبليّة » ثم ذكره في موضع آخر بعنوان : « الجبلي » ويطلق على (الأكراد) / أبناء الجبل ، كما هو معروف متوارث عند الناس . .

وكان من قبله المرحوم الأستاذ محمد أمين زكي (ت ـ ١٩٤٨ م) قد ترجم له ضمن[٢٧] (مشاهير الكرد وكردستان) . . وكان مصدره نسب[٢٨] (الدينوري) الذي لحق ابن قتيبة عند توليه قضاءها ، وهو ليس من أهلها . . كما صرّح بعض الذين ترجموا له من المتقدمين . .

ولعل ماقدمت من مراجعات حول نسبه ، يكون فيه شيء من تفسير أسباب ثناء ابن قتيبة على أهل خراسان ، وإنني أرجح سبب هذا

الثناء منه بما هذا تبيانه :

إن أهل خراسان كانوا[٢٩] « أهل الدعوة وأنصار الدولة » كما قال ابن قتيبة .

وفي هذا وجه من الحقيقة التأريخية ، إذ أن / محمد[٣٠] بن علي بن عبدالله بن عباس (أبوجعفر المنصور صاحب الدعوة العباسية) قال لقحطبة بن شبيب حينما وجه (الدعاة) الى الأمصار لنصرة دعوته : « عليكم بأهل خراسان ، فإن هناك العـدد الكثير والجلد الـظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغـة لم تتقسمها الأهـواء ولم تتوزعهـا النحل ولم يقدم عليها فساد » . ثم خرج منها أبو مسلم (الخراساني) ، وبهم تمّت الغلبة للعباسيين على الأمويين .

إذن ، ذكر ابن قتيبة لأهل خراسان بهذه الصفات « أهل الدعوة وأنصار الدولة » كان ميلاً سياسياً منه للدولـة العباسيـة ، وهو سبب سياسي ، يقرّب صاحبه من رضا السلطان عليه . . وربما كان مداراة منه يتقي بها مكايد أعدائه من الشعـوبيين وغيـرهـم ممن نال منهم في حملاته النقدية والكلامية .

ثم عرض ابن قتيبة لحروب (الهياطلة) ضد ملوك الفرس . . ولما أتىٰ الإسلام دخلوا فيه طوعاً ورغبة ، إذ[٣١] « كانوا أحسن الأمم رغبـة وأشدهم اليـه مسارعـة ودخلوا فيـه سلماً ، ولم تسفـك فيهم دماء » .

فهل دخل (الفرس) هكذا ، ورغبـوا في الاسلام مثـل رغبة هؤلاء ؟

أمّا اشارته اليهم بأنهم[٣١] « لم يزالوا في أكثر ملك العجم لَقَاحاً ، لايؤدون الى أحد إتاوة ولاخَراجاً » فهو تأييد لما ذهبت اليه أن المراد بقوله « العجم » هم / الأعاجم . . وليس الفرس . . وهذا كله يدفع رأي أحد[٣٢] الباحثين ، الذي ذهب يتخبط فيه حول هذا الأمر . وتعسف في فهم كلام ابن قتيبة في (أهل الدعوة) ، حيث قال : « وأوضح مثال للتعسف في التفسير ماورد في كتاب العرب إثر رواية الحديث » ولو كان الايمان منوطاً بالثريا لناله رجال من فارس » . . فقد حاول أن يثبت أن المقصود بفارس خراسان ، وأكد أن الفرس لم يفرقوا بين البلدين » .

وأخذ هذا وغيره من قول ابن قتيبة : « ثم يتلو العرب في شرف الطرفين أهل خراسان . . . » .

فشرف[٣٣] الطرفين ، يريد به أمرين ، أولاهما : الطباع التي هي أسباب علو الهمة التي تدفع الى تطلب معالي الأمور وترغب بأهلها عن (الشائنات) وهذا هو الشرف الأول . . وثانيهما : شرف المحتد والنجار . . وأهل خراسان (هكذا عنده) فهل يتفق عاقلان على وجود هذه المزايا عند (أحفاد مزدك وزرادشت) ؟

وهو يؤمن بالحديث الشريف[٣٤] : « الأئمة من قريش » ، وأن الله ـ سبحانه ـ فضّل العرب على من سواهم بالنبي محمد (ﷺ) وأنزل كلامه الكريم بلغتهم ، وإنهم جند الله والفتح .

ثم لاننسىٰ أن جمهرة من أهل العلم خرجت من (خراسان) ومنهم[٣٥] : البخاري محمد بن إسماعيل (الجعفي) ومسلم (القشيري) والترمذي ، وابن راهويه (الحنظلي الغطفاني) وأحمد بن

حنبل (الشيباني) . . فكيف لايتحمدها ابن قتيبة . . ؟

* * * *

نشأ ابن قتيبة في بلد الفقه والقراءات واللغة والأدب والتفسير (الكوفة) ، ودرج في ملاعب صباه مع لدانه وأقرانه وهو يختلف الى معاهد العلم يغذ الخُطَى الى التزوّد من مَناهل شيوخها وأعلامها . .

ويقيناً أنه شبَّ في ظلال سمائها وعلى أديم غبرائها ، واكتهل في البصرة . . بعد نوبته اليها .

حيث شدَّ الرحلة في طلب العلم اليها وكانت مثابة أهل الفلسفة والمتكلمين ، وفيها جمهور من طلاب مدرسة الأصمعي ، شيخ الرواية والأدب ، وتزهر مساجدها الجامعة بأنوار أهل الحديث والفقاهة . فنهل ماوسعه الجهد من علوم معاهدها العلمية .

فجالس أهل الاعتزال ، وكان من شيوخهم الجاحظ ، وأخذ طرفاً من « الكلام » ثم انصرف[٣٦] عنه ، حيث قال : « وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم ، فربما حضرت مجالسهم (المتكلمين) . . » .

وأرجح أن يكون ابن قتيبة قد سكن البصرة بعد مبارحته خراسان بعد ٢٣٨ هـ وربما تكون هي مهاجَره الأخير الى بغداد . .

وهذا يفسر لنا سبب ترجمة الزبيدي أبي محمد بن الحسن المتوفى سنة ٣٧٩ للهجرةله في كتابه : « طبقات النحويين واللغويين / ٢٠٠ » في علماء اللغة البصريين (الطبقة السادسة) .

وحصيلته الثقافية ـ وان كانت أمشاجاً ـ فهي تقطع بانتمائه (الثقافي العام) الى المدرسة الأصمعية في البصرة . . وفي آثاره لمحات من آثار « التيارات الفكرية » التي كانت تتصارع على أديم البصرة ، وكذلك نجد أكثر شيوخه من علماء البصرة . . وكان أبوه أيضاً / مسلم بن قتيبة بن مسلم ، ممن أخذ على علماء البصرة كما يتضح من رواياته عند ولده عبدالله في « غريب الحديث » .

وتنوعت أسباب ثقافته ، واتسعت[٣٧] مداركه ، وصفا ذوقه ، وذلك بفضل مطالب عصره ، وسعياً وراء التكامل العلمي لاستعماله في الذياد عن كتاب الله ، والمناضحة عن العرب والعربية .

فثقف علوم العربية ، وتعمق في علوم الشريعة ، وكان قد ضم اليهما طرفاً من علم « الكلام » كما سلف ، وكانت له سوق نافقة في أيامه ، حيث اشتدت منازعات أهل الفرق والملل والنحل ، وعَلَت صرخات نقداتهم في أروقة المساجد ودور العلم ، إذ هو رأس بضاعتهم وعماد صناعتهم العلمية .

وكانت البصرة ، والكوفة ، ومكة المكرمة ، وخراسان ، والري ، مثابات تلقيه العلم في معاهدها .

فتلقى ابن قتيبة ماوصل به من علم على جِلّة شيوخ عصره ، وهم جمهرة يزيد عددهم على الخمسين ، ومنهم المحدّث ، والمفسّر ، والنحوي ، واللغوي ، والمتكلم ومنهم من ذكره صراحة في روايات كتبه ، ومنهم من عمّى على اسمه بعبارة : « حدّثنا بعض مشايخنا » أو نحو ذلك . .

ثبت بأسماء شيوخ ابن قتيبة :

ومن الخير أن أقيّد أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم في : الكوفة ، والبصرة ، وخراسان ، وهم :

١ ـ والده : مسلم بن قتيبة بن مسلم ، وقد يعرفنا ولده أبو محمد عبدالله بشيء من مكانته العلمية، حيث روىٰ عنه في : (عيون الأخبار ١ / ١٤٢ و٣٠٧/٢) حيث يقول : « حدثني أبي عن أبي العتاهية ، وحدثني أبي ـ أحسبه ـ عن الهيثم بن عدي » .

كما نقل عنه في « تأويل مختلف الحديث : ٥٨ » .

وكذلك وردت إشارات كثيرة عنه ، نقل فيها ولده عنه في : « غريب الحديث ، ينظر ج١/١٢ » .

وهو ـ كما يبدو ـ من المشتغلين في الحديث والفقه . . وليس صحيحاً ماورد عند أحد العصريين من الباحثين[٣٨] ، « ان مسلماً هذا لم يكن شيئاً يذكر في عالم الفكر » . لأن ابن قتيبة ـ ولده ـ لم يذكر شيئاً عنه ، ولا « سائر المصادر التي يعرفها » .

٢ ـ أحمد بن خالد الضرير ، أبو سعيد[٣٩] ، أخذ عليه ابن قتيبة في خراسان بعد وفاة شيخه ابن راهويه (ت ـ ٢٣٨ هـ) قال أبومنصور الأزهري : « وكان طاهر بن عبدالله استقدمه من بغداد فأقام بنيسابور ، وأملىٰ بها كتباً في معاني الشعر والنوادر . . وكان قد لقي ابن الأعرابي ، وأبا عمرو الشيباني ، وحفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة ، وقدم عليه القتيبي فأخذ عنه (وكان شمر وأبوالهيثم يوثقانه ويثنيان عليه) . « مقدمة تهذيب اللغة ج١/ ٢٤ » .

وروىٰ عنه الأزهري أيضاً في « التهذيب » . .

٣ ـ أحمد بن سعيد اللحياني ، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٣١ هـ) وراوية كتبه . وكان قد حدّث ابن قتيبة بكتاب : الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد .

قال ابن قتيبة (إصلاح الغلط / ٤٧) : « وكل حكاية نحكيها في هذا الكتاب عن أبي عبيد [رحمه الله] ، فان أحمد بن سعيد اللحياني صاحبه ، كان حدّثنا بذلك عنه في سنة إحدىٰ وثلاثين ومائتين . . » .

٤ ـ ابن سلّام ، محمد بن سلّام ، الجمحي البصري ، مؤلف « طبقات الشعراء / ت ـ ٢٣١ هـ) » .

٥ ـ دعبل بن علي الخزاعي ، الشاعر (ت ـ ٢٤٥ هـ) ، روىٰ عنه في « الأشربة / ٤٣ » قال : « وحدّثنا دعبل الشاعر أنه اجتمع هو ومسلم وأبوالشيص وأبونواس في مجلس لهم » (راجع / الشعر والشعراء ٧٢٨) .

٦ ـ حرملة بن يحيىٰ التجيبي ، صاحب الإمام الشافعي ، (ت ـ ٢٤٣ هـ) .

٧ ـ يحيىٰ بن أكثم ، القاضي المشهور (ت ـ ٢٤٢ هـ) أخذ عنه ابن قتيبة بمكة المكرّمة .

٨ ـ أبو عبدالله ، محمد بن محمد ، الباهلي ، البصري (ت ـ ٢٤٩ هـ) .

٩ ـ أبو عبدالله ، الحسين بن الحسين ، السلمي ، المروزي (ت ـ ٢٤٦ هـ) . وهو من المحدّثين .

١٠ ـ أبو اسحاق ، إبراهيم بن سفيان الزيادي ، تلميذ سيبويه

والأصمعي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ (ت ـ ٢٤٩ هـ) .

١١ ـ محمد بن زياد بن عبيدالله ، الزيادي البصري ، الملقب ببؤبؤ (ت ـ ٢٥٢ هـ) .

١٢ ـ أبو يعقوب ، اسحاق بن ابراهيم بن محمد الصواف ، الباهلي البصري (ت ـ ٢٥٣ هـ) .

١٣ ـ أبو الخطاب ، زياد بن يحيىٰ ، الحسّاني البصري ، (ت ـ ٢٥٤ هـ) .

١٤ ـ شَبَابة بن سوّار (ت ـ ٢٥٤ هـ) .

١٥ ـ أبو طالب ، إسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد ، البصري (ت ـ ٢٥٧ هـ) .

١٦ ـ أبو طالب ، زيد بن أخزم الطائي ، البصري ، الذي قتله الزنج في سنة / ٢٥٧ هـ . (العبر ٢ / ١٥) وبعضهم يسميه « زياداً » .

١٧ ـ أبو سهل الصفّار ، عبدة بن عبدالله ، الخزاعي ، الكوفي ، المتوفىٰ سنة / ٢٥٨ هـ . أخذ عنه بالبصرة .

١٨ ـ ابن مهران ، عبدالرحمن بن بشر ، العبدي ، المتوفىٰ سنة / ٢٦٠ هـ .

١٩ ـ أبوبكر ، محمد بن خالد ، المهلّبي ، البصري الضرير .

٢٠ ـ ابن أخي الأصمعي ، عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب ، الذي عدّه الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين ، وقد روىٰ عنه جمهرة من نصوص الشعر والأدب عن عمه / الأصمعي ،

(ينظر : غريب الحديث ج٣ / ٩٢٩) .

٢١ - عبدالله بن محمد الخَلَنْجي[٤٠] القاضي ، روىٰ عنه ابن قتيبة مسألة في الفقه (عيون الأخبار ٣ / ٦٣) .

٢٢ - مهيار الرازي ، روىٰ عنه ابن قتيبة في « المعارف / ٢٤٩ وفي تأويل مختلف الحديث / ٦٣ » .

٢٣ - ابن هاني ، عبدالله بن محمد ، أبوعبدالرحمن النيسابوري[٤١] (ت - ٢٣٦ هـ) المعروف بصاحب الأخفش ، وله كتاب « كبير يوفي علىٰ ألفي ورقة في نوادر العرب وغرائب ألفاظها ، وفي المعاني والأمثال » ، أفاد منه أبو منصور في « التهذيب ، راجع ج١ / ٢٤ » .

٢٤ - عبدالرحمن بن عبدالمنعم ، روىٰ عنه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » وغيره من كتب حكايات / وهب بن منبّه ، وذلك عن طريق والده / عبدالمنعم سبط وهب .

وكل مارواه ابن قتيبة عن وهب ، فهو عن طريق[٤٢] عبدالرحمن . .

٢٥ - أبو حاتم السجستاني ، [٤٣]سهل بن محمد ، المتوفىٰ سنة / ٢٥٠ هـ . (علىٰ رواية) .

قال أبو منصور الأزهري (التهذيب ج ١ / ٢٢) :

« وكان أبو حاتم السجستاني أحد المتقدمين ، جالس الأصمعي ، وأبا زيد ، وأبا عبيدة ، وله مؤلفات حسان ، وكتاب في قراءات القرآن جامع ، . . وقد جالسه شَمِر وعبدالله بن مسلم بن قتيبة ووثقاه » .

أفاد منه ابن قتيبة كثيراً ، ونقل عنه فأكثر النقل في اللغة والأدب ، وعلى الأخص في : « تأويل مشكل القرآن راجع فهرس الأعلام / ٦٢٨ ، وغريب الحديث ، راجع ٩٢٥/٣ فهرس الأعلام) ، وله تأثير قويّ في ثقافة ابن قتيبة .

٢٦ ـ أبو الفضل ، الرياشي ، العباس بن الفَرَج ، المتوفى سنة / ٢٥٧ هـ (قتله الزنج وهو يصلي في مسجده) .

٢٧ ـ أبو عبدالله ، محمد بن يحيى بن أبي حزم ، القُطَعي ، البصري ، المتوفى سنة / ٢٥٣ هـ .

٢٨ ـ أبو عثمان الجاحظ ، عمرو بن بحر ، المتوفى سنة / ٢٥٥ هـ .

أجاز لابن قتيبة بعض كتبه ، وأخذ عنه مطالب في الأدب والكلام . (راجع : عيون الأخبار ١٩٩/٣ و٢١٦ و٢٤٩ ، وتأويل مختلف الحديث ٥٩) .

٢٩ ـ أبو يعقوب[٤٤] ، إسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهَوَيْه ، الحنظلي المتوفى سنة / ٢٣٨ هـ[٤٥] .

إمام جليل ، كان رأس مدرسة (أهل الحديث) في عصره ، وهو شيخ أئمة الحديث : البخاري ، والنسائي والترمذي ، وأبي داود ، وابن حنبل الذي قال عنه : « لاأعرف لإسحاق بالعراق نظيراً » .

٣٠ ـ وكيع القاضي ، محمد[٤٦] بن خلف بن حيّان ، المتوفى سنة / ٣٠٦ هـ صاحب كتاب « أخبار القضاة » .

روىٰ عنه ابن قتيبة في « المعـارف ٤٩٠ ، ٤٩٨ » وفي « عيون الأخبار ١/٢٦٥و٢/٢٠ ، ٢٦ و٣/٢١ ، ١٥٨ ، ٢١٦) .

وابن وكيـع روىٰ عن ابن قتيبـة أيضـاً[٤٧] ، (أخبـار القضـاة ١/٧٨) وفيه قال : حدّثني عبدالله بن مسلم بن قتيبة قال : حـدّثنا إسحق بن راهوية . . . » .

وهذا يعني ان ابن قتيبة روىٰ عن وكيع ، ووكيع روىٰ عنـه ، أي : هما شيخ وتلميذ وتلميذ وشيخ . .

٣١ ـ أحمد بن خليل ، من المحدّثين ، روىٰ عنه في (عيون الأخبار ١/٤٢ ، ٧٢ ، ١٥٠) .

٣٢ ـ أبو حمزة الأنصاري ، إسماعيل بن إسحق .

٣٣ ـ محمد بن عمرو الجرجاني .

٣٤ ـ علي بن هارون الهاشمي .

٣٥ ـ ابن عائشة[٤٨] ، عبيدالله بن محمد (ت ـ ٢٢٨ هـ) .

٣٦ ـ الفضل بن محمد بن منصور / كاتب البرامكة .

٣٧ ـ أبو سفيان الغنوي .

٣٨ ـ خالد بن محمد الأزدي .

٣٩ ـ القاسم بن الحسن .

٤٠ ـ محمد بن داود .

٤١ ـ أبو مسعود الداريني .

٤٢ ـ محمد بن عبيد .

٤٣ ـ عمر بن شبة (ت ـ ٢٦٢ هـ) .

٤٤ ـ أبو اليقظان سحيم بن حفص العجيفي .

٤٥ ـ الخثعمي الشاعر .

٤٦ ـ محمد بن عبدالعزيز .

٤٧ ـ سليمان بن أبي شيخ .

٤٨ ـ العباس بن بكار .

٤٩ ـ ابراهيم بن مسلم .

٥٠ ـ القومسي ، نوح بن حبيب ، (ت ـ ٢٤٢ هـ) .

٥١ ـ ابن السكّيت ، يعقوب بن اسحق (ت ـ ٢٤٤ هـ) صاحب « إصلاح المنطق » .

روىٰ عنه في « غريب الحديث ٢/٦١٥ وتفسير غريب القرآن / ٢١٢ » .

٥٢ ـ محمد بن عبدالله بن عبدالوهاب الحبجي .

٥٣ ـ ابن مرزوق البصري .

٥٤ ـ شبابة بن الحسن .

٥٥ ـ بشر بن آدم بن يزيد البصري[٤٩] أبو عبدالرحمن (ت ـ ٢٥٤ هـ) .

٥٦ ـ أحمد بن نصر النيسابوري .

٥٧ ـ يزيد بن عمرو بن البراء الغنوي .

٥٨ ـ يحيىٰ بن سعيد .

٥٩ ـ عبدالله بن حبان النحوي .

وهناك شيوخ آخرون ، عمّي على أسمائهم ابن قتيبة ، مثل

قوله : « وحدّثني شيخ بالري ، أو : حدّثني أحد الشيوخ ، أو حدثني شيخ لنا . . » . ولهم روايات في : غريب الحديث ، وتأويل مختلف الحديث ، وعيون الأخبار ، والمعارف .

ـ ٢ ـ

لقــبه :

وتــذكـره بعض مـظان المـوروث اللغــوي والأدبي بـاسم : القتبي[٥٠] ، أو القتيبي . وقِتْبة (بكسر القاف وسكون التاء المثناة من فوق والباء المفردة) واحدة الأقتاب وهي : الأكاف التي توضع على ظهر الراحلة .

وقيل معناها : المعي ، وتصغيرها : قُتَيْبة . فمن لقّبه بالقَتَبي فإنه يذهب الى اسم (القتبة) ومن دعاه بالقتيبي ، فإنه ينزع إلى نسبه (القتيبة) ويقال أيضاً : القُتبي (بضم القاف) نسبـة الى (قتيبة) مثل : الجهني ، نسبة الى : جهينة وقد عرف بهذه النسبة (ابن قتيبة) من اهل العلم .

ونعته أبو يعقوب السكاكي (ت ـ ٦٢٦ هـ) في كتابه « مفتاح العلوم / ٢٨١ » بـ « الهمداني » . وهو قول غريب .

أمّا أبو الريحان البيروني فقد ذكره في « الآثار البـاقية / ٢٣٨ » بنسبة / الجَبَليّ (نسبة الى الجبل ومن مدنه : الدينور) . .

هذه نسبته عند مترجميه[٥١] ، بدءاً من : أبي الـطيّب[٥٢] الحلبي

وابن النـديم ، والزُّبيـدي ، والخطيب البغـدادي ، وابن خلكـان ، وياقوت الحموي وغيرهم ، وانتهاءً بالمظان المتأخرة والحديثة .

وفاتــه :

تـوفي ابن قتيبـة في بغـداد ، في سنـة ست وسبعـين ومـائتـين للهجرة . . على أصح الأقوال وأوثق الـروايات[٥٣] . . ولايلتفت الى روايـات أخرىٰ بـاطلة ، تقول : إنـه توفي في سنـة / ٢٦٧ هـ أو في سنة / ٢٧٠ هـ أو ٢٧١ هـ) أو ٢٩٦ هـ .

ويؤيّد صحة الرواية الأولىٰ ، حجج ناهضة منها :

١ ـ اجماع المؤرخين عليها .

٢ ـ رحلة تلميذه قاسم[٥٤] بن أصبغ الأندلسي (ت ـ ٣٤٠ هـ) الى بغداد وأخْذه عن ابن قتيبة في سنة / ٢٧٤ هـ . .

وقد اختلفت الروايات[٥٥] في سبب موته ، فبعضها يذهب الى أن سببه كان من / أكلة هريسة فاصابته منها حرارة ، ومازال يتشهد حتىٰ الفجر ثم أغمي عليه ، وتوفي . .

وبعضهـا يذهب الى أنـه توفي فجـأة . . وذكر أبـو الفَرَج ابن الجوزي (ت ـ ٥٩٧ هـ) رواية في موضع وفاته ، حيث قال : إنه توفىٰ في الكوفة ، ودفن الى جنب قبر أبي حازم القاضي . .

ذريّتُــه :

ترك ابن قتيبة اثنين من ولده ، وهما من أهل الحـديث والفقه

والأدب ، فأولهما ، ابنه :

١ ـ أحمد أبوجعفر ، وهو أحد رواته ، قيل : كان يحفظ كتب أبيه كما يحفظ السورة من القرآن ، ومايُسقط الشكلة ، وكان أبوه قد حفّظه إيّاها في اللوح . .

ولد ببغداد وبها نشأ ، ثم انتقل الى مصر فولي قضاءها ، وبها توفي في سنة / اثنين وعشرين وثلثمائة . .

وعنه أخذ أبو جعفر النحّاس (ت ـ ٣٣٨ هـ) وابن ولّاد (ت ـ ٣٣٢ هـ) والنجيرمي أبو يعقوب (ت ـ ٣٢٣ هـ) وأبو الحسن (الحسين) المُهلّبي (ت ـ ٣٣٥ هـ) .

وصُرف عن القضاء سنة إحدىٰ وعشرين وثلثمائة ، لسبع خلون من شهر رمضان ، وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر . .

وكان مجلسه عامراً بعلّية القوم وأكابر أهل الفضل والعلم ، يغشاه الأدباء ، ويختلف اليه العلماء . . وكان يحدّث بكتب أبيه . . مما أتاح لها وله الذّيوع والشهرة[٥٦] . .

وثانيهما :

حفيده ، عبد[٥٧] الواحد بن أحمد ، أبو أحمد ، ولد ببغداد سنة سبعين ومائتين للهجرة ، وبها نشأ وأخذ علمه على شيوخها ، ثم رحل الى مصر فأقام بها ، وفيها حدّث بكتب جدّه عن أبيه أحمد ، وسمع منه أبو الفتح بن مسرور البَلْخي ، الذي كان يرىٰ فيه العالم الثقة .

- ٣ -

طلاب ابن قتيبـــة :

انصرف ابن قتيبة الى التعليم والتـأليف ، وهما عنـوان جهاده الفكري ، ولم يصرفه عنهما صارف أو شأن . . وكـان يضع مؤلفـاته ويجوّدها ، ثم يخرجها الى طلاّبه . . كما ذكر نفطويه ابراهيم بن محمد (ت - ٣٢٣ هـ) .

وقد حفظت كتب الطبقات بعض أسماء طلابه ، وهم :

١ - ولده / أحمد المتوفىٰ سنة / ٣٢٢ هـ ، وعنه انتشرت مؤلفات أبيـه ، وكان يحفـظها في اللوح ، ولم يسقط منهـا شيئـاً حتىٰ النقـطة والشكلة ، وكان أبوه حفّظها إياه . وقرأها عليه الأدباء وأهل اللغة . . وممن قرأ عليه : أبو علي القالي البغدادي (ت - ٣٥٦ هـ) ، وغيره .

٢ - عبـدالـواحـد بن أحمـد بن عبـدالله بن مسلم / ابن قتيبـة ، أبـو أحمد ، ولـد ببغداد في سنـة / ٢٧٢ هـ ، وانتقل الى مصـر مـع والده / أحمد . . روى كتب جده عن أبيه أبي جعفر أحمد .

٣ - وقرأ كتب ابن قتيبة على ولده أبي جعفر أحمد ، أبو القاسم[٥٨] الآمدي المتوفىٰ سنة / ٣٧٠ هـ .

٤ - وقرأها أيضاً على أحمـد ، أبو القـاسم عبدالـرحمن بن اسحق الزجاجي المتوفىٰ سنة / ٣٧٧ هـ . شارح خطبة (أدب الكاتب) .

٥ - أحمد بن مروان المالكي المتوفىٰ سنة / ٢٩٨ هـ ، وعنه وصل كتاب « تأويل مختلف الحديث » بروايته عن ابن قتيبة .

٦ ـ أبـو القـاسم الصـائـغ[٥٩] ، ابـراهيم بن محمـد ، المتـوفىٰ سنة ٣١٣ هـ ، روىٰ عنه كل مؤلفاته . وعنه روىٰ الـزجاجي بعض هذه المؤلفات .

٧ ـ أبـو القاسم الأزدي[٦٠] ، عبـدالله بن محمد النحـوي المتـوفىٰ سنة ٣٤٨ هـ .

٨ ـ قاسم[٦١] بن أصبغ الأندلسي ، المتوفىٰ سنة / ٣٤٠ هـ ، وكان قـد رحل الى بغـداد في سنة / ٢٧٤ هـ ، وقـرأ على علمـائها ومنهم ابن قتيبة ، وروىٰ عنه بعض مؤلفاته ، مثل : جامع الفقه ، غريب الحديث ، وقد وصلت إلينا إحدى نسخه عنه ، وهذه النسخة كتبت في سنة / ٥١٧ هـ ، وصلنا منها الجزء الرابع فقط ، وهو من أصل أربعة أجزاء . . وكانت من النسخ التي اعتمدتها في نشر الكتاب . . وكذلك روىٰ عنه كتاب / المعارف .

٩ ـ الهيثم بن كليب الشامي المتوفىٰ سنة / ٣٣٥ هـ .

١٠ ـ أبو محمد السكري ، عبيدالله بن عبدالرحمن ، المتـوفىٰ سنة ٣٢٣ هـ .

وقـد وصـل الينـا من كتب ابن قتيبـة من روايتـه : المسـائـل والأجوبة . وإصلاح غلط أبي عبيد[٦٢] ، وكان قد قرأهما مع / غريب الحديث عليه ، ورواها عن ولده أبي جعفر .

١١ ـ أبـو القـاسم التميمي ، عبيـدالله بن أحمـد ، المتـوفىٰ سنة / ٣٣٤ هـ .

١٢ ـ ابـن درسـتـويـه[٦٣] ، عـبـدالله بن جـعـفـر ، المتـوفىٰ

سنة / ٣٤٧ هـ . وقد وصل الينا من رواياته / الأشربة .

١٣ ـ أبو بكر ، أحمد بن الحسين الدينوري ، قرأ عليه كتاب / مختلف الحديث .

١٤ ـ أبو رجاء ، محمد بن حامد البغدادي المتوفىٰ سنة / ٣٤٣ هـ .

١٥ ـ أبو عبدالله ، محمد بن أبي الأسود البلي ، المتوفىٰ سنة ٣٤٣ هـ .

١٦ ـ أبو اليسر ، ابراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي المتوفىٰ سنة / ٢٩٨ هـ .

١٧ ـ أبو العباس الأروائي المروزي ، أحمد بن محمد .

١٨ ـ أبو العباس[٦٤] الكرجي ، محمد بن علي المتوفىٰ سنة ٣٤٢ هـ .

١٩ ـ وممن روىٰ (غريب الحديث) عن ولده أبي جعفر ، ابن حيوية الخزاز[٦٥] / محمد بن العباس ، البغدادي ، من كبار قرّاء عصره ، المتوفىٰ سنة / ٣٨٢ هـ . وعنه وصل الينا (غريب الحديث) ـ نسخة الظاهرية .

عقيدته وتحامل العلماء عليه

١ ـ عقيدتـه :

كان ابن قتيبة ممن خاض غمار معارك العقيدة التي عصفت عاصفتها في عصره ، ونجمت نواجم أهل البدع والضلالة فيه . واشتد طغيان الكيد الشعوبي ، فجاهد بعلمه (تأليفاً وتعليماً) . وراح يرد على هؤلاء ويفنّد أباطيل هؤلاء ـ كما سنعرض اليه بعد قليل ـ وكان يتحدّى

الملاحدة[٦٦] ويشنّع عليهم كلما سنحت له السوانح ، ويدفع عن حمىٰ الإيمان وقدس العربية كل أذىٰ ، وكانت فتنة القول بخلق القرآن ، يستعر أوارها ، ويتطاير شررها من هنا وهناك ، كلما خبت أشعلها المارقون . . لذلك انبرى « ينضح عن كتاب الله ، ويرمي من ورائه بالحجج النيرة » . . ويدافع في الوقت نفسه عن العرب ، ويهاجم أعداءهم من الشعوبيين ومن يقبع تحت لوائهم . .

ولأجل هذا كله ، عاداه من ظلمَ نفسه ، وحاد عن الحق والإنصاف ، فوجهت اليه سهام الطعن في عقيدته تذمماً له ونبذاً . .

فقالوا عنه : إنه يميل الى المشبّهة ، وذهب آخرون الى اتهامه (بالنصب) وأنه يرىٰ رأي الكرّامية . . وإن تعجب فعجبٌ صدور هذه الأباطيل عن بعض العلماء ، ومنهم من شُهِرَ بالزهد والورع ! . . ومن هؤلاء : الدارقطني[٦٧] ، علي بن عمر المتوفىٰ سنة / ٣٨٥ هـ ، من أعلام بغداد في الفقه والحديث ، وكذلك البيهقي[٦٨] أحمد بن الحسين المتوفىٰ سنة / ٤٥٨ هـ ، وكان واحد عصره فقهاً وزهداً .

أمّا الحاكم النيسابوري ، الذي نسبت اليه تهم أخرىٰ ألصقها بابن قتيبة ، فانه (متهم) في معتقده ، وللعلماء فيه[٦٩] مقالة . .

وأقوال هؤلاء وغيرهم ، هي ضرب من ضروب النفاق والتدليس ، والرد عليها آثار الرجل ، ومنها كتاباه : « الاختلاف في اللفظ » و « تأويل مختلف الحديث » وحسْبه ثناءُ الجِلّة من العلماء ، وتلقّي أقواله وآثاره عندهم بالرضا والقبول ، وهم أهل (التزكية) ولهم القول الفصل بالعدالة والصدق ، ومنهم :

مؤرخ بغداد الخطيب[٧٠] البغدادي (ت ـ ٤٦٣ هـ) الذي وصف ابن قتيبة بالثقة والصدق والديانة . . وكذلك الإمام ابن تيمية[٧١] ، والذهبي[٧٢] ، والصلاح الصفدي[٧٣] . . وغيرهم وانتهىٰ قبولهم لقول من قال فيه : « إن الوقيعة فيه ضرب من الزندقة » كما نقل عن صاحب « المغرب » . ولو وقع منه كذب أو انحراف عن سَمْت أهل العقيدة السليمة ، لشنَّع عليه خصومه ، ولرغب الناس عنه وعن مؤلَّفاته . . التي تسارع أهل الفضل والعلم إلى احتضانها[٧٤] .

قال شمس[٧٥] الدين الذهبي (ت ـ ٧٤٨ هـ) : « وقال أبوبكر البيهقي : كان يرى رأي الكرّامية » .

ونقل صاحب (مرآة الزمان) بلا إسناد عن الدارقطني ، أنه قال : كان ابن قتيبة يميل الى التشبيه .

قلت : هذا لم يصح ، وإن صحَّ عنده ، فسحقاً له ، فما في الدين محاباة » .

ثم قال : « وقال مسعود السجزي : سمعت أبا عبدالله الحاكم يقول : أجمعت الأمة علىٰ أن القتبي كذّاب .

قلت : هذه مجازفة وقِلّة ورع ، فما علمت أحداً اتّهمه بالكذب قبل هذه القولة . بل قال الخطيب[٧٦] : إنه ثقة . . » .

وردّ الصلاح[٧٧] الصفدي هذه التهم بقوله : « وهذا فيه بُعْد ، وهذه مجازفة من الحاكم . . » .

ثم نقل الذهبي[٧٨] رواية أسندها الى السِّلَفِي الذي كان « ينكر على الحاكم في قوله : لاتجوز الرواية عن ابن قتيبة ، ويقول : ابن قتيبة

من الثقات وأهل السنّة ، ثم قال : لكن الحاكم قصده لأجل المذهب » . .

ومن شتات الروايات عن معتقده ، نخلص الى أنه كان عالما درج على سَمْت السَّلَف وأهل السنّة ، وليس له تعلّق بأيّ (مذهب) من المذاهب الفقهية المعروفة . . ولايصح قول الامام ابن تيمية[79] فيه : إنه كان من أتباع الإمام أحمد بن حنبل ، أو الامام مالك أو الامام ابن راهويه الحنْظلي .

ولاينكر أحد أثر ابن راهويه في ثقافته وفي جهاده العلمي ، . . . إلاّ أنه كان يصدر فيه عن (عقل حر) ومنهج ارتضاه لمعتقده ، أساسه القرآن والسنة المطهرة . كما لم يكن لابن راهويه[80] (مذهب) يعرف به ، . . . وملاك أمره : أنه كان رأساً لمدرسة (منهج) أهل الحديث في مصره وعصره . .

وإنَّ الدارس المتفحص لآرائه من خلال كتبه ، يجدها تستقي من معين « القرآن الكريم » مشدودة الى عرى الحديث النبوي الشريفة . . وهي « العروة الوثقي التي لاانفصام لها » .

وكل كتبه[81] تفيض تقىً وورعاً واستقامة ، وأمانته المخلصة في العلم وفي سبيل نشره كانت من آثار هذه المزايا والسمات .

وحبّه[82] (العقلاني) للدّين الحنيف ، دفع به الى ردّ سهام الشعوبية الى نحورهم - كما سنرى في فصل (ابن قتيبة والشعوبية . .) .

لأن حب[83] العرب والعربية من حب القرآن ورسول الله محمد (ﷺ) .

- ٢ -

تحامل العلماء على ابن قتيبــة

٢ ـ تحامل العلماء عليه :

كان العصر الذي تقلّب فيه ابن قتيبة مضطرباً من حيث تعاظم غلبة الفرق الفلسفية التي وجدت من السلطان السياسي ، وهو المغلوب على أمره رعاية وتأييداً ، وقد هزت المجتمع تيارات الشعوبية (بكل ألوانها) كما سنعرض له في : « الحياة الثقافية العامة » . وقد زاد من هذا الاضطراب شدة الصراع بين بعض المدارس الفكرية وبعض المذاهب الفقهية ، ثم نصرة الخلفاء العباسيين للمعتزلة واضطهادهم لمدرسة أهل الحديث في المدة الممتدة بين (٢١٨ ـ ٢٣٤ هـ) . . وفيها نجمت لمسألة القول بخلق القرآن نواجمها . . التي راح ضحيتها فقهاء ومحدّثون ، ومن سلم بنفسه ، حرم مصدر العيش والرزق ، ونال من العذاب مانال . .

وابن قتيبة ، عالم نشأ على حب التحرر العقلي ، والميل الى مدرسة أهل الحديث . . وقد زاد هذا الحب وذاك الميل أثر شيخه إسحق بن ابراهيم / ابن راهويه الحنظلي الغطفاني ، الذي استظل سلطان الصولة الطاهرية (آل طاهر بن الحسين / الفارسي) في خراسان . . مما قويت نوازع التحرر والاستقلال في التفكير ، والبعد عن قيود التقليد عند ابن قتيبة ، وعندما غادر مثابة الطاهريين (٢٠٥ ـ ٢٥٩ هـ) ، بعد موت ابن راهويه ، حيث حلقات الفلاسفة

والمتكلمين ، وعرصات المعتزلة ، والفرق الغالية ، عقد العزم على نصرة المدرسة الفكرية المغلوبة (أهل الحديث) وتوسل الى تحقيق مقصده بأسباب التعليم والتأليف . . وكان هذا ديدنه حتىٰ وفاته . .

لذلك لم تحفظ كتب الطبقات من أسماء طلّابه إلاّ جماعة قليلة ، كما عرفنا بهم قبل قليل .

وكان له صوت في آفاق الأرض ، مما جعل الرحلة تشد اليه ، وكتبه تروىٰ ويتدارسها طلاب العلم على أعلام العلماء[٨٤] .

غير أن الرجل محسود ، حاربه المعتزلة ، ونصبه الشعوبيين ، وعاداه بعض أهل العلم . .

وأرىٰ أن تحرره العقلي ، وتعصبه للعرب والعربية ، وتمسكه بآراء أهل الحديث ، كانت من أسباب تحامل العلماء عليه .

واليك الدليل لتعرف صواب ماأذهب اليه :

١ ـ ابن قتيبة بما فُطِر عليه من تحرر عقلي في حياته العلمية صرفه عن تقليد أيّ مذهب فقهي ، بل إنه نال كثيراً من أهل الرأي ، وقرنهم بالمعتزلة وأهل الكلام ، وذلك لتغليبهم القياس على السنّة ـ كما يرىٰ[٨٥] ـ وعنده أن هؤلاء يناقضون القرآن الكريم ، فضلاً عن مخالفتهم للسنّة . والفرق بين المدرستين بيّن ، وهو ضرب من ضروب الاجتهاد الفقهي .

وهذا التحرر العقلي ، جعله يرتضي حملات[٨٦] ابن راهويه على الإمام أبي حنيفة . . حيث لم ير أحداً « ألهج بذكر أصحاب الرأي وتنقصهم والبحث على قبيح أقاويلهم ، والتنبيه عليها من /

ابن راهويه » . .

ولاننسىٰ أثر مدرسة الأصمعي (الراوية اللغوي) في ثقافته ، ومما يؤثر عن الأصمعي أنه كان من خصوم هذه المدرسة أيضاً ، والأصمعي من المحدّثين الثقات[٨٧] . .

أما أصحاب الحديث عنده[٨٨] « فانهم لايردّون شيئاً من أمر الدين إلىٰ استحسان ، ولا إلىٰ قياس ونظر ، ولا إلىٰ كتب الفلاسفة المتقدمين ، ولا إلىٰ أصحاب الكلام المتأخرين » بل انهم « التمسوا الحق من وجهته وتبعوه من مظانه ، وتقرّبوا الى الله تعالىٰ ، باتباعهم سنن رسول الله (ﷺ) ، وطلبهم لآثاره وأخباره » .

وكذلك الحملات التي حمل بها على الفرق الفلسفية وأهل الكلام ، أمثال : المعتزلة ، القدرية ، المرجئة ، وفرق الخوارج ، وغيرها[٨٩] .

هذه واحدة ، والثانية : نقداته للشعوبية ، وردّه عليها مطاعنها ، والتشنيع علىٰ دعاتها ، وكشف عوارها والبحث عن مثالبها ، ورميه أعداء العرب بكل مذمّة ودناءة ، فأضفىٰ على العرب كل فضيلة ومحمدة . . مما جرّاً عليه قالة السوء والطعن عليه ، ومن هذا اللون ، نقد أبي الريحان[٩٠] البيروني له ، حيث رماه بالإفراط فيما يخوض فيه ، والاستبداد بالرأي ، وقال : « وكلامه في هذا الكتاب (فضل العرب) يدل علىٰ إحن وتراث بينه وبين الفرس » .

ويتواصل حبه للعرب والعربية مع نقده لمطاعن الشعوبية حيث لهج بها في مواضع كثيرة من مؤلفاته ، وهذا مادفع به إلىٰ نشر مآثر

العرب والحثّ علىٰ معرفة أخبارها ومفصّل تاريخها .

أمّا حبه للعربية ، فهو أمر لايحتاج إلىٰ ذكر أو تنويه . .

ولتمسكه الشديد بهذه الفضيلة ، جعل كل حياته جهاداً من أجل الحق ومناصرة أهله ، يبث أفكاره في أروقة الدرس وعلىٰ صفحات الآثار . .

ولنزوعه الفطري لحرية التفكير وحبه الشديد للعلم ، جعلاه ينفرد في بعض الوجوه في مسائل من الحديث ، وهذا ماأدّىٰ به إلى الخروج على مدرسة أهل الحديث ، بحيث عدَّ فيها متطرفاً . وبعض هذه الآراء لاتمثّل أية مدرسة من مدارس الفقه أو الحديث . « مع ماعمد اليه في دعمه من روايات منسوبة الى بعض المحدّثين »[٩١] .

ومثال ذلك : رفضه الأخذ بالرأي في كل حال وتقديمه الإجماع علىٰ الحديث . . ونحوهما .

حتىٰ ذهب باحث[٩٢] إلىٰ أن ابن قتيبة سعىٰ الى تكوين مدرسة خاصة بها .

وماهذه المدرسة (المتخيلة) إلّا مثال لتحرره العقلي ورفضه التقليد في كل شيء . . لأنَّ وهج الحديث أنار شغاف قلبه ، وتملكه حبّه ، فأخذ من أقطار جوارحه كل مأخذ . .

لذلك نراه يتوجه بنقده الىٰ كبار العلماء ، وأعلام القراءة ، غير مبالٍ بما يجرّه عليه هذا النقد . .

كما نقد قراءة / حمزة ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأعمش وغيرهم . .

وقد تعدت جرأته هذه مجالات الفقه والحديث ، الى اللغة والأدب .

فنقد أبا عبيد القاسم بن سلّام ، وشنّع على أبي عبيدة المعمر بن المثنّى ، وأشاع (نظرية) الجديد في الشعر ، وأيّد (ثورة) النقدة على القديم . .

ثم يجب ألاّ ننسىٰ حكاية خلطه بين المذهبين (البصري والكوفي) في النحو . . ونيله من أعلام الأدب في زمنه كالجاحظ - مثلاً - والعلاّف ، والنظام . . وغيرهم . .

فكيف يسلم رجل هذه (عقيدته) وهذه صفاته من رجم الناقدين ، وكيف تجاوزه سهام الطاعنين ؟

هجّن من مذاهبه في العربية أشياء نسبت الى الخطأ منها وقعت ومما في كتبه ، والطعن على أمانته فيها .

١ - قول أبي الطيّب اللغوي (ت - ٣٥١ هـ) في : « مراتب النحويين » : « وكان يشرع في أشياء لايقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي (ﷺ) وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف ، والشعراء . . ونحو ذلك ، مما أزرىٰ به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامّة ومن لابصيرة له / ١٣٧ » .

٢ - أبو بكر بن الأنباري (٢٧١ - ٣٢٨ هـ) ، وهو من اشد الناس عداوة لابن قتيبة ، وقد رماه بالغفلة والجهل والكذب . . بل هو[٩٣] « رائد تلك الطائفة التي رمته بالكذب وعداوة العترة ، والذهاب الى

التشبيه والتجسيم » وردّ عليه في بعض كتبه ، أمثال : « الأضداد » و « الزاهر » . . حيث تناول « إصلاح غلط أبي عبيد » و « غريب الحديث » و « المشكل » .

أمّا قول أبي الطيّب ، فيدحضه إجماع الناس علىٰ جودة تآليف ابن قتيبة ، وانتفاع أهل العلم بها ، مما جعلها مشهورة في دور العلم ومعاهد المعرفة في الشرق والغرب . . حتىٰ قيل : « كل بيت ليس فيه شيء تضيفه لاخير فيه » كما ذكر الإمام ابن تيمية (ت ـ ٧٤٨ هـ) .

ومن أجل الصفات العلمية التي اتّصفت بها مؤلفاته ، كثر رواتها ، وتنوعت رواياتها ، وقرأها الجِلّة من العلماء علىٰ شيوخهم . . كما نجد مثالاً لهذا ، ماذكره السبكي في « طبقاته » أن ابن باطيش الموصلي قرأ[٩٥] « غريب الحديث » علىٰ الدوري أحمد بن محمد (ت ـ ٥٩٨ هـ) .

وعرف بها لشهرتها عند الناس ، حتىٰ قيل : « مؤلف أدب الكاتب ، والمعارف » . .

كما حفظها علماء آخرون ، ومن هؤلاء : موفق الدين عبداللطيف[٩٦] البغدادي (ت ـ ٦٢٩ هـ) .

وهذه الشهرة التي أصابتها ، وجعلتها معروفة في المشرق والمغرب ، حمل بعض المدلّسين على انتحال ابن قتيبة ماليس له ، وهذا فضلٌ من الله عليه ، ولأن أسلوبه في التأليف نمطٌ فريد في فنّه ، خلوٌ من التكلّف والصنعة ، منزّه عن السجع ، فصيح قوي ، جمع بين السلامة والدقّة . .

وكتبه : منسّقة التأليف حسنته ، واضحة الأهداف ، تشيع فيها « الوحدة الموضوعية » ، جمع فيها سعة الثقافة الى براعة الترتيب وجمال التبويب .

وهو أول مؤلف تصل الينا مؤلفاته مبوّبة ، وكان يضع المقدمات لها ، يبيّن أهداف التأليف فيها ، وهو بذلك قد خطا بالتأليف خطوات رائدة بارعة . . وهذه ميزه[٩٧] جديرة بالدرس والتأمل . .

وهي تفصح عن سعة مداركه في الثقافة ، وتشعب معارفه ، وتوفره علىٰ فنون عصره وثقافته ـ وهو ـ بحق ـ أول مؤلف يقدم للموروث العربي الإسلامي صورة من صور « دوائر المعارف / الموسوعات » . . وبخاصة في « المعارف » . .

أمّا تحامل ابن الأنباري عليه ، فربما يكون مردُّه لهذه الأسباب :

١ ـ حكاية أصحاب كتب الطبقات عنه ، أنه كان يخلط بين المذهبين (البصري والكوفي) أو لأنه بصريّ .

٢ ـ رده علىٰ أبي عبيد القاسم بن سلّام في « غريب الحديث » .

٣ ـ تهمة النصب (الميل عن العترة المطهّرة) .

فالرد على السبب الأول ، هو :

ان ابن قتيبة حكىٰ في بعض كتبه[٩٨] ، مثل « المشكل » و « أدب الكاتب » عن البصريين والكوفيين ، وأخذ عنه هؤلاء وهؤلاء بعض (مصطلحاتهم) النحوية ، كما حكىٰ عن « البغداديين » وهذا أثرٌ من آثار عقليته المتحررة الأصيلة ، ولون من ألوان مقْته التقليد والمتابعة . .

وهو بما نقل ، لم يتعصب لمذهب على آخر ، إنما اعتمد مارآه نافعاً في مباحثه ، وهذه ميزة حسنة ، يثاب عليها ، ولايؤاخذ . . وابن الأنباري كوفي متعصب لكوفيته .

ورده علىٰ أبي عبيد ، هو أمر مشروع ، أقرَّ به الجلّة من العلماء ، لأن النقد توجيه وصقل وزيادة نفع . .

ثم إنّ الرجل قدّم بين يدي نقده معاذيره بقوله : « لعل ناظراً كتابي هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته ، ويربأ بأبي عبيد رحمه الله عن الهفوة ، ويأبىٰ به الزلّة وينحلها قصب العلماء وهتك أستارهم ، ولايعلم تقلدنا ماتقلدناه من إكمال ماابتدأ من تفسير غريب الحديث ، وتشييد ماأسس ، وإن ذلك هو الذي ألزمنا إصلاح الفساد وسد الخلل . علىٰ أنّا لم نقل في ذلك الغلط إنه اشتمال علىٰ ضلالة وزيغ عن سنّة ، وإنما هو في رأي مضىٰ به علىٰ معنىٰ مستتر ، أو حرف غريب مشكل ، وقد يتعثر في الرأي جلّة أهل النظر والعلماء المبرّزون ، والخائفون لله الخاشعون ، فهؤلاء صحابة رسول الله (ﷺ) ورضي عنهم ، وهم قادة الأنام ومعادن العلم ، وينابيع الحكمة ، وأولىٰ البشر بكل فضيلة ، وأقربهم من التوفيق والعصمة ، ليس منهم أحد قال برأيه في الفقه إلاّ وفي قوله مايأخذ به قوم وفيه مايرغب عنه آخرون . .

والناس يختلفون في الفقه ، ويرد بعضهم علىٰ بعض في الحلال أنه حرام ، وفي الحرام أنه حلال . وهذا طريق النجاة أو الهلكة ، لاكالغريب والنحو والمعاني التي ليس على الهافي فيها كبير جناح .

وعلماء اللغة أيضاً يختلفون وينبّه بعضهم علىٰ زللَ بعض ،

فالفَّراء يرد علىٰ إمامه الكيسائي ، وهشام يرد علىٰ الفرّاء ، والأصمعي يخطىء المفضّل الضبي . . »[99] .

وعلى هذا النسق من التواضع والعلم الجم ، يزجي ابن قتيبة أعاذيره لنقده أبي عبيد ، وهـذا من مكارم الأخـلاق ، وسمْت أهل الأمانة من العلماء . .

ثم إن الله ـ سبحانه ـ لم يعط أحداً من البشر موثقاً من الغلط ، وأماناً من الخطأ . .

وذكر مثل هذا القول في « تأويل مختلف الحديث »[100] ، حيث قال : « ولاأعلم أحداً من أهل العلم والأدب الاّ وقد أسقط في علمه كـالأصمعي ، وأبي زيـد ، وأبي عبيـدة ، وسيبـويـه ، والأخفش ، والكسـائي ، والفرّاء ، وأبي عمـرو الشيبـاني ، وكـالأئمـة من قـرّاء القرآن ، والأئمة من المفسّرين » .

وماذا يضير أبي عبيد أوَ غيره من العلماء ، تتبع الناقدين ، وفي النقد نفع . . لذا جاء « إصلاح غلط أبي عبيد » أنموذجاً رائعاً في النقد اللغـوي ، انتفعت به اللغـة ، وأفاد منـه العلماء . . وماأحـوجنا إلىٰ أمثاله .

أمّا اتهام ابن قتيبة بالنصب ، فهو أمر منكـور ، لاتنهض عليه حجـة أو دليل ، سـوىٰ كلمة أُثـرت عنه ورواهـا عن الشعبي[101] ، ويكذبه قول ابن أبي الحديد[102] : « وابن قتيبة غير متهم في حق عليّ عليه السلام ، علىٰ المشهور من انحرافه عنه » .

وعليك بحبّه الصحـابة والعتـرة ، تلمسه في كثـير من آثاره :

« غريب الحديث » و « تأويل مختلف الحديث » .

ولايغرب عن البال ، أمر نحله « الإمامة والسياسة » وفيه مافيه[103] .

وممن انتصر لابن قتيبة في رد مطاعن ابن الأنباري عليه ، الشريف المرتضى[104] (ت ـ ٤٣٦ هـ) ، على الرغم من نقده لابن قتيبة ، ونقل نقود ابن الأنباري له في[105] « الاصلاح وغريب الحديث » . .

قال المرتضىٰ : « وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن علىٰ جواب من أجاب في قوله : « وبلغتِ القلوب الحناجر » بأن معناه : كادت تبلغ الحناجر ، ويقول « كاد » لاتضمر ، ولأبد من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز ، قام عبدالله ، بمعنىٰ كاد عبدالله يقوم ، . . . وهذا الذي ذكره غير صحيح ، ونظن أن الذي حمله علىٰ الطعن في هذا الوجه ؛ حكايته له عن ابن قتيبة ، لأن من شأنه أن يرد كل مايأتي به ابن قتيبة ، وان تعسف في الطعن عليه » .

٣ ـ وكتابه (المعارف) تأليف جديد في حصر معارف العرب في جاهليتها وتدوين تاريخ الاسلام الى سنة / ٢٥٤ هـ ، ومادته العلمية أصيلة ، لأنها وصلت عن رواة وشيوخ عصريين له ، طعن عليه فيه ، وقالوا : إن ابن قتيبة أخذه من (المحبّر) لمحمد بن حبيب ، ومنهج الكتابين مختلف وإن اتفق في بعض مواده[106] وعلىٰ نمط وضع وكيع القاضي (ت ـ ٣٠٦ هـ) كتابه (الشريف)[107] .

٤ ـ وردَّ عليه ابن المُعلّم العكبري[108] عبدالله بن محمد المتوفىٰ

سنة / ٥١٦ هـ ، بكتاب « الانتصار فيما يتعلق بالقراءات » أو « الانتصار لحمزة الزيات فيما نسبه إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن » .

وكان ابن قتيبة قد أخذ على حمزة الزيات حروفاً من قراءاته ، وابن الزيات أحد القرّاء السبعة .

وذلك في كتابه « المشكل / ٥٩ » وقد بينت وجه هذا النقد في « ابن قتيبة والقراءات » .

ويفهم من نقد ابن قتيبة لحمزة ، أن أبناء العجم « ليس لهم طبع اللغة ، ولاعلم التكلف ، فهفَوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرأوا بالشاذ وأخلّوا ، منهم (رجل) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح ، وقرّبه من القلوب بالدين » .

وهذا (الرجل) هو حمزة بن حبيب الزيات المتوفى سنة / ١٢٧ هـ .

والعجم والأعاجم شيء واحد عند ابن قتيبة . . ولايعني بالعجم / الفرس .

وكذلك رد عليه ابن مطرف الكناني في « القرطين ٢ / ١٥ » حيث أسقط هذا الفصل من المشكل ، عند جمعه (المشكل وتفسير غريب القرآن في / القرطين) ، محتجاً بقوله « وباقي الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن على حمزة . . وكان أورع أهل زمانه ، مع خلو باقي الباب من الفائدة » .

٤ ـ ومثل هذا الطعن ، ماأورده ابن خلكان[١٠٩] في « وفيات الأعيان » حكاية عن بعضهم ، إن (أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ،

وإصلاح المنطق - كتاب بلا خطبة) .

وهذا القول ، أطلقه منكور لايعرف ، ثم إنه لـون من ألوان الحقد على ابن قتيبة ، كما عرفت فنوناً منه .

قال ابن خلكان معقّباً عليه : « وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فإن أدب الكاتب قد حوى من كل شيء ، وهو مفتن » .

٥ - وممن طعن عليه في « أدب الكاتب » الزجاجي[١١٠] أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق المتوفى سنة / ٣٣٧ هـ في « شرح خطبـة أدب الكاتب » ، حيث رماه بالجهل[١١١] ، « وهجّن من معـارفه في النحـو أشياء نسبه الى الخطأ فيها » . والزجاجي[١١٢] (فارسي من أهل نهاوند) ولايعرف عن بيته شيء .

وربما جرى في الطعن على ابن قتيبة ، انتقاماً (لجنسه) وحقداً ، وإلّا كيف سوغ لنفسه أن يعنى بتفسير « خطبة أدب الكاتب » . . وهو من أعلام النحاة ؟ ومؤلفها يتعثر في النحو والعربية ؟

٦ - وجاء أبومنصور الأزهري الهروي المتوفى سنة / ٣٧٠ هـ ليردد مطاعن أبي بكر ابن الأنباري وغيره في ابن قتيبـة ، وذلك في معـرض إشـارتـه الى مـظان « تهـذيب اللغـة » التي انتفـع بهـا في صنعـة (التهذيب) ، ومنها بعض كتب ابن قتيبة . .

قال الأزهري[١١٣] : « فأمّا مايستبدّ فيه برأيه من معنى غامض أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فانه ربما زلّ فيما لايخفى على من له أدنى معرفة ، ورأيته يحدس فيما لايعـرفه ولايحسنه ، ورأيت أبا بكر بن الأنباري ينسبه الى الغفلة والغباوة وقلة

المعرفة » .

وفات الأزهري ، ان استبداد ابن قتيبة بالرأي ، هـو من آثار عقليته المتحررة . . ورميه بالحدس (الظن) فيما لايعرفه، هو مصداق قول القائل : « نصف العلم قول لاأدري » وهذا من باب التـواضع عنده .

ولكن الناس مثل الطير[114] ، يتبع بعضهم بعضـاً ، ولان[115] المتفرد بفن من الفنون ، لايعاب بالزلل في غيره » .

٧ ـ ورماه إمام الحـرمين[116] الجـويني / عبدالملك بن أبي محمـد ، المتوفىٰ سنة / ٤٧٨ هـ . بمعاناته فيما لايحسنه .

والجويني ، عربي النجار ، من طيء . . إلا أنه نقم من ابن قتيبة لرميه الكلاميين بعوار القول . حيث قال[117] : « ان ابن قتيبة هجّـام ولوج فيما لايحسنـه » . وهذا الـذي لايحسنه ابن قتيبـة ، هو / علم الكلام ، كما قال ابن حجر[118] .

ومـوقف ابن قتيبة من علم الكـلام معروف ، أشـرت اليه في (فصل ثقافته / الحياة الثقافية العامة) .

وتبرأته نفسه من الكلاميين ، مفصّلة عنده في[119] « الاختلاف في اللفظ » و « تأويل مختلف الحديث » ، لأن أكثرهم فَسَقة ، وبعضهم يبيح[120] شرب الخمر . .

وكان يذهب الىٰ أن الاشتغال بعلم الكلام مهلكة ، لأن أهله « يقولون علىٰ الله مالايعلمون ، ويعيبون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذىٰ في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجداع » .

والإمام الجويني[121] الطائي ، يعد من أكابر أهل الكلام ، ومثل كلام ابن قتيبة لا « يروقه ، لأنه انغمس فيه من فرقة الى قدمه »[122] ، وإمام الحرمين ، مبارك العلم ، مبارك الطلّاب » . . وكان مع ذكائه العظيم وإمامته في الفروع وأصول المذهب (الشافعي) وقوة عارضته في المناظرة والجدل ، « لايدري الحديث كما يليق به ، لامتناً ولاإسناداً » كما قال فيه الذهبي[123] .

فهل تنقص من شأنه شيء في مكانته العلمية ، وإمامته في الجدل والمناظرة والفقه ؟

٨ ـ واتهمه الحاكم والدارقطني والبيهقي بدخل العقيدة ، فأقول :

١ ـ الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله / ابن البيّع ، المتوفىٰ سنة / ٤٠٥ هـ ، كان متهماً في عقيدته[124] ، هو الذي نسب ابن قتيبة الىٰ « النصب » . . وقد فندت هذا القول قبل قليل . .

٢ ـ الدارقطني ، علي بن عمر ، البغدادي المتوفىٰ سنة ٣٨٥ هـ ، رمىٰ ابن قتيبة بالتشبيهه .

٣ ـ البيهقي ، أحمد بن الحسين ، المتوفىٰ سنة / ٤٥٨ هـ . اتهمه بالكرّاميّة[125] .

وهؤلاء من أتباع ابن الأنباري في الإتّهام . . وذلك لأنّ ابن الأنباري كان أستاذاً للدارقطني ، وكان الدارقطني أستاذاً للحاكم ، وكان الحاكم أستاذاً للبيهقي[126] .

ثم كيف يصح في الأذهان ، أن يلبس ابن قتيبة عقيدته بالكرّامية والمشبّهة والجهمية . . وهو الذي نال من هذه الفرق الغالية[127] في « تأويل مختلف الحديث » وشنّع عليها في مواضع من « تأويل مشكل

القرآن » ، بل وضع كتابه « الاختلاف في اللفظ ، والرد على الجهميّة والمشبّهة » .

ولكن ، الهوىٰ يعمي ويُصم ، وهل بعد الإيمان إلّا الضلال ، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضاً » .

وقال الحاكم النيسابوري : « كان ابن قتيبة يتعاطىٰ التقدم في العلوم ، ولم يرضه أهل علم منها ، وإنما الإمام المقبول عند الكل : أبو عبيد » .

ثم قال : « وأجمعت الأمة علىٰ أن القتيبي كذّاب » .

أليس هذا هو الحقد الدفين بعينه ؟ ولاأدري كيف تتفق هـذه المجازفة النكراء واشتغال الحاكم بالحديث ؟ وقد رد هذا الكلام غير واحد من الأئمة[١٢٨] والمؤرخين علىٰ الحاكم ، ومنهم الذهبي[١٢٩] مؤرخ الاسلام ، بقوله : « هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله » .

ثم قـال في موضـع آخـر : « هـذا بغيٌ وتخـرّص ، بـل قـال الخطيب : هو ثقة » وعقّب على قوليه السابقين أيضاً بقوله : « ماعلمت أحداً اتهم القتيبي في نقله ، مع أن الخطيب قد وثّقه ، ومأعلم الأمة أجمعت إلّا علىٰ كذب الدجّال ومسيلمة » .

ورأىٰ الحـافظ السِّلَفي[١٣٠] (ت ـ ٥٧٦ هـ) أن سبب اتهـام الحاكم لابن قتيبة ، كان من أجل المذهب . وذهب أحد العلماء الى أن مراد السلفي (بالمذهب) هو مانقل عن البيهقي والدارقطني ، من أن ابن قتيبة كان يرىٰ رأي الكرّامية ، ويميل الىٰ التشبيه ، ومنحرف عن العترة . .

وعقب هذا العالم وهو الصلاح العلائي[١٣١] « ت - ٧٦١ هـ » وكان من الفقهاء والأصوليين والمحدّثين ، على تفسيره بقوله : « وهذا لايصح عنه ، وليس في كلامه مايدل عليه ، ولكنه جار على طريقة أهل الحديث ، في عدم التأويل[١٣٢] » .

وتناقل غير[١٣٣] من العلماء ، ردّ الذهبي والسِّلَفي ، كما عقّبوا على اتهام الدارقطني والبيهقي ، ولاننسىٰ أن الدارقطني كان كتب في (القراءات) ، وربما كان طعنه هذا ، نصرة لحمزة .

٩ - وفي « النجوم الزاهرة »[١٣٤] نقل ابن تغري بردى ، قول الدارقطني والبيهقي ، ثم عقَّب عليهما بقوله : « وذكر عنه أشياء (أي البيهقي) غير ذلك ، وكان خبيث اللسان ، يقع في حق العلماء » .

وابن تغرى بردى ، حنفي المذهب ، أتابكي من[١٣٥] المماليك .

ولاأرىٰ أفضل من توثيق العلماء لابن قتيبة . . ومن هؤلاء . .

الخطيب البغدادي ، ابن النديم ، ابن خلكان ، ابن حزم والحافظ السلفي ، وابن الجوزي ، وابن أبي الحديد المعتزلي وابن تيمية ، والذهبي ، والصلاح الصفدي .

وكلهم وصفه بالثقة والصدق ، والأمانة العلمية ، وهو بحق[١٣٦] « من أوعية العلم » وأنه « أحد أعلام الأئمة والعلماء الفضلاء . . و / من استجاز الوقيعة فيه يتهم بالزندقة » كما قال الإمام ابن تيمية[١٣٧] الذي نقل قوله المتقدم عن أهل المغرب والذين يرون أن « كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه » .

هوامش الفصل الأول

١ ـ رفع الأصر عن قضاة مصر : ١/ ٧٣ .
٢ ـ ينظر عنها : معجم البلدان ٧/ ٣٠ .
٣ ـ المروزي : نسبة الى (مرو) وهو من النسب الشاذة ، كما يقال : الرازي نسبة الى / الريّ ، راجع : معجم البلدان ، واللسان (م/ر/و) .
٤ ـ الأنساب ٤٤٣ ومعجم البلدان ٤/١٨٨ .
٥ ـ ابن الأثير ٧/٤٣٨ .
٦ ـ الأنساب ٤٤٣ وينظر : إعلان التوبيخ ٢٩٧ .
٧ ـ ابن النديم ، وابن خلكان ٣/١٤٤ ، وانباه الرواة ٢ / ١٤٧ والمزهر ٢/٤٦٥ والوافي ١٧/٦٠٧ .
٨ ـ انباه الرواة وابن النديم .
٩ ـ تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ والأنساب ٤٤٣ وانباه الرواة .
١٠ ـ العرب / رسائل البلغاء ٣٥٦ ونجد هذه الرسالة في آخر كتابنا هذا .
١١ ـ المشكل ٥٨ .
١٢ ـ راجع فهرس / عيون الأخبار ج٤ فهرس الموضوعات ، ومثله في / المعارف .
١٣ ـ راجع : غريب الحديث ج ٣ / ٨٧١ (فهرس المعربات) وأدب الكاتب / ٣٧٥ (باب ماتكلم به العامة من الكلام الأعجمي) .
١٤ ـ الشعر والشعراء ٧٣١ و / ٦٧٥ .
١٥ ـ الشعر والشعراء ٧٣٦ .
١٦ ـ راجع : ابن الأثير والطبري (حوادث سنة ٢٠٥ و٢٠٧ و /٢٥٩) .
١٧ ـ عيون الأخبار ٢/٢٢٢ .

١٨ ـ معجم البلدان ٣/٤٠٧ ـ ٤٠٩ .
١٩ ـ براون / تاريخ الأدب الفارسي ١٠٧ .
٢٠ ـ معجم البلدان .
٢١ ـ راجع : الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ٩٦ هـ) والأعلام ٥/١٨٩ ـ ١٩٠ .
٢٢ ـ راجع على سبيل المثال لا الحصر : معجم البلدان ٣/٤١٢ والأنساب واللباب (رسم / الخراساني) ، والعبر ٢/٣١ وغيرها من وفيات (سنة ٢٠٠ ـ ٣٠٠) . وتهذيب التهذيب ٤/١٣٥ (ترجمة / سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي) .
٢٣ ـ مال غير واحد من الباحثين العصريين الى (فرسية) ابن قتيبة .
راجع : الحسيني / ابن قتيبة ٥ ، والجندي / ابن قتيبة ٢٨٠ .
٢٤ ـ ومال بروكلمان / تاريخ الأدب العربي ٢/٢٢٢ الى ان أصله كان : أعجمياً أو تركياً .
٢٥ ـ راجع :/ عبدالكريم محمد المدرس ، (علماؤنا في خدمة العلم والدين) ص : ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، بغداد .
٢٦ ـ الآثار الباقية ٢٣٨ .
٢٧ ـ مشاهير الكرد وكردستان في العهد الاسلامي (ج ٢ / ٤٨) بغداد ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧م .
٢٨ ـ راجع : معجم البلدان ٤/١٨٨ والأنساب ٤٤٣ ، وابن خلكان ٣/١٤٤ .
٢٩ ـ فضل العرب / ٣٧٥ (رسائل البلغاء) .
٣٠ ـ معجم البلدان ٣/٤١٠ .
٣١ ـ فضل العرب ، وهذه النقول في : معجم البلدان أيضاً .
٣٢ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٣٠ ـ ٣١ .
٣٣ ـ فضل العرب ٣٦٠ .
٣٤ ـ فضل العرب ٣٧٤ .
٣٥ ـ معجم البلدان ٣/٤١١ .
٣٦ ـ ينظر : تأويل مختلف الحديث : ٢١ ، ٦٠ ، ٧١ ، ٧٤ .

٣٧ ـ الحسيني / ابن قتيبة ، وفيه يعزو هذا الاتساع الى قراءته لأهم الكتب الفارسية ؟

٣٨ ـ ابن قتيبة ، للدكتور إسحق موسىٰ الحسيني ، (ص / ٥) الطبعة العربية ، ترجمة / د . هاشم ياغي .

٣٩ ـ راجع عنه : ياقوت ١٥/٣ ، وإنباه الرواة ٤١/١ وبغية الوعاة ٣٠٥/١ ونزهة الألباء / ١١٢ ونكت العميان ٩٦ .

٤٠ ـ الأنساب ١٦٦/١ .

٤١ ـ راجع عنه : تهذيب اللغة ، وغريب الحديث ١٢/٢ و٣٤١ . وإنباه الرواة ١٣١/٢ ، وتاريخ بغداد ٧٢/١٠ والبغية ٢٩٠ .

٤٢ ـ راجع : ابن قتيبة ، للدكتور الحسيني / ٥٣ ، وعيون الأخبار ٤٣/١ و٧٩ و٦٢/٢، ٧٦ .

٤٣ ـ راجع : مراتب النحويين ٨٠ ـ ٨٢ وأخبار النحويين ٣٨ ، وابن النديم ٥٨ ، وابن خلكان ٤٣٠/٢، وانباه الرواة ٥٨/٢ ، وطبقات النحويين ١٠٠ .

٤٤ ـ ينظر عنه : تاريخ بغداد ٣٤٥/٦ ، والأنساب ٢٤٥ وطبقات المفسرين ١٠٢/١ ، وميزان الاعتدال ١٨٢/١ ، وتهذيب التهذيب ٢١٦/١ ولسان الميزان ٣٥٧/٣ ، وتفسير سورة الاخلاص لابن تيمية ٨٦ وتهذيب الكمال ٣٧٣/٢ .

٤٥ ـ وكانت ولادته في سنة / ١٦١ هـ .

٤٦ ـ راجع عنه : ابن النديم ١٢٧ ، والبداية والنهاية ١٣٠/١١ ، والمنتظم ١٥٢/٦ .

٤٧ ـ وروىٰ عنه أيضاً في ج١ / ٣٢ و٣٣٤ .

٤٨ ـ ابن عائشة ، هو من ولد عائشة بنت طلحة ، راجع : تهذيب التهذيب ٤٥/٧ .

٤٩ ـ تهذيب الكمال ٩٢/٤ .

٥٠ ـ ابن خلكان ٣/ ٤٤ ، واللباب ٢/ ٢٤٢ ، والأنساب ٤٤٣ والمشتبه ٢/ ٥٢٢ واللسان ١/ ٦٦٠ والتاج ١/ ٤٣٠ والنهاية ٣/ ٢٢٧ والمزهر ٢/ ٤٦٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢ القسم الثاني / ٢٨١) .

٥١ ـ ينظر : تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ ، الفهرست ٨٦ ، ابن خلكان ٣/ ٤٢ ، الكامل ٧/ ٤٣٨ ، إنباه الرواة ٢/ ١٤٤ ، نزهة الألباء ١٦٠ ، تهذيب اللغة ١/ ٣٠ ، لسان الميزان ٣/ ٣٥٧ ، نزهة الألباء ١٦٠ ، الأنساب ٤٤٣ ، اللباب ٢/ ٢٤٢ ، المزهر ٢/ ٤٦٥ .

٥٢ ـ مراقب النحويين ٨٤ ـ ٨٥ وطبقات النحويين ٢٠٠ وراجع : تاريخ العلماء النحويين ٢٠٩ ، والوافي ١٧/ ٦٠٧ وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦ .

٥٣ ـ ينظر : الفهرست ٨٦ ، وابن خلكان ٣/ ٤٢ والعبر ٢/ ٥٦ وابن الأثير : الكامل ٧/ ٤٣٨ وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ والمنتظم ٥/ ١٠٢ ولسان الميزان ٣/ ٣٥٧ ونزهة الألباء ١٦٠ ، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٤ .

٥٤ ـ تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ ومعجم البلدان مادة (بيّانة) والعبر ٢/ ٢٥٤ .

٥٥ ـ ينظر : سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٨ ، والوافي ١٧/ ٦٠٧ ، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ وابن خلكان ٣/ ٤٢ والمنتظم ٥/ ١٠٢ .

٥٦ ـ ينظر / العبر ٢/ ١٩٣ ، ذكر أخبار أصبهان ١/ ١٣٣ وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٦٥ ، تاريخ بغداد ٤/ ٢٢٩ ، وترتيب المدارك ٣/ ٢٩٢ والولاة والقضاة ٤٨٥ ورفع الأصر ١/ ٧٣ والديباج المذهب ٣٥ ومعجم الأدباء ١/ ١٦٠ ، والوافي ٧/ ٨٠ .

٥٧ ـ تاريخ بغداد ١١/ ٨ ـ ٩ ، والمشتبه ٢/ ٥٢٢ ، ورفع الأصر ١/ ٧٥ والأنساب ٤٤٣ وابن خلكان ٣/ ٤٣ (ترجمة أبيه عبدالله بن مسلم) .

٥٨ ـ صاحب (الموازنة بين الطائيين) وعنه روى غريب الحديث ، ومثله النجيرمي يوسف بن يعقوب (ت ـ ٣٢٣ هـ) وقد وصل الينا جزء من روايته لكتاب / غريب الحديث .

ينظر : غريب الحديث (ط/الجبوري) ج١ / ١٠٩ ـ ١١٠ .

٥٩ ـ ينظر : أخبار الزجاجي ٧٥ ، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ .
٦٠ ـ نزهة الألباء ٢١٤ .
٦١ ـ ينظر : غريب الحديث ١/١٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٠ والعبر ٢/٢٥٤ .
٦٢ ـ اصلاح غلط أبي عبيد ٤٢ (ط / الجبوري) ، وراجع : تاريخ بغداد ١٠/١٧٠ .
٦٣ ـ ينظر كتاب / ابن درستويه : ١٨ و٤٥ ـ ٤٦ .
٦٤ ـ راجع : مقدمة المشكل ٣٥ ـ ٣٨ وقد انتفعت بها في هذا الثبت ، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ .
٦٥ ـ راجع : غريب الحديث ١/٩٣ ـ ٩٤ .
٦٦ ـ راجع ـ مثلاً ـ عيون الأخبار ٢/١٥٢ ، والاختلاف في اللفظ والمشكل ، وتأويل مختلف الحديث .
٦٧ ـ راجع عنه : تاريخ بغداد ١٢/٣٤ ، وابن خلكان ٢/٤٥٩ والأسنوي (طبقات الشافعية) ١/٥٠٨ واللباب ١/٤٠٤ .
٦٨ ـ تذكرة الحفاظ ٣/٣٠٩ ، والأسنوي ١/١٩٨ ، وكامل ابن الأثير ١٠/ ١٨ .
٦٩ ـ طبقات الشافعية للأسنوي ١/٤٠٩ .
٧٠ ـ ينظر : تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ .
٧١ ـ ابن تيمية / تفسير سورة الاخلاص ٨٦ ، ٩٥ .
٧٢ ـ سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٩ ، وميزان الاعتدال ٢/٥٠٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٣١ .
٧٣ ـ الوافي بالوفيات ١٧/٦٠٨ ، وراجع : لسان الميزان ٣/٣٥٧ ـ ٣٥٩ ، والبداية والنهاية ١١/٤٨ .
٧٤ ـ راجع : الأنساب ٤٤٣ ، وتفسير سورة الاخلاص ، والبداية والنهاية ، والعبر ٢/١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/٥٦٦ .
٧٥ ـ سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
٧٦ ـ تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ .

٧٧ ـ الوافي بالوفيات ١٧/ ٦٠٨ .

٧٨ ـ سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٩ .

٧٩ ـ تفسير سورة الاخلاص ٨٦ ، ونقله عنه ابن حجر في : **لسان الميزان** ٣٥٧/٣ .

٨٠ ـ ذهب الى هذا الرأي الدكتور الحسيني ، في كتابه / ابن قتيبة / ٢٤ (الطبعة العربية) .

٨١ ـ الدكتور الحسيني / ابن قتيبة ٢٨ .

٨٢ ـ راجع : البيروني في / الآثار الباقية ٢٣٨ في نقده لابن قتيبة .

٨٣ ـ راجع : والعامية أيضاً (مجلة دراسات للأجيال ، العدد الرابع / س ٦ ، ١٩٨٦م) وتشريف التغريب للنابلسي مقدمته / مجلة آداب المستنصرية (العدد / ١٣ ١٩٨٦م) وهما لصاحب هذا الكتاب .

٨٤ ـ راجع : طبقات الزبيدي / ٢٠٥ ، وطبقات الأطباء ٢٠٢ ، وغريب الحديث ٣٥/١ و ٤٢ .

٨٥ ـ تأويل مختلف الحديث : ٥١ ـ ٥٥ و٦٢ وراجع : عيون الأخبار ٢/ ١٤٠ ، والاختلاف في اللفظ .

٨٦ ـ تأويل مختلف الحديث ٥٣ .

٨٧ ـ طبقات النحويين للزبيدي / ١٩٢ وتهذيب الكمال ٤/ ٢٠١ و ٢ /٢٢٣ ٤ .

٨٨ ـ ينظر : تأويل مختلف الحديث : ٨٦ و٧٣ والاختلاف في اللفظ ، والمعارف ٥٠٦ .

٨٩ ـ تأويل مختلف الحديث : ٣ ـ ٧٠ والمعارف ٦٢٢ ـ ٦٢٤ .

٩٠ ـ الآثار الباقية ٢٣٨ .

٩١ ـ راجع : الحسيني ، ابن قتيبة ١٢٩ ـ ١٣٠ .

٩٢ ـ الحسيني / ابن قتيبة ١٣٠ .

٩٣ ـ مقدمة المشكل / ٧٠ وراجع : غريب الحديث ١/ ٥٠ ـ ٥١ .

٩٤ ـ تفسير سورة الاخلاص ٩٥ .

٩٥ ـ راجع : طبقات الشافعية ٤٩/٦ (ط / الحلو) ، وغريب الحديث

١ / ١٦ ـ ١٧ وسير أعلام النبلاء ١٤/٥٦٥ والعبر ٢/١٩٣ .

٩٦ ـ طبقات الأطباء ٦٨٤ .

٩٧ ـ الحسيني / ابن قتيبة ١٠٦، ٦٧، ٦٩ .

٩٨ ـ راجع : ابن قتيبة والمدرسة البغدادية .

٩٩ ـ اصلاح غلط أبي عبيد ٤٢ ـ ٤٥ . (ط / الجبوري) .

١٠٠ ـ تأويل مختلف الحديث ٧٩ ـ ٨٠ .

١٠١ ـ مقدمة المشكل ٧٣ / و٢٣٤ وراجع : القرطبي ١/٥٨ .

١٠٢ ـ شرح نهج البلاغة ١٩/٢١٨ .

١٠٣ ـ غريب الحديث ٢/٨٨ ، وتأويل مختلف الحديث ١٥٩ ، وعيون الأخبار ١/ك ، و٥٧ و٢/٢٠٨ ، وغيرها .

١٠٤ ـ أمالي المرتضى ١/٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

١٠٥ ـ ينظر أمالي المرتضى ٢/٦٠٢ و٥٨٦ (فهرس الأعلام) .

١٠٦ ـ راجع : الحسيني / ابن قتيبة ٩٤ ، ومقدمة المحبر / ١ وبروكلمان ٢/٢٢٤ .

١٠٧ ـ الأعلام ٦/١١٤ ـ ١١٥ .

١٠٨ ـ طبقات الأسنوي ٢/٤٢١ ، وطبقات السبكي ٤/٣٣٦ (الطبعة الحسينية) ، وكشف الظنون ١/١٧٣ .

١٠٩ ـ ابن خلكان ٣/٤٣ .

١١٠ ـ ينظر : بروكلمان ٢/١٧٣ .

١١١ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٨٢ ـ ٨٣ .

١١٢ ـ عبدالحسين المبارك / مقدمة (أخبار الزجاجي) ص : ٦ .

١١٣ ـ تهذيب اللغة ١/٣٠ ـ ٣١ .

١١٤ ـ تأويل مختلف الحديث ١٤ .

١١٥ ـ تأويل مختلف الحديث ٧٨ .

١١٦ ـ راجع ترجمته في : طبقات الإسنوي ١ / ٤٠٩ ـ ٤١٢ .

١١٧ ـ لسان الميزان ٣/٣٥٧ .

١١٨ ـ لسان الميزان ٣/٣٥٧ .

١١٩ ـ ينظر : الاختلاف في اللفظ ١٢ وغيرها ، وتأويل مختلف الحديث ١٥ .

١٢٠ ـ الأشربة ١٧ .

١٢١ ـ راجع : سير أعلام النبلاء ١٨/٤٦٨ .

١٢٢ ـ مقدمة المشكل / السيد صقر ٦٢ ، وطبقات الأسنوي .

١٢٣ ـ سير أعلام النبلاء ١٨/٤٧١ .

١٢٤ ـ راجع : طبقات الأسنوي ١/٤٠٥ ، وتاريخ بغداد ٥/٤٧٣ .

١٢٥ ـ الكرامية ، نسبة الىٰ رأسها / محمد بن كرّام (ت ـ ٢٥٥ هـ) من الفرق الغالية ، وهي باطلة مشبهة ، راجع :
ميزان الاعتدال ٤/٢١ ، ولسان الميزان ٥/٣٥٣ ـ ٣٥٦ .
وكتاب « الكرامية وفلسفتهم » للدكتورة سهيل مختار .

١٢٦ ـ الأنساب ٢/٣٨١ .

١٢٧ ـ راجع : الاختلاف في اللفظ : ٢٩ و٣٢ وغيرها ، وكذلك راجع : تأويل مختلف الحديث .

١٢٨ ـ ميزان الاعتدال ٢/٧٧ .

١٢٩ ـ ميزان الاعتدال ٢/٧٧ وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٧ وراجع : لسان الميزان ٣/٣٥٧ .

١٣٠ ـ سير أعلام النبلاء ٣/٢٩٩ .

١٣١ ـ راجع عنه : الأعلام ٢/٣٢١ ـ ٣٢٢ .

١٣٢ ـ ميزان الاعتدال ٢/٧٧ وراجع : الأنساب ٥/٢٤٦ .

١٣٣ ـ راجع : لسان الميزان ٣/٢٥٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٣٠ ، وتفسير سورة الاخلاص : ١٢١ .

١٣٤ ـ النجوم الزاهرة ٣/٧٥ .

١٣٥ ـ راجع : الأعلام ٨/٢٢٢ .

١٣٦ ـ تذكرة الحفاظ ٢/١٨٧ .

١٣٧ ـ تفسير سورة الاخلاص ١٢١ ، وراجع : الأستاذ / صقر في مقدمة المشكل ٤٥ ـ ٥٤ ، وتاريخ ابن كثير ، البداية والنهاية ١١/٤٨و٥٧ ، وتاريخ بغداد ١٠/١٧٠ ، وفهرس ابن خير الأشبيلي : ٦٦ ـ ٦٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، وغيرها (حول رواية مؤلفاته) . ولسان الميزان ٣/٣٥٧ ، وميزان الاعتدال ٢/٥٠٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٣١ .



الفصل الثاني

الحياة الثقافية العامة وجهود ابن قتيبة فيها

- ١ -

بعد أن فرغ العرب من نقل مايعنيهم من تراث الإغريق ، أو كادوا ، بدأوا يتنخلون هذا الذي نقلوه الىٰ لغتهم ويتدارسون عيون نتاجه ، فزادوا عليه بما هو نافع ، وأوصلوه الىٰ أمم أخرىٰ مهذَّباً فيه فوائد جديدة محرَّراً ، حيث أفادت منه في بناء حضارتها . . وفضل[1] العرب في هذا الأمر لاينكره إلا غرٌّ معاند .

وكانت البدايات الأولىٰ في أيام الحكم الأموي ، ثم اشتد شأن الترجمة والتقاء الثقافات الدخيلة في رحاب العهد العباسي الأول ، أيام الأمين والمأمون وغيرهما . .

فعرف العرب ثقافة جديدة ، فيها الفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات وغيرها مما هو طارىء عليهم طريف عندهم . . فبدأت المدارسة لهذا النتاج ، وهبَّ علماؤهم يشرحون ويفسرون وينقدون ويضيفون . . مما ألّف منه صنيعهم موروثاً حضارياً جديداً ، فيه سمات عبقريتهم ، وآثار من نتاجهم . . فأفادوا من هذا الجديد في نهوضهم الحضاري الذي امتد ظله سبعة قرون من عمر الزمن .

وفي غمار هذا النهوض الحضاري ، قامت الدراسات الكلامية على آثار ماآبتناه كبار الفقهاء ، وأعاظم المحدّثين ، فظهرت (فرق) فلسفية ، منها ماهو من نتاج إسلامي خالص ، ومنها ماهو أمشاج من ترهات / شعوبية ومـاانطوت عليه من معتقدات فاسدة ، لحمتها المجوسية ، وسداها الثنوية وغيرها ، من (تعاليم) ديانات أخرىٰ .

ومن البديهي أن يتأثر المجتمع بهذه التيارات الفكرية ، التي كتب

لبعضها الغلَبة والسلطان . .

فكانت مدارس أخرىٰ ، أو قل مذاهب ، قامت في بعض حواضر العلم والاسلام ، أمثال : البصرة ، وبغداد . . يتصدىٰ رجالها لظلام هذا الوافد الذي بات يتهدد « العقيدة » الاسلامية ، ويعمل علىٰ هدم الوجود القومي والفكري للأمة .

وراح المجتمع العربي / الإسلامي يخوض خضم صراع عنيد ، ويمكن أن يقسم الباحث قيادة هذا الصراع الى (معسكرين) أو قل فئتين :

١ ـ الموالي .

٢ ـ العرب .

فانضم تحت لواء الموالي ، أهل الشعوبية وماينذرج في مطاويها من نحل وملل وفرق ودعاة .

وثبت عند راية / العرب كل مؤمن بالله ورسوله إيماناً صادقاً .

ومقصد الفريق الأول ، دمار الوجود القومي للأمة ، وهذا مادافع عنه رجال الفريق الثاني . . ولكل منهما تبع وجنود . . من العلماء والأدباء والشعراء ويدّرع كل فريق بمدارع سلطان أو وزير . .

فقطّع هذا الصراع المجتمع حركات ، أخذت لنفسها اسم / مدارس أو مذاهب فكرية .

أمثـــال :

أهل الحديث ، أهل الفقه (أهل الرأي) ، المتكلمون (علماء / الكلام) ، الفلاسفة ، وأصحاب الفرق الأخرىٰ ثم نشأ عن

هذه الفوضىٰ في الحياة العامة في القرنين الثاني والثالث ، اضطراب وضعف في الحياة السياسيّة التي مالت الى قبضة الأتراك ، وكان الخليفة ـ في ظاهر أمره ـ رمزاً لايملك من أداة الحكم الاّ الاسم . . إذ الغلبة في الحكم بيد الجند وربما بيد (الوصائف) .

ومأأصدق قول من قال :

خليفة في قفص بين (وصيف) و (بُغا)
يقول ماقالا له كما تقول الببغا

فوصيف وبغا ، كانا من الأتراك ، تمردوا وطغيا[2] ، حتىٰ أصبحا من كبار رجال الدولة واستوليا علىٰ / المعتز ثم قتلا في سنة / ٢٥٣ هـ .

لقد تمكن الشعوبيون من دس الشوائب الدخيلة وبث البدع والضلالات في بعض (مفاصل) العقيدة الاسلامية ، بحجة النزوع الىٰ الحفاظ عليها ؟ ثم استطاع اتباع مزدك والسبأية اليهودية الذين دخلوا الاسلام لأجل الكيد له[3] والإطاحة بسنامه (العرب) ـ من بث سمومهم في الحياة العامة ، حتى عمَّ الاضطراب وطمَّ الخراب في أكثر أقطار السلطان العباسي .

ثم قويت شوكة الزنج ، واشتد بلاء الهجمات الخرميّة ، وظهر القرامطة . . وهم[4] « قومٌ تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع » . . وهم في أصولهم من أتباع مزدك وزرادشت ، ومن

المعروف ، أن المزدكية[5] « تنفرد بالإباحة المطلقة في الأموال والنساء » .

وأتاح هذا الطغيان من الفتن والملاحم ، الهيمنة لظهور الزنادقة[6] وماتفرع منها . .

فالمانوية تقوم علىٰ المبدأ الثنوي « من أن للعالم إلهين اثنين ، أحدهما إله النور والآخر إله الظلمة » .

وانطوت هذه الملل والنحل تحت راية الباطنية ، التي اتخذت الاسلام ديناً ظاهراً ، إذ أنهم أيقنوا أن محاربتهم له أمر بعيد عسر ، فآمنوا أن الدخول فيه هو السبيل الأمثل لمحاربته من الداخل . .

وأول خطوة قامت بها الباطنية (بكل فرقها) الانكباب على دراسة علوم الشريعة وعلوم العربية ، لتكون لهم سلّماً لتحقيق مقاصدهم اللئيمة . . وتمكنوا من وضع الأحاديث وتلفيق الأخبار ، وإشاعة الجدل للتشكيك بالعقيدة لذلك كثرت الفرق[7] الكلاميّة ، وعدتها : المنطق والفلسفة وأساسها الجدل . . فترجمت كتب الفلاسفة ، وكتب (الزنادقة)[8] القديمة ، حتىٰ عظم شأنها في الحياة الثقافية ، مما جعل الخليفة المعتضد بالله أحمد بن الموفق (ت ـ ٢٨٩ هـ) يقوم بمنع بيع [9] كتب الفلاسفة والجدل ، وتهدد ذلك ، ومنع المنجمين والقصاص من الجلوس .

هذه لمحة خاطفة لتصوير الحياة العامة في المدة التي وقعت فيها حياة ابن قتيبة ، (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ) . . وقد شهدت حكم عشرة من خلفاء بني العباس ، ابتدأت من حكم المأمون (ت ـ ٢١٨ هـ) وانتهت بأيام حكم المعتمد علىٰ الله .

وقد انتهت حياة بعضهم بالقتل علىٰ أيدي الموالي[10] ، الذين تغلبوا عليهم في الحكم . . فكان منهم كبار قواد الجيش ، وأمراء الدولة ، والوزراء ، والولاة .

ومن أشد هذه الفتن التي كانت[11] « تغلي وتستعر » بلاء علىٰ العقيدة الاسلامية ، فتنة القول بـ (خلْق القرآن) ، التي أظهرها المأمون سنة / ٢١٢ هـ ، واشتد شأنها أيام المعتصم بالله (ت ـ ٢٢٧ هـ) وكان من أبطالها الإمام الزاهد أحمد بن[12] محمد بن حنبل الشيباني (ت ـ ٢٤١ هـ) . . وكان من رجالها الذين ثبتوا على الحق ورفضوا القول بخلق القرآن :

محمد بن نوح العجلي (ت ـ ٢١٨ هـ) وأبو نعيم الفضل بن دكين الملائي الكوفي (ت ـ ٢١٩ هـ) وعفان بن مسلم الحافظ البصري (ت ـ ٢٢٠ هـ) الذي كان يعد من أركان الحديث في عصره ، وأحمد بن نصير الخزاعي الشهيد ، الذي أغلظ القول للواثق بالله ، وقال له : « ياصبي » ، ثم قتله (الواثق بالله) بيده سنة / ٢٣١ هـ . . وغيرهم كثير[13] .

مدرسة أهل الحديث

ـ ٢ ـ

وأمام هذه الفرق والملل والنحل ، نهضت مدارس مجاهدة من الغير من أعلام الفكر الإسلامي ، لترد عادية أهل البدع والضلال ،

وتثبيت العقيدة في النفوس ، فكانت مدرسة أهل الحديث ، ومن أركانها : ابن حنبل ، ويحيى بن معين ، وابن راهويه الحنظلي (شيخ ابن قتيبة) التي تنامى صوته الى كثير من حواضر العلم والثقافة . . وأعاد لأهل الحديث[illegible] مكانتهم في (خراسان) حيث وجد من (الطاهريين) هناك رعاية[illegible] وحمىً ، فلاذ به من بطش بعض الخلفاء العباسيين في (المدة الممتدة بين ٢١٨ - و٢٣٤ هـ) أي : من أيام المأمون حتى تولي المتوكل الخلافة[illegible] (فرفع المحنة وأظهر السنّة) ولم يكن ذلك حرصاً من (آل طاهر الفرس) على الاسلام بل مناوءة للخلافة في بغداد وتمهيداً لقيام حكم منفصل عنها .

وكان ابن راهويه / إسحق بن ابراهيم ، علماً كبيراً من أفذاذ العلماء ، نعته الذهبي بـ (عالم المشرق) . . وكان يحفظ سبعين ألف حديث ، حتى قال فيه ابن حنبل[illegible] : (لاأعلم بالعراق له نظيراً) .

وأرى أن رحلة الطالب الى شيخه ، كانت لسببين :

الأول : شهرة الشيخ / ابن راهويه .

والثاني : ميل ابن قتيبة لمدرسة أهل الحديث .

فشهرته[illegible] التي طبقت الأفاق ، جعلت الرحلة تشد اليه من الأقطار . . فهذا الحافظ الثقة الذي كان يحفظ من الحديث الشريف ماذكرته لك - قبل قليل - ويحفظ أربعة آلاف حديث موضوع إلى جانب الأحاديث الصحيحة ، ثم إنه كان يعرف موضع مائة ألف[illegible] حديث . . كما عرف عنه الزهد والورع ، كما هو سمت أهل الحديث ، وقد وثقه غير واحد من أئمة الحديث ، فهو صادق عندهم ، بل

« ساد[٢٠] أهل المشرق والمغرب بصدقه » . .

ومجمل هذه الصفات انطبع بها منهج ابن قتيبة ، وأشبع حب الحديث والدفاع عنه ، كما عاش حياته مجاهداً في سبيل الذود عن حمىٰ القرآن الكريم . . وإظهار فضل حمَلَة الرسالة الإسلامية « العرب » ومحاربة الشعوبية . وكان من آثار هذا الجهاد الفكري ، تأليفه رسالته « فضل العرب والتنبيه على علومها » ، والتي وضعها بإشارة من ابن راهويه[٢١] / الحنظلي الغطفاني[٢٢] . .

وإذا أخذنا برواية ابن خلكان التي حكىٰ فيها سنة ولادة ابن قتيبة ، وقال : إنها وقعت في سنة / ٢١٣ هـ . . فتكون سنّ ابن قتيبة عند رحلته الىٰ / ابن راهويه في حدود سبعة عشرة سنة ، وربما تزيد عليها بقليل ، ومكث عنده حتىٰ سنة / ٢٣٨ هـ وهي سنة وفاة شيخه . حيث رجع إلىٰ البصرة وعمره خمس وعشرون سنة . .

ابن قتيبة وأهل الكـــلام

ـ ٣ ـ

وفي البصرة رهطٌ من المعتزلة وجمهور من أهـل الكلام ، ومحدّثون ، وفقهاء وقرأة . . والصراع بينهم على أشدّه ، وكان (علم الكلام) آلة بيد البحث في العقائد . . إذ هو « علم[٢٣] مبين فيه مايجب اعتقاده في حق الله تعالىٰ ، وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام » .

وموضوعه[٢٤] : « هو ذات الله تعالىٰ ، وصفاته وذات الممكنات

من حيث استنادها الىٰ الله تعالىٰ » .

إذن ، كان لابن قتيبة أن يلم بهذا العلم ليكون سلاحاً بيده يرد به مطاعن الملاحدة وأهل البدع والضلال . فجلس الىٰ بعض شيوخه ، وأخذ عنهم ، وكان منهم أبو عثمان الجاحظ . . الذي كان رأساً لفرقة من فرق المعتزلة .

غير مالبث أن تحول عنه ، وانصرف عن أهل الكلام ، فالجاحظ عنده[٢٥] : « آخر المتكلمين ، والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفاً ، لتعظيم الصغير حتىٰ يعظم ، وتصغير العظيم حتىٰ يصغر . . ويبلغ به الاقتدار الى أن يعمل الشيء ونقيضه » .

إلاّ أنه رماه بالتقلب وعدم الثبات على رأي واحد . . و « أنه يستهزىء من الحديث استهزاءً لايخفىٰ على أهل العلم » .

ولم يتحرج ابن قتيبة من تشنيعه عليه بالكذب والوضع ، ومناصرته الباطل .

أمّا انصرافه عن أهل الكلام ، فلأنه وجد فيهم خروجاً على العقيدة[٢٦] وجوهرها ، حيث أن منهم من يبيح[٢٧] الخمر ويرىٰ حلّها ، ومنهم من يجيز زواج تسع من الحرائر ، الىٰ غير ذلك . . فهؤلاء هذه بعض صفاتهم ، فكيف يتعلق أحد بهم أو يتبع مذاهبهم ، وهذه « نحلهم » وهكذا اختلافهم » .

وهم علىٰ تطاول الزمان بهم ، و « علىٰ المقابسات والمناظرات لايزدادون إلاّ اختلافاً ، ومن الحق إلاّ بُعْداً » .

وقد شحن كتابه « تأويـل مختلف الحديث » بـألوان من النقـد الشديد للمتكلمين ، وبينّ عوار طرائقهم ، وبطلان منهجهم ولم ينس أن يرد عليهم طعنهم على الحديث[٢٨] الشريف ، وتغليبهم العقل[٢٩] على النقل ، وأن إجماع العقلاء حجة عندهم ، ثم إنهم رفضوا[٣٠] العمل بخبر الواحد العدل ، وأنه لايوجب العلم ، ولايحتج به . . وفي هذا المذهب تعطيل للسنّة[٣١] ، إذ هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم . وأدار تشنيعه عليهم ورد مطاعنهم في كتبه الأخرىٰ ، مثل : « تأويل مشكل القرآن » و « الاختلاف » .

وعندي أن « تأويل مختلف الحديث » من أجـل كتب النقد في العقـائـد . . ومـوضـوعـه طـريف نـادر ، لم يكتب أحـد مثله قبـل ابن قتيبة . . وهو مع تمكنه من « علم الحديث » وتوفره علىٰ مدارسه فنونه ، والوقوف عـلىٰ مكنونـات خبره ، ومعـاناتـه لمتونـه ومراجعـة أسانيده ، فإنه لم يبـح لنفسه التحـديث . . لعلمه أن هـذه منزلـة لم يبلغها . . والخبر الذي ساقه الذهبي في أثناء ترجمة ابن قتيبة ، في[٣٢] « سير أعلام النبلاء » وبينّ فيه إباء ابن قتيبـة عن التحديث ، حينـما اجتمع إليه نفر من طلاب العلم في بغداد ، وطلبوا إليه أن يملي لهم شيئاً في الحديث . . وقال : « اللهم سلّمنا منهم » ثم ألحوا بالطلب اليه ، فقال : « ليس أنا ممن يحدّث ، إنما هذه الأوضاع ، فمن أحب ؟ . . تسألوني أن أحدث وببغداد ثمان مئة محدّث ، كلهم مثل مشايخي ، لست أفعل » .

وعلّق الـذهبي علىٰ ذكـر عدم تحـديث ابن قتيبـة بقـولـه[٣٣] :

« والرجل ليس بصاحب حديث » . .

فالرجل عرف قدر بضاعته في « الحديث » وأنه لم يجرؤ على القاء دلوه مع دلاء المحدّثين . . وأبى حتى أن يحدث مما عنده عن شيخه ابن راهَوَيْه . .

وهذا هو سَمْت العلماء الذين يعترفون بالتقصير ، ولا يجعلون من أسلوب المكاثرة سلّماً للشهرة . . ولاأدري كيف سوّغ باحث[٣٤] عصري لنفسه أن يبعد ابن قتيبة عن المعرفة بمبادىء (علم الحديث وروايته) . . وأنه كان يعمد إلى إثبات شاهد من الشعر . « وكأنه حديث من الأحاديث يدعم به حجته » .

وأشار الى بعض المواضع من « تأويل مختلف الحديث » . .

وفات هذا الباحث الفاضل . أن كتاب ابن قتيبة كان من كتب النقد / العقائدي والحديثي . . فهو مضطر الى إيراد شواهد من الحكم المأثورة أو من الشعر لتأييد رأيه وتقوية حجته في رد خصومه .

ولو وقف الباحث على كتاب : « غريب الحديث » وفيه مافيه من معرفة تامة بأصول التحديث ، وسرد المتون بأسانيدها وطرقها المختلفة ، لرأى أي نَدْف كان يندِفُها ابن قتيبة . .

فمنهج ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث) منهج نقدي قبل كل شيء ، لأنه أراد فيه ردّ مطاعن أهل[٣٥] الكلام وثَلْبهم أهلَ الحديث وامتهانهم ، وإسهابهم بذمهم ، ودفع ظاهر التناقض في بعض متون الحديث ؛ ولأجل هذا المنهج ، أسقط الأسانيد ، مكتفياً بالمتن . .

أمّا مسألة[٣٦] (تقديمه الإجماع على الحديث) التي نبزه بها هذا الباحث ، فهي ليس كذلك ، إنما هذا باب يعرفه أهل الفقاهة

والأصوليون . . لأن من رحمة الشارع أن أباح لكل جيل أن يعمل وفق ماتفرضه (ظروف عصره ومصره) بشرط عدم الخروج على نصوص التشريع[٣٧] .

في الفقــه

ـ ٤ ـ

وبعد أن فرغت من ذكر رافدين من الروافد التي تكـونت منها ثقافة ابن قتيبة .

أعرج الىٰ جهده في : (الفقه) ودرسه الفقهي كان من أصول معرفته الأولىٰ ، ولأنه تولّىٰ القضاء في مدينة (الدينور) وللفقه في نوال هذا المنصب خطر عظيم .

فأقول : ذكرت كتب الطبقات ان لابن قتيبة كتاباً أو أكثر من كتاب . . وعرفوه باسم « جامع الفقـه » و « الصيام » و « الأشـربة » ولكن لم يصل شيء من الأول أو الثاني ، كما لم يذكرهما ابن قتيبة في أي كتـاب من مؤلّفاتـه . . ومما لاشـك فيه أنـه كتبهما في مـطالع حيـاته العلمية ، وربما وضعهما أو أحدهما للمبتدئين في دراسة الفقه ، إذ لم يكن الرجل فقيهاً ، وليس من همّه التأليف فيه ، إنمـا هو رجـل لغة وأدب ، اتخـذ من اللغة أداة لخـدمة مـطالب القرآن الكـريم ونصرة العقيدة . وإظهار فضل العرب ، وهذا بيّن يقوم لتأييده أكثر من حجة وبرهان .

ومن حصيلة درس لنهجه في معالجة الخلاف في بعض متون الحديث ، توصل باحث الىٰ أن لابن قتيبة / مدرسة في الحديث ، بناها علىٰ أصول ثلاثة مقرونة بنهجه الفقهي وهذه الأصول هي :

١ ـ مخالفته مدرسة أهل الحديث الأصلية ، برفضه الأخذ بالرأي في جميع الحالات .

وحجته : أنه فضّل الأخذ بالإتباع . .

٢ ـ تقديمه الإجماع علىٰ الحديث . .

٣ ـ نقل في « تأويل مختلف الحديث » آراء لاتمثل أية مدرسة من مدارس الفقه .

أقول : وردّي هذا الرأي الذي جاء به الباحث(٣٨) الجليل ، أن ابن قتيبة عالم متقن ، له نزوع حر لايقيده بمدرسة أو مذهب . . لأنه من « علماء مدرسة أهل الحديث » بدليل أنه لم يؤثر عنه أنه تمذهب(٣٩) بمذهب معروف من المذاهب الفقهية . وكان يضفي علىٰ أصحاب هذه المذاهب مايستحقون من صفات كقوله في أبي حنيفة (رضي الله عنه)(٤٠) : « وقد قيل لأبي حنيفة ، وكان في الفتيا ، ولطف النظر واحد زمانه » . .

وهاك الخبر الذي حكاه تلميذه / قاسم بن أصبغ البياني ، وقد ورد عليه من الأندلس ليأخذ عنه ، وعن علماء بغداد . قال قاسم : « وله في الفقه كتاب ، وله عن ابن راهويه شيء كثير .

قيل لابن أصبغ : فكتابه في الفقه كان يتفق عنه ؟ قال : لا والله . لقد ذاكرت الطبري وابن سريج ، وكانا من أهل النظر ، وقلت : كيف كتاب ابن قتيبة في الفقه ؟ فقالا : ليس بشيء ،

ولاكتاب أبي عبيد في الفقه ، . . . ثم قالا : ليس هؤلاء لهذا ، بالحري أن تصحَّ لهما اللغة ، فإذا أردت الفقه ، فكتب الشافعي وداود ونظرائهما[41] وهو كذلك . . رجل لغة وأدب ، وهو أكد قاعدة لطيفة في (التخصص العلمي) بقوله[42] : « وإنما يجب علىٰ كل ذي علم ، أن يتقن فنه ، إذا احتاج الناس اليه فيه ، وانعقدت له الرئاسة به » .

وفضّله ابن تيمية على ابن الأنباري في / معاني القرآن والحديث ، والفقه »[43] « وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة ، لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة » .

وحسب ابن قتيبة هذا الفضل وهذا العرفان من الإمام ابن تيمية .

وحسبه أيضاً مشاركته في الدرس الفقهي بكتابه « الأشربة » وإن لم يكن كتاب فقه خالص ، إنما طابعه العام هو الفقه . . وخلاصة منهج ابن قتيبة ، أنه كان منهجاً أصيلاً ، وهو منهج أهل الحديث الذي يقوم أصلاً على السَّنَد ، وهو أفضل ماأفاد منه المؤرخون من المحدِّثين »[44] .

جهود ابن قتيبة في الثقافة العامة

- ١ -

في المعارف العامـة

من خلال الثبت الذي تقـدم في ذكر شيـوخ ابن قتيبة ، يمكن للدارس أن يرسم صورة لثقـافته ، وهم من أعـلام عصره ، ومنهم اللغوي والنحوي ، والمفسّر والمحدّث والفقيه والأديب والأخباري . . وإذا ضممنا الىٰ هذا الرافد ، مدرسة الأصمعي في الرواية والأدب . . وزد عليها (عقلية) ثاقبة درست فهضمت ، وتـوفرت عـلىٰ المعارف فبرعت بالنتاج الجيّد . . كل هذا مكّن لابن قتيبة أن يرفـد موروثـنـا الثقافي بدرر لوامع من جلائل الأعمال . . ومن هذه الأعمال :

١ ـ كتبه في الثقافة العربية العامة .

٢ ـ كتبه في علوم القـرآن .

٣ ـ كتبه في علوم العربيـة .

فمن النوع الأول ، مؤلفاته : المعارف ، عيون الأخبار ، الميسر والأقداح ، تعبير الـرؤيا ، وتـأويل مشكـل القرآن ، وتفسـير غريب القرآن ، والقراءات من النوع الثاني .

أما كتبه من النوع الثالث ، فقد كانت : أدب الكاتب ، والشعر والشعـراء ، غريب الحـديث ، إصلاح غلط أبي عبيـد ، المسائـل ، المعاني الكبير .

فهذه الكتب التي توزعت على فنون المعرفة والعلوم عند العرب

منذ جاهليتها حتىٰ مطالع القرن الثاني . . هي حصيلة عقل كبير ، ثقف ماوسعه الجهد من معارف عصره ، وهو يمثّل حياته الثقافية أجل تمثيل .

فالمعارف ، وعيون الأخبار ، يؤلّفان (وحدة موضوعية) في موضوعاتهما ، وهما خير زاد لمن يريد الأخذ بكل فن بطرف ، أي : كتبه للمثقف ، الذي فُضِّل بالعلم والبيان علىٰ العامة ، « اذ كان لايستغنىٰ عنه في مجالس الملوك إن جالسهم ، ومحافل الأشراف إن عاشرهم ، وحَلَق أهل العلم إن ذاكراهم ، فإنه قلَّ مجلس عقد علىٰ خبره ، أو أسس لرشد ، أو سُلك فيه سبيل المروءة ، إلاّ وقد يجري فيه سبب من أسباب المعارف » .

وهذه الأسباب تتناول أخبار الأنبياء ، والأمم القديمة ، وأيام العرب ، وتاريخ ملوكهم وقبائلهم ، والتعريف بأنسابهم ، كما تأخذ بالتعريف بأخبار الرسول محمد (ﷺ) وذكر كل مايتصل به ، من يوم مبعثه حتىٰ أن قبض . . ثم اشتملت على أخبار الصحابة ، والفقهاء ، والقراء ، والمحدثين ، والمعلّمين ، ورواة الشعر واللغة ، والنحاة ، كما ذكر المساجد المشهورة ، وفصل في تاريخ بنائها .

ولم ينس المؤلف ذكر البلدان ، والجزيرة العربية وتحديد السواد ، والأنهار والجبال . وأديان العرب وصناعات الأشراف في الجاهلية ، وذكر الطواعين وأوقاتها ، والأيام المشهورة .

ثم أخبر عن ملوك الحيرة واليمن . .

وكان غرض المؤلف : « الايجاز والتخفيف ، والقصد للمشهور

من الأنباء دون المغمور . . » . . وبسط بين كتابه مقدمة وجيزة ختمها بهذا الكلام : « وأرجو أن أكون قد بلغت لك منه منية النفس ، وثلج الفؤاد ، ولنفسي ماأمّلت في تبصيرك وارشادك من توفيق الله وحسن الثواب » .

وهذا النسق من الأخبار لتاريخ الخليقة والعرب ، ينم عن قدرة بارعة في الجمع والتأليف الذي أصاب فيه ابن قتيبة نصباً عظيماً في الترتيب والتبويب الفائقين . . وهذه الخاتمة في المقدمة . . صورة من صور (المقدمات) عند المؤلفين في عصرنا الحاضر .

ثم عليك أن تعرف ، أن تسمية الكتاب بـالمعارف ، هـو أمر مبتكر في الاسم والمادة والترتيب وحسن العرض ، وتقديم المادة العلمية فيه الى القارىء مؤلفة بعضها الى بعض .

وإن سبقه غير واحد من[٤٥] المؤلفين العرب الى مثل عمله في سرد أخبار الماضين من الأمم والأقوام ، إلّا أنه امتاز عليهم بنسق التأليف ، وحسن التبويب وهو ـ بحق ـ[٤٦] « موسوعة تتصف بالتنسيق ، مختارة أحسن الاختيار ، وقد جمعت كل مايعني الناس أن يعرفوه عن أسلافهم من أخبار » .

ولم يسلم ابن قتيبة من اللمز من خصومه ، فادعوا حسداً منهم وحقـداً ان (المعـارف) يكـاد يتفق وبعض مـواد كتـاب (المحبّـر) لمحمد بن حبيب البغدادي[٤٧] (ت ـ ٢٤٥ هـ) .

وقيل : ان ابن قتيبة نقل مادته منه ، (فـالمحبر) يتحـدث[٤٨] عن :

١ ـ المدد التي بين الأنبياء / عليهم السلام .

٢ ـ أعمار الأنبياء .

٣ ـ ذكر تواريخ العرب .

٤ ـ ذكر مولد النبي (ﷺ) .

٥ ـ أسماء الخلفاء الراشدين .

٦ ـ أسماء الخلفاء الأمويين والعباسيين . و (المعارف) يحدث عن هـذا كله مع (تلوين) في العنـاوين ومخالفـة في الترتيب .. وابن قتيبة نقل مادة (المعارف) عن شيوخ ذكر أسماءهم .. (راجع فهرس رجال السند ص ٦٨٣ ـ ٦٩٠) .

ويعـد ابن قتيبة من أوائـل المؤلفين العـرب الـذين أفـادوا من (التوراة) و (الانجيل) . . فقد أكثر من النقل عنهما في كتبه : تأويل مختلف الحديث ، وعيون الأخبار ، وغريب الحديث ، وتأويل مشكل القرآن ، وغريب القرآن ، والمعارف .

ولعله وقف علىٰ ترجمة متقدمـة من (العهد القـديم) . . وقد جمع / كارل[٤٩] بروكلمان مادة من هذه النقـول كما وردت في كتـاب (الوفا) لابن الجوزي الذي اعتمد نقول ابن قتيبة في كتابـه (أعلام النبوة) .

ومن النصفة أن نقول : ان مـادة (المعارف) أصيلة ، إذ أنها وصلت عن طـريق رواة عصـريـين لابن قتيبـة ، ومنهم طـائفـة من شيوخه .

وبعد ، (فالمعارف) لون من ألـوان ثقافـة ابن قتيبة ، وإنـك

لتعجب من ذلك الحشد الذي توفر عليه ، من رواة ، وكتب وأخبار استمد منها مادته ، توزعت على موضوعاته[٥٠] .

ويكمل ابن قتيبة مادة (المعارف) بمواد جديدة لم يذكرها فيه ، فذكرها في « عيون الأخبار » الذي وضعه للعامة والخاصة « وفي كل فريق من هؤلاء قسمه ، ووفر عليه سهمه » . فجمع فيه فنوناً من المعارف من آثار السلف ، وسير الملوك[٥١] ، وفطن الشعراء ، والمتخير من كلام البلغاء وهو من كتب الثقافة العامة في عصره ، فهو ينقلك من روض البيان العربي الى ألوان الأطعمة ، ومن ضروب السلاح الى السؤدد والسلطان ، ومن الطبائع والأخلاق الى أفانين العلم ، ومن الزهد الى النساء ومن الحوائج الى الأخوان . وهذه الموضوعات ضمتها أبواب أطلق عليها المؤلف اسم الكتاب . .

وهذا اللون من التأليف الذي يعتمد المختارات من كل لون من ألوان الثقافة يفيد منه (المثقف) ليشحذ ذهنه ويزيد في دائرة معارفه . . إذ هي[٥٢] « لقاح العقول ونتاج أفكار الحكماء » . . لذلك عدّه ابن دريد[٥٣] من « متنزهات الدنيا » .

ومن الحري بالدرس ، أن (عيون الأخبار) يضم شيئاً من آراء ابن قتيبة في النقد والشعر . . وهي مع نظائرها التي ضمتها مقدمة (الشعر والشعراء) من أصول النقد الأدبي . . كما ضم مختارات جيدة من عيون كلام الشعراء ، وبارع نتاج الأفكار ، ومنها مختارات من كلام فلاسفة الإغريق وغيرهم . . وقصد المؤلف من تقديمها لقارئه أن يزيد بها في ثروته الثقافية ، بعد أن وضع له كتاباً يعصم بمادته لسانه وقلَمه

من اللحن والخطأ وذلك هو : (أدب الكاتب) فجاءت مادة[٥٤] (عيون الأخبار) لتدله على معالي الأمور وكريم الأخلاق ، زاجرة له عن الدناءة عن القبيح ، لترشده الى حسن التقدير والتدبير ورفق السياسة ، وقد انتهج ابن قتيبة فيه نهج شيخه الجاحظ في (البيان والتبين) وذلك بترويج القارىء من خلال بث ألوان الطرائف والفطن اللطيفة ، ولم يخله من « كلمة معجبة وأخرىٰ مضحكة » وبذلك يخرج القارىء عن « كد الجد وإتعاب الحق » وهو يتقلب في فنون من أبواب المزاح والفكاهة . . وقد ضمّت مقدمته آراء في التربية وبناء الثقافة ، بسط المؤلف فيها معالم تأليف كتابه ، الذي جمع فيه عيون الأخبار والأشعار المختارة أودعها أبواباً مجموعة منسّقة . .

وأرىٰ أن « الميسر والقداح » جزءاً متمماً لعيون الأخبار ، حيث أودعه ابن قتيبة بعض المعارف المهمة عن الحياة الاجتماعية للعرب في جاهليتها . . وهو لون جديد لم يسبقه فيه سابق من مؤلفينا المتقدمين . .

وهكذا تكون ثقافة ابن قتيبة عامة ، صرفها في تبيان مكارم الأخلاق وفضائل الشرف ، قصد منها ـ مجموعة ـ خدمة الثقافة العربية / الاسلامية . وفيها دروس مهمة في التربية والتعليم والأدب والشعر والنقد والتاريخ لتكون حفزاً للهمم وشحذاً للعزائم في (بناء الشخصية العربية) . . وهذا هو الجهاد الفكري لأديب (ملتزم) كما نقول اليوم ، كل ذلك لأجل العقيدة والأمة فتراه يتنقل بين أفانين الأدب ، وعيون التاريخ والأخبار حيناً ، وبين أفاويق المعرفة ومباسم الشعر ، ومنطق المتكلمين والفلاسفة حيناً آخر .

أما كتابه « تعبير / تأويل الرؤيا » ، فكما ذكرت ، أنه[**] مخطوط . . ولاشك أنه من نمط كتب هذا الفن الجيدة .

- ٢ -

في علوم القرآن الكريم

ويأتي في النوع الثاني من ثقافته ، وآثاره في /علوم القرآن الكريم ، ومنها : تأويل مشكل القرآن ، وتفسير غريب القرآن ، والقراءات . . وكلها تدخل في دائرة خدمة العقيدة ومدافعة أباطيل أهل الضلال والبدع والملاحدة .

أما الأول :

فانه مؤلَّف فريد في بابته ، طريف في موضوعه ، وقد أفاد ابن قتيبة من معارف عصره في علوم القرآن ، حيث تتبع ماورد في مادته مباحث العلماء المتقدمين ، وأخذ عنهم مارآه نافعاً ومفيداً ، كما انتفع بجهود أبي عبيدة في (مجاز القرآن) والفرّاء في (معاني القرآن) وأبي عبيد القاسم بن سلاّم في جملة من كتبه ، ومنها : (فضائل القرآن) . .

وإن قصره ابن قتيبة على ردّ مطاعن أهل الزيغ والجهالة على القرآن الكريم ، وهو ضرب من ضروب الصراع بين أهل الحديث وبين بعض الفرق الفلسفية ، أمثال : المعتزلة ، وأهل الكلام ، ونحوهما .

إلّا أنه يعد من أوائل الكتب التي عالجت فنون البلاغة ، أو قل : التفسير من وجهة بلاغية ، بعد كتاب « مجاز القرآن » .

لقد فصّل ابن قتيبة منهجه في تأليف (المشكل) ، بقوله : « فألفت هذا الكتاب ، جامعاً لتأويل مشكل القرآن ، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح ، وحاملاً مالم أعلم فيه مقالاً لإمام مطّلع على لغات العرب ، لأُري به المعاند موضع المجاز ، وطريق الإمكان ، من غير أن أحكم فيه برأي ، أو أقضي عليه بتأويل ، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير . إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفته ، وعلى إيمائهم حتى أوضحته ، وزدت في الألفاظ ونقصت ، وقدّمت وأخّرت ، وضربت لبعض ذلك الأمثال والأشكال ، حتى يستوي في فهمه السامعون » .

من هذا المنهج ، نتبين أن ابن قتيبة قصد أن يكون كتابه ، كتاب لغة وإعراب ، وأدب ، كما ضم في ثنايا مباحثه مطالب مهمة في الدرس البلاغي ، حيث عرض لأبواب المجاز والاستعارة ، وتضمين الألفاظ للمعاني ، وعلاقة البلاغة بالنحو ، والكناية والتعريض .

وهذه المباحث البلاغية ، حريّة بالدرس والنقد ، لأنها من أوائل مسائل البلاغة التي وردت في كتب المفسّرين ، بعد « مجاز القرآن » .

كما أنها تنفع في إعادة كتابة / تاريخ البلاغة العربية ، ولاأدري كيف غفل عن نفعها الدارسون في (علم البلاغة) . . لأنهم أرخوا بداية ظهورها بقطوف الجاحظ ، ثم ذكروا « البديع » لابن المعتز (ت ـ ٢٩٦ هـ) الذي كتبه في سنة / ٢٧٤ هـ . . وبقيت الشقة بين الجاحظ وابن المعتز خلواً عن النتاج البلاغي !

والمشكل كما عرّفه ابن قتيبة بقوله : « وأصل التشابه أن يشبه

اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيـان مختلفان ، ومنـه يقال : اشتبـه عليّ الأمر ، اذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينها ، وشبهت عليّ ، إذا لبّست الحق بالباطل . .

ومثل المتشابه : المشكل ، وسمّي مشكلاً لأنه أشكل أي : دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله ، ثم يقال لما غمض ـ وان لم يكن غموضه من هذه الجهة ـ مشكل ، وقد بينت ماغمض من معناه لالتباسه بغيره ، واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه ، وتفسير المشكل الذي ادّعي علىٰ القرآن فساد النظم فيه . . » .

ومن مباهج الدرس اللغوي المتلألئة في ثنايا مطاوي (المشكل) نظرات صائبة في التضمين ، والنحو ووفيهما بدوات « نظرية النظم في القرآن » التي فصّلها الجرجاني عبدالقاهر في « دلائل الإعجاز » .

ومن هذه المباهج ، فكرة رد مفردات المادة اللغوية الى أصولها المعنوية المشتركة ، وابن قتيبة في هذا الفن هو الذي أوحىٰ لمن جاء بعده من علماء اللغة الذين ذهبوا الىٰ صنيعه ، ومنهم[٥٦] : ابن جنّي أبو الفتح (ت ـ ٣٩٢ هـ) الذي كتب في هذا الشأن في « الخصائص » . . ومثله ابن فارس[٥٧] (ت ـ ٣٩٥ هـ) الذي أقام « مقاييس اللغة » على هذا المحور . . ثم أدار فكرة « الصاحبي في فقه اللغة » على نهج ابن قتيبة في المشكل . . وقد انتفع به انتفاعاً كبيراً ، غير أنه لايذكر صاحبه إلاّ في موضع النقص والانتقاد ، وكان يتعجـل في نسبة الخـطأ اليه ، وهـو لغيره ، وماذلك إلاّ تحاملاً عليه وحقداً[٥٨] .

والمشكل ، مظهر عظيم من مظاهر الدفاع القوي عن حرمات

كلام الله تعالىٰ . . رد به ابن قتيبة عادية الشكوك الفلسفية ، التي اشتد سعارها في عصره . ومن جلائل المباحث فيه : أقباس من القراءات ، وقد عرضت لها بمبحث خاص بها .

وكما تقدم ، أن ابن قتيبة من مدرسة (أهل الحديث) التي رفعت لواء التصدي لهجمات القول بخلق القرآن ، فإنه جعل يـرد مطاعن القائلين بها في كل سانحة تقع له ، فقد عالجها في غير موضع من آثاره : (تـأويل مختلف الحـديث)[٥٩] و (الاختلاف بـاللفظ) الـذي جمعه لتحقيق مقاصد ردّه .

فإنه ألمع في الأول[٦٠] إلى القراءة أمخلوقة هي أم لا ؟ فقرر أنها من القرآن ، والقرآن غير مخلوق سواء أكان قراءة أم سماعاً أم حفظاً . . وهذا ماأطبق عليه رأي الجمهور واتفقت كلمتهم ، وهم من « العلماء المبرزين والفقهاء المتقدمين ، والعبّاد المجتهدين الـذين لايجارَوْن ، ولايبلغ شأوهم . مثل : سفيـان الثوري ، ومـالـك بن أنس ، والأوزاعي ، وشعبـة ، والليـث بن سعـد ، وعلماء الأمـصـار ، وكإبراهيم بن أدهم ، ومسلم الخواص ، والفضيل بن عياض ، وداود الطائي ، ومحمد بن النضر الحارثي ، وأحمد بن حنبل ، وبشر الحافي . فأمّا المتقدمون فأكثر من أن يبلغهم الإحصاء ويحوزهم العدد » .

وعلى هذا ، فلا يفهم[٦١] القرآن الكـريم إلاّ من تعانى معـرفة لغات العرب وافتنانها في الأساليب ، « واتسع علمه وكثر نظره » .

لأن القرآن الكريم هو من أظهر معجزات النبي (ﷺ) و « أراده من إقامة الدليل علىٰ نبوّته بالكتاب ، فجعله عَلَمه ، كما جعل عَلَم كل نبيّ من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه » .

ولغة العرب ، فيها من العارضة والبيان واتساع المجاز ماجعلها متفردة بين اللغات[٦٢] ، وهذه « خصّيصى من الله » وقد بث ابن قتيبة في (المشكل)[٦٣] لمحات من تعظيم هذه اللغة العظيمة ، وماأُوتيت من سعة المجاز وتفنن الأساليب مما جعلها مهيّأة لاختصاص كلام الله تعالىٰ بها . . وحسبها فخراً أنها لغة الوحي والتنزيل .

والشعوبية ، عدو العرب والإسلام ، لم تنج من حملات ابن قتيبة في كل أثر من آثاره . . وقد خصها بشيء من نقده في (المشكل[٦٤] ، فنال منها لأنها شنّعت على العرب في مجال أسماء أبنائها و « نسبوهم الى سوء الاختيار ، وجهلوا معانيهم فيها » .

ومن الإشارات المهمة ، أن ابن قتيبة قد استعمل بعض المصطلحات النحوية / البصرية والكوفية في تسمية مبحثين من مباحث (المشكل) . . فإنه ذكر « باب تفسير حروف المعاني وماشاكلها من الأفعال التي لاتنصرف ص ٥١٧ » .

وحروف المعاني ، من المصطلحات البصرية . . وقوله في (ص : ٥٦٥ ، باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض) وحروف الصفات[٦٥] ، مصطلح كوفي .

وعلىٰ هذا ، فقد مال باحث جليل عصري الى (بغدادية) ابن قتيبة ، ورأىٰ في هذين العنوانين مظهراً « من مظاهر المزج النحوي » .

أمّا أسلوبه فيه ، فإنه نمط عالٍ من أرفع أنماط البيان ، وهو نسيجٌ فذ في قوة التراكيب وإشراقة الألفاظ ، إذ أنه كتاب لغة ونقد ، وتراكيبه تتفق وأسلوب النص القرآني .

وقد أتم ابن قتيبة عمله في الذياد عن لغة الوحي بـه وبكتاب الآخر : « تفسير غريب القرآن » . . ومنهما يمكن للباحث أن يتعرف الى ثقافة ابن قتيبة في المجالات اللغوية ، ومدىٰ توفره علىٰ فنون الأساليب العربية ، وقدرته البارعة في التصرف بألفاظ اللغة .

بقي علينـا ، أن نتلمس أسباب التحـامـل والنقـد التي حملت ابن الأنباري وغيره على الوقيعة بابن قتيبة ، والتي عرفنا شيئاً منها في : « فصل تحامل العلماء علىٰ ابن قتيبة » . .

وعلينا أن نذكر هنا مايتصل بالمشكل .

ذكر أصحاب كتب الطبقات[٦٧] أن لابن الأنباري كتابـاً في ردّ المشكـل ، وقالـوا : إنه تـوفي عنه ولم يتمـه ، حيث وصـل فيـه إلىٰ (سـورة طه) . . تنـاول فيـه آراء ابن قتيبـة وآراء شيخـه أبي حـاتم السجستاني بالنقد . . وقد أودع ابن الأنباري شيئاً من هـذا النقد في كتبه : « الأضداد » و « الزاهر » . . ولم يرض بعض علماء العربية هذا النقد ، واستهجنوه علىٰ ابن الأنباري ، لأنه خرج فيه عن أمانة العلم وشـرف أهله ، ومن هؤلاء الشـريف المـرتضىٰ[٦٨] (ت ـ ٤٣٦ هـ) الذي ردَّ عليه بعض أقواله في « أماليه / غرر الفوائد ودرر القلائد » .

وهذا النقد في عامته لايخرج عن « العصبيّة »[٦٩] . كما رد عليه ، ابن مطرف الكناني في « القرطين »[٧٠] ، وكذلك فعل[٧١] العكبري الذي ردّ عليه بكتاب « الانتصار لحمزة » وردُّهما كان لنقد ابن قتيبة لآراء حمزة الزيات في بعض ماروي من قراءاته .

وممن انتصر لابن قتيبة علىٰ ابن الأنباري ، الإمام ابن تيمية[٧٢] .

- ٣ -

في الشعر العربي

لقد ترامت ثقافة ابن قتيبة ، وتوسعت مداركه فيها ، فأفاد من موروث الأمم التي مكّنه عصره من الوقوف عليه ، فقرأ : التراث العربي والإسلامي ، وعالج أقوال فلاسفة الإغريق ، وتطرح في حكمة الهند . وأنعم النظر في تاريخ الأديان ، وجال في أخبار الناس ، وأخذ بنصيب وافر من « تعاليم / التوراة والإنجيل » ، فضلاً عن ثروته الكريمة من علوم الشريعة ، واكتنازه من معين القرآن ونمير الحديث ، وارتضاعه أفاويق الآداب . .

وهذا الاتساع في الثقافة والشمولية في افتنانها ، كان من مطالب أداء رسالته الفكرية في خدمة الأمة والعقيدة . وقد وضحت ملامح هذه الثقافة في كل مؤلفاته . . ومنها كتبه في الأدب والشعر ، ومنها : أدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، والمعاني الكبير ، والشعر والشعراء ، وفضل العرب (الفصل الخاص بالشعر) . . لذا أحاول هنا أن أعرض لمورد واحد من هذه الموارد ، وهو كتاب / الشعر والشعراء . . للوقوف على أهميته أولاً ، ولتبيان ثقافته الأدبية ثانياً . .

فالشعر والشعراء ، هو ثالث كتاب وصل الينا من عصره ، في / تاريخ الشعراء ، وأولها : طبقات فحول الشعراء ، لابن سلاّم الجمحي (ت - ٢٣٢ هـ) ، وطبقات الشعراء ، لابن المعتز

(ت ـ ٢٩٦ هـ) ، مع الجدير بالاشارة الى محاولة الأصمعي (ت ـ ٢١٦ هـ) في إرصاد فحولة الشعراء في رسالته « فحولة الشعراء » . . ثم وصول ورقات من « طبقات الشعراء » لدعبل بن علي الخزاعي .

يتألف / الشعر والشعراء من قسمين :

١ ـ المقدمة .

٢ ـ تراجم الشعراء ، بدأ بهم من / امرىء القيس ، وانتهى بأشجع السلمي .

والذي يعنينا هنا دراسة مقدمة / الشعر والشعراء ، لأنها من أوائل الأصول التي انطوت عليها قواعد النقد الأدبي ، وهي حريّة بالدرس لزيادة معرفتنا في بناء / نظرية الشعر عند العرب ، حيث أودعها ابن قتيبة خلاصة معرفته بالشعر ، ويمكن دراستها وفق خمسة محاور ، هي :

١ ـ تقدمة وجيزة في منهج التأليف ، فأشار فيها إلى أن كتابه ضم تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم أكثر أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بكلامهم في / النحو والغريب ، وفي كتاب الله ـ سبحانه ـ وفي حديث رسول الله (ﷺ) .

أمّا الشعراء الذين خفيت أخبارهم ، وقلّت أذكارهم ، فقد أغفلهم ابن قتيبة ، محتجاً بقوله : « إذ كنت لا أعرف منهم إلاّ القليل ، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً ، . . . وأنه لا حاجة بك إلى أن أسمّي لك أسماء لا أدلّ عليها بخبر أو زمان » .

وشعراء العرب ، والمعروفون بالشعر عند أحيائهم وقبائلهم أكثر من أن يحصيهم عدد ، أو « يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم » .

لذلك قصر جهده في تراجم المشهورين منهم ، وهذه أولى خطوات المؤلف في وضع منهجه . . وصرّح أن هؤلاء الشعراء المترجمين في كتابه ، هم الذين عرفوا بالشعر فقط . . وأبعد عنه العلماء الشعراء ، لأنه مأثر عن هؤلاء من شعر ، فهو متكلّف مصنوع ، وعاب على أحد عصرييه الذين أدرجوا في كتبهم المؤلّفة في هذا الفن ، « من لايعرف بالشعر ، ولم يقل منه إلّا الشذ [النبذ] اليسير . . » ولو صنع مثل هذا الصنيع لذكر جمهرة من الصحابة والتابعين وغيرهم . . أمّا ذكره لخلف الأحمر في كتابه ، وهو من أهل الغريب والنحو ، وبهما عرف . فلأنه « كثير الشعر جيّده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه »[٧٣] .

وخلف الأحمر هذا ، كان من الرواة الذين يقولون الشعر وينحلونه المتقدمين .

٢ ـ وفي هذا المحور الثاني ، عرض لأقسام الشعر ، وهي : تختص بشعر العلماء ، وبكاء الأطلال عند الجاهليين ، وخصائص الجودة في الشعر ، وذكر أنواع الشعراء ، وألوان الشعر الجيّد والردىء .

٣ ـ وعيوب الشعر ، أمثال : الإقواء والإكفاء ، والسناد ، ونحو ذلك ، فقد استوعبها المحور الثالث .

٤ ـ ومن عيوب الشعر أيضاً ، اللحن والخطأ في الإعراب ، أودعه

ابن قتيبة في المحور الرابع .

٥ ـ والمحور الخامس ، تكفل بذكر وجيز لأوائل الشعراء . .

نظرية الشعر عند ابن قتيبة :

إن العصر الذي جاء فيه ابن قتيبة ، كان عصر نهوض حضاري للأمة ، توزعت ألوان هذا النهوض في كل مناحي الحياة . . ومن هذه الألوان ، حركة التجديد في الشعر ، أو (ثورة) الشعراء علىٰ القديم حيث نادوا بالطرافة والجديد ، إذ أنهم برموا بموازين النقاد القديمة ، فجددوا بالأوزان ، وأبدعوا في الصور ، وبرعوا في البيان ، . . . وكان منهم : أبونواس ، وأبوتمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحتري[٧٤] .

فنتج عن هذا الأمر مادعي بحركة / الصراع بين القديم والجديد .

والشعر ـ كما فهمه ابن قتيبة[٧٥] ـ هو للعرب كمقام الكتاب لغيرها ، وجعله الله ـ سبحانه ـ لعلومها مستودعاً ، ولآدابها حافظاً ، ولأنسابها مقيّداً ، ولأخبارها ديواناً لايرث علىٰ طول الدهر ، ولايبيد على مرّ الزمان .

وهذا اللون من الكلام ، محروس بالوزن والقوافي ، وحسن النظم ، وجودة التعبير من التدليس والتغيير .

هذه حدود الشعر ، ولكن أبلغه ماسابق معناه لفظه ، وخيره ماروّاك نفسه ، أو : خير الشعر المطمع[٧٦] .

ومن هذه المعرفة بالشعر ، انطلق ابن قتيبة في وضع « نظريته » النقدية للشعر ، وقد أقامها علىٰ ثلاثة أمور ، وهي :

١ ـ ضرورة الاهتمام بالشعر ، عند نقده ، أي : النظر الى (القيمة الفنية) للشعر نفسه ، دون الالتفات الى عصره أو قائله . . إذ أن من فساد الذوق أن ننظر الى الشعراء [٧٧] « بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره » والحكم على جودة الشعر ، ومعرفة الطبع الأصيل عند صاحبه . تكون في كثرة الجيد في شعره ، لأن « أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه » [٧٨] .

وكان إعجاب رواة الأدب وأهل اللغة بالقديم من الشعر ، وإن كان سخيفاً ، وذلك لتقدم قائله ، وهذه العصبية للقديم لقدمه ، جعلت نقاد الشعر الأوائل وأهل الرواية وعلماء اللغة ، يستجيدون [٧٩] « الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعونه في متخيراتهم » .

ومن أصالة الرأي التي كان يتمتع بها ابن قتيبة ، رفض هذا اللون من النقد والحكم ، لأن الشعر الجيّد يجب أن ينظر اليه لجودته في ذاته ، وليس ينظر الى شيء آخر . .

وإنه يؤمن أن الله [٨٠] « لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولاخصَّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجية [أي / العصامي] في أوله » . فأثبت الحسن لحسنه ، وأسقط الرديء لقبحه ليس إلّا .

وهذه الكلمة هي من أصول « نظرية الشعر » عند ابن قتيبة .

٢ ـ والأصل الثاني هو : الإيجاز في تحقيق الغرض ، ومطابقة المعنى لمقتضى الحال ، وذلك لأن الشاعر حينما كان يبكي الدوارس من

الأطلال ، وهي منازل الذكرىٰ ، ومدارج الصبا ، ومرابع الحب والهوىٰ ، فذكرها يستثير الوَجْد في النفوس ، « فيجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها » ، ثم ينتقل من بكاء الطلول الى النسيب ، حيث العبرات ، ولهيب المواجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق « ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الاسماع اليه » .

لأن النفوس تهش للنسيب ، ويهز مزاهرها أرج الغزل ، لما جبلها الله ـ سبحانه ـ علىٰ محبّة الجمال ، و « إلف النساء » فإذا فرغ من استثارة الحب ، و « علم انه قد استوثق من الإصغاء اليه » انقلب إلىٰ ايجاب الحقوق ، وطلَب الرفد ، فشكىٰ النصب وحرّ الهجير ، ولوّح إلىٰ عادية السرىٰ والإدلاج ، ليفتح قلوب السامعين علىٰ « حق الرجاء » بوصف المكاره التي عاناها ، فيجعل مأموله قريب التناول ، يتسرع بعد ذلك بالمديح ، حيث الجود والسماح والندىٰ . .

وعليه ان لايطيل في موضع الايجاز والقطع ، أو « يقطع وبالنفوس ظمأ إلىٰ المزيد » .

هذه المزايا هي التي تحكم للشاعر بالجودة إذا أحسن معالجتها[٨١] ، و « عدل بين هذه الأقسام » . .

وهذه (الفكرة) أدارها ابن قتيبة في إرشاد الكتّاب الىٰ مواطن النجاح في أعمالهم ، ثم سحبها الىٰ أودية عبقر . . فإن[٨٢] « لكل مقام مقال » . وقد دارت هذه القاعدة عند ابن قتيبة[٨٣] في « أدب الكاتب » ، وفي كتاب[٨٤] « العلم والبيان / من عيون الأخبار » وفي أبواب « تأويل مشكل القرآن »[٨٥] إذ هي أصل أصيل من أركان البلاغة

العربية .

٣ ـ والركن الثالث ، هو ضرورة استعمال النمط السهل في أساليب البيان عند الشعراء ، وهجر الوحشي الغريب ، لأن في هذا عوْنً للقارىء والسامع في (تذوق) الشعر والوصول الى مراميه بيسر وسهولة . . لأن تخير حسن الرويّ ، وسهل اللفظ ، والبعد عن الغرابة والتقعير ، يقرّب الشعر من « أفهام العوام » . . لأنه يقال : « أسير الشعر والكلام ، المطمع ، وهو مكان النجم من يد المتناول » والمطمع عنده ، هو الذي يطمع في مثله سمعه .

هذه الأركان الثلاثة التي وضعها ابن قتيبة لتأسيس (قواعد النقد الأدبي) في نقد الشعر الذي هو / تقويم وتبيان لمواطن الجمال أو مرديات القبح فيه .

وهذه القواعد ، كانت موارد رائقة في مجال الدراسات الأدبية في العهود المتتالية بعد ابن قتيبة ، بل هي[٨٦] « ثورة في الدراسات الأدبية » حيث أفاد منها نقاد الشعر المتأخرون عن عصر ابن قتيبة ، أمثال : ابن قدامة ، والثعالبي ، وابن رشيق ، وضياء الدين ابن الأثير ، وحازم[٨٧] القرطاجي الذي جاء بآراء بارعة في / نقد الشعر وفهمه .

أما ملامح نظرية الشعر عند ابن قتيبة ، فهي (نظرية) تقوم على فهم عميق للشعر ، وتلمس مساقط الجمال فيه ، وتدل على (ذوق) أصيل عنده ، ونزوع بارع الى التجديد والأصالة . وهي وإن نـدّت شذرات منها عند المتقدمين من أدباء العربية ، إلاّ أنه استطاع ان ينسقها مبوّبة ، مستخدماً قدرته الفائقة في اللغة والبيان ، فجاءت بيّنة المعالم ،

مشرقة الآفاق .

لقد فصّل ابن قتيبة القول في بواعث[٨٨] الشعر « تجربة الشاعر » وهذه البواعث هي التي تكسب الشعر جودة وتلبسه الجمال ، ومنها : الغضب ، والطمع ، والشوق ، والطرب ومعاقرة الحميّا ، وهذه البواعث هي التي « تحث البطيء وتبعث المتكلّف » ، ثم ساق أمثلة من شعر العرب تؤيد ماذهب اليه .

والشعر المطبوع ـ عنده ـ هو الذي يصدر عن قريحة جيّاشة ، وليس فيه تعمل أو تكلف ، والشعر المتكلف (المصنوع) هو الذي يتعاهده صاحبه[٨٩] « بالثقات ، ونقّحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر » وذكر من « عبيد الشعر » زهيراً ، والحطيئة وأشباههما .

وأبان عن موازين (الطبع والتكلف) بقوله[٩٠] : « وتتبين التكلف في الشعر . . بأن ترىٰ البيت فيه مقروناً بغير جاره ، ومضموماً الى غير لفقه » .

والشاعر المطبوع : « من سمح بالشعر ، واقتدر علىٰ القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة » : . . . وهذا الشاعر هو الذين يأسرك في شعره حتىٰ تفرغ منه[٩١] . . لذلك قبّح شعر العلماء ، وهو من هذا الجنس المتكلف ، إذ ليس فيه[٩٢] « اسماح وسهولة » .

ومن وحي هذا الفهم للشعر ، ومدى معرفة أصالته عند ابن قتيبة ، فإنه ذهب الى تأسيس « الذوق النقدي » في نقد الشعر ،

حيث رأىٰ للشعر أربعة أنواع ، وذلك بعد طول تدبر ورويّة ، وهذه الأنواع تطلعنا علىٰ موازين الجودة أو الرداءة . . وهي[٩٣] :

١ ـ ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه . كقول القائل[٩٤] :

في كـفّـه خـيـزران ريحـه عـبـقٌ
مـن كـف أروع في عـريـنـنـه شـمـم

يغضـي حيـاء ويـغضـىٰ من مـهـابتـه
فـما يـكـلّـم إلاّ حـين يـبـتـسـمُ

وقال : « لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه » .

٢ ـ وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنىٰ ، كقول القائل[٩٥] :

ولمـا قـضـيـنـا مـن مِـنىً كـل حـاجـة
ومـسَّـح بـالأركـان مـن هـو مـاسِـحُ

أخـذنـا بـأطـراف الأحـاديث بـيـنـنـا
وسـالـت بـأعـنـاق المـطيّ الأبـاطـح

وجمال هذا الشعر في رشاقة ألفاظه ، في المطالع والمقاطع ، أما معناه ، فهو معروف لاطائل له ، وهذا الصنف في الشعر كثير .

٣ ـ وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ، كقول لبيد[٩٦] :

مـاعـاتـب المـرء الـكـريـم كـنـفـسـه
والمـرء يـصـلحـه الجـلـيـس الـصـالح

وهذا القول ، وإن كان جيد المعنىٰ والسبك ، فإنه قليل الماء والرونق .

٤ ـ وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ، كقول الأعشىٰ :

وفـوها كـأقاحـيّ غـذاه دائم الهـطْـلِ

وهذا من جنس الشعر التكلّف . .

ومن أمثلة « الذوق الفني » عند ابن قتيبة ، دراسته[٩٧] (لحالة) الشعراء ، ثم إشارته الى أوقات كتابة الشعر ، وهذه تدخل أيضاً في دائرة « تجربة الشاعر » .

هذه ومضات من « نظرية الشعر » عند ابن قتيبة ، وحسبي أن دللت علىٰ معالمها ، وتركت « استبطان » شعابها واستكناه مكامنها لأهل البحث الأدبي .

وبعـــد ،

فإن (الشعر والشعراء) أنموذج من ثقـافة ابن قتيبـة ، وعمل أصيل جاءت به (عبقريته) .

هوامش الفصل الثاني

١ ـ راجع : إحياء التراث العربي ، منهج وموقف / ٨٩ ـ ٩١ .
٢ ـ العبر ٢/٥ .
٣ ـ الصراع بين العرب والموالي ١٢٢ .
٤ ـ ابن الجوزي / القرامطة ٢٩ ـ ٣٠ .
٥ ـ الصراع بين الموالي والعرب ٥٤ .
٦ ـ راجع : الغلو والفرق الغالية / السامرائي ١٥و٢٠ ومابعدها وفيه التفصيل الوافي الشافي .
٧ ـ راجع : مناهج البحث عند مفكري الاسلام ، لعلي سامي النشار / ١٥ . و٧٥ ، وعبدالله سلوم السامرائي / الغلو والفرق الغالية / ١٥ ـ ٧٣ .
٨ ـ أمثال (ألابستا) وغيره .
٩ ـ العبر ٢/٦١ .
١٠ ـ راجع : الصراع بين الموالي والعرب ، للدكتور محمد بديع شريف-وفيه التفصيل . .
١١ ـ العبر ٢/١١ .
١٢ ـ راجع : احمد بن حنبل للمرحوم الشيخ محمد أبي زهرة ، وأحمد بن حنبل والمحنة / لباتون (الطبعة العربية) وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ٣١١ ، وتفسير سورة الاخلاص / لابن تيمية ٨٦ ، ٩٧ .
١٣ ـ العبر ١/٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٤٠٨ .
١٤ ـ تاريخ بغداد ٦/٣٤٦ ـ ٣٤٨ .
١٥ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٢٤ ـ ٢٥ .
١٦ ـ العبر ١/٤١٣ .
١٧ ـ العبر ١/٤٢٦ .
١٨ ـ راجع عنه :
تاريخ بغداد ٦/٣٤٥ ، الفهرست ٢٣٠ ، تهذيب الكمال ١/٢١٦ ، ابن خلكان ١/١٩٩ ، الأنساب ٢٤٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٣ ، ميزان

الاعتدال ١/١٨٢ ، العبر ١/٤٢٦ .

١٩ ـ تاريخ بغداد ٦/٣٥٢ .

٢٠ ـ تاريخ بغداد ٦/٣٤٩ .

٢١ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٢٨ .

٢٢ ـ الحنظلي ، نسبة الى / حنظل بطن من غطفان . اللباب والأنساب .

٢٣ ـ راجع : الباقلاني وآراؤه الكلامية ، /رمضان محمد ٢٤ ـ ٢٥ و٢٧ .

٢٤ ـ المصدر السابق ، ٢٧ .

٢٥ ـ تأويل مختلف الحديث : ٥٩ .

٢٦ ـ تأويل مختلف الحديث ٦٠ ـ ٦١ .

٢٧ ـ الأشربة ١٧ .

٢٨ ـ تأويل مختلف الحديث : ١٧ ومابعدها ، و٨٠ ومابعدها ، وراجع : الاختلاف في اللفظ ١٢،١٤،١٥ .

٢٩ ـ تأويل مختلف الحديث ٤٢ ، وراجع : المستصفى ١/٥٧ .

٣٠ ـ المستصفى ١/٥٧ والانتصار : ٦٨ والصواعق المرسلة ٢/٤٠٦ وتأويل مختلف الحديث ٦٥ .

٣١ ـ راجع : الباقلاني وآراؤه الكلامية ٨٤ .

٣٢ ـ سير أعلام النبلاء ج ١٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

٣٣ ـ المصدر السابق : ٣٠٠ .

٣٤ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٤٧ .

٣٥ ـ مقدمة / تأويل مختلف الحديث .

٣٦ ـ الحسيني / ابن قتيبة ١٢٩ ـ ١٣٠ .

٣٧ ـ وهو مايعرف عندهم بالعرف ، وهو من مصادر التشريع الاسلامي .

٣٨ ـ الحسيني / ابن قتيبة ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ـ ١٣١ .

٣٩ ـ ذكر ابن حجر في /لسان الميزان ٣/٣٥٧ : « أنه يذهب الى مذهب مالك » .

٤٠ ـ تأويل مختلف الحديث ٧٩ .

٤١ ـ سير أعلام النبلاء ١٣/١٠٢ و٣٠١ .

٤٢ ـ تأويل مختلف الحديث : ٧٨ .

٤٣ ـ ابن تيمية / تفسير سورة الاخلاص ٩٥ وراجع : الجندي / ابن قتيبة ٢٤٤ .

٤٤ ـ راجع : الأمثال العربية القديمة / زلهايم ١٦٥ وفيه : « وكان ـ ابن قتيبة ـ يعتمد على جهد الغير ، دون أن يذكر مصادره كما تستحق . . ؟ » .

٤٥ ـ ينظر : مقدمة المحقق ص : ٦٣ ـ ٦٤ ومقدمة / المحبر والحسيني / ابن قتيبة ٩٤ وبروكلمان ٢/٢٢٤ .

٤٦ ـ الدكتور / عكاشة في مقدمة (المعارف) : ٦٣ ـ ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ وراجع : بروكلمان ٢/٢٢٤ ، وفصل / دراسة في كتب ابن قتيبة .

٤٧ ـ ٤٨ ـ مقدمة المعارف ٦٩ ـ ٧١ والحسيني / ابن قتيبة ٩٤ .

٤٩ ـ تاريخ الأدب العربي / بروكلمان ٢/٢٢٣ (الحاشية) وهو رسالة صغيرة بعنوان « الوفا بفضائل المصطفى » . راجع : مؤلفات ابن الجوزي ص ١٤٧ .

٥٠ ـ راجع : (فهرس الموضوعات ٦٧١ ـ ٦٨٢) .

٥١ ـ راجع مقدمة / عيون الأخبار ج ١ / ح ـ ف .

٥٢ ـ مقدمة عيون الأخبار .

٥٣ ـ الأنساب : ٤٤٣ .

٥٤ ـ راجع مقدمة / عيون الأخبار ج ١ / د ـ ص .

٥٥ ـ فصل / دراسة في مؤلفات ابن قتيبة .

٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ الأستاذ صقر / مقدمة المشكل ٨٢ ـ ٨٣ .

٥٩ ـ تأويل مختلف الحديث : ١٦ ، والاختلاف : ٩ ، ١١ ، ٥٠ .

٦٠ ـ تأويل مختلف الحديث ١٦ ـ ١٧ و٢٦٠ و٢٥٧ .

٦١ ـ المشكل : ١٢ .

٦٢ ـ المشكل : ١٢ .

٦٣ ـ المشكل : ١٤ ، ٣٤٥ ، ١٢ .

٦٤ ـ المشكل : ٢٦٠ .

٦٥ ـ مقدمة المشكل ٧٤ وراجع : همع الهوامع : ٢/١٩ .

٦٦ ـ هو الأستاذ / السيد أحمد صقر ، مقدمة المشكل ٨٢ .

٦٧ ـ نزهة الألباء ١٩٧ ، وتاريخ بغداد ٣/١٨٤ ، وإنباه الرواة ٣/٢٠٤ ،

ومعجم الأدباء ١٨/٣١٢ .

٦٨ ـ ينظر : أمالي المرتضى ٢/١٣ ، وراجع : مقدمة المشكل : ٧١ .

٦٩ ـ مقدمة / المشكل ٧١ .

٧٠ ـ القرطين ٢/١٥ وراجع المشكل ٩٥ .

٧١ ـ كشف الظنون ١/١٧٣ ، وطبقات الإسنوي ٢/٤٢١ .

٧٢ ـ تفسير سورة الاخلاص ١٣٣ .

٧٣ ـ الشعر والشعراء : ٦٧٧ .

٧٤ ـ من المفيد الاستئناس بدراسة / محمد حسين الأعرجي : الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، بغداد ، ١٩٧٨م .

٧٥ ـ تأويل مشكل القرآن ١٨ ـ ١٩ .

٧٦ ـ عيون الأخبار ٢/١٧٩ و١٨٢ ، ١٨٤ والشعر والشعراء ١/٤٢ .

٧٧ ـ الشعر والشعراء ١/١٠ .

٧٨ ـ المصدر نفسه ١/٢٦ .

٧٩ ـ المصدر نفسه ١/١٠ .

٨٠ ـ المصدر نفسه ١/١٠ .

٨١ ـ الشعر والشعراء ١/٢١ .

٨٢ ـ أدب الكاتب ١٦ .

٨٣ ـ أدب الكاتب ١٣و ١٥ ـ ١٦ .

٨٤ ـ عيون الأخبار ٢/١٤٥ ، ١٦١ ، ١٧١ ـ ١٧٥ .

٨٥ ـ المشكل ٢١٠ ومابعدها .

٨٦ ـ ينظر : الحسيني / ابن قتيبة ١٠٣ ـ ١٠٤ .

٨٧ ـ راجع : مفهوم الشعر ، / جابر عصفور ١٩٨٢م ، وفيه دراسة لابن رشيق ، وابن قدامة ، ولحازم . .

٨٨ ـ الشعر والشعراء ١/٢٣ ـ ٢٥ .

٨٩ ـ الشعر والشعراء ١/٢٢ ـ ٢٣ .

٩٠ ـ المصدر نفسه ١/٣٤ .

٩١ ـ المصدر نفسه ١/٢٦ .

٩٢ ـ المصدر نفسه ١/١٦ .

٩٣ ـ المصدر نفسه ١/١٢ ـ ١٥ .

٩٤ ـ المصدر نفسه ١/١٢ ، وراجع : المؤتلف : ٨٩ والأغاني : ١٤ / ٧٤ .

٩٥ ـ ينظر : مسمط اللآلىء ٣/٧٧٠ .

٩٦ ـ ديوانه : ٣٤٩ .

٩٧ ـ الشعر والشعراء ١/٢٥ و٢٠و٢٣ .

الفصل الثالث

دراسة في مؤلفات ابن قتيبة

دراسة في مؤلفات ابن قتيبة

يعد ابن قتيبة ثاني اثنين مع / الجاحظ في سعة الثقافة ووفرة التأليف .

فقد كانت آثاره صدىً قوياً لثروته العلمية ، كتب في كل موضوعات المعرفة العربية الاسلامية ، وهذه الآثار التي رشحت عن عبقريته ماهي إلاّ مطلب من مطالب الجهاد الفكري الذي تبناه ابن قتيبة ورفع قواعده غير واحد من علماء الأمة .

وقد حاولت أن أقيّد في هذا الثبت ماتحققت من أسماء آثاره « المفقودة والمخطوطة أو المطبوعة » ، ورفضت ذكر اسم المنحول وأبعدت المكرر منها ، فأشرت الى كل كتاب ذكره مترجموه وعيّنت موضعه من خزائن الكتب إن كان مخطوطاً ، وعددت ذكر طبعات ماطبع منها ،وألمحتُ إلى مضمونه .

وإني لأحسب أن هذا الثبت هو أتم وأكمل ثبت تكفل بالتعريف الوافي بمؤلفات ابن قتيبة .

وظاهرة كثرة التأليف عند علمائنا ، تعد علامة مضيئة من علامات ازدهار الثقافة ، ثم هي تلبّي مطالب اجتماعية وحضارية .

فقد ذكر ابن تيمية (ت ـ ٧٢٨ هـ) في كتابه « تفسير سورة الاخلاص / ٨٦ » نقلاً عن كتاب « التحديث بمناقب أهل الحديث » ، ألّا لابن قتيبة زهاء ثلثمائة مصنَّف . . وهذا أمر مبالغ فيه ، حتى وإن ذهبنا الى جعل الفصول والأبواب من آثاره كتباً

ورسائل .

وأشار أبو العلاء المعري (ت ـ ٤٤٩ هـ) الى عدد آثار القتبي ، فقال : إنها بلغت خمسة وستين كتاباً (تأويل مشكل القرآن / ٧) ، ورأىٰ محيي الدين النووي[1] (ت ـ ٦٧٦ هـ) فهرسها لكنه نسي عددها ، ثم قال : « أظنها تزيد علىٰ الستين » .

وتناولت مظان التاريخ والأدب التي عرضت لمؤلفاته ذكرها بشيء من الدّقة والكثرة ، ومنها :

١ ـ الفهرس ، لابن النديم (ت ـ ٤٣٤ هـ) ذكر أربعة وثلاثين كتاباً ، وانفرد بذكر أربعة منها وهي :

أ ـ آداب العشرة

ب ـ حكم الأمثال

جـ ـ الحكاية والمحكي

د ـ فرائد الدر .

٢ ـ الخطيب البغدادي (ت ـ ٤٦٣ هـ) ، ولم يخرج عما ذكره ابن النديم ، إلاّ أنه تفرد بذكر طائفة جديدة من الآثار نقلها معه الى دمشق ، أشار اليها / محمد بن أحمد بن محمد المالكي ، ونشرها المرحوم الدكتور يوسف العش في كتابه : « الخطيب البغدادي ص / ١١٢ » وهي :

١ ـ الرسالة في الخط والقلم .

ولم يشر اليها أحد من قبل ، وذكرها الجلال السيوطي (ت ـ ٩١١ هـ) .

٢ ـ المسائل (وهو المسائل والأجوبة) .

٣ ـ عبارة الرؤيا .

٤ ـ مشكل الحديث (تأويل مشكل الحديث) .

٥ ـ غريب الحديـــث .

٣ ـ الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ـ ٣٥٠ هـ) ، ذكر ترجمة أحمـد بن عبدالله / بن قتيبـة في كتابـه : « الـولاة والقضـاة / بيروت ١٩٠٨ م ، ص / ٤٨٥ » .

وفي الذيل (ص ٥٤٦ ـ ٥٤٨) نقل ترجمته عن (رفع الإصر) وفيها أسماء كتبه .

٤ ـ القاضي عياض (ت ـ ٥٤٤ هـ) ، أشـار اليها في « تـرتيب المدارك ٣ / ٢٩٢ » ، فذكر منها أسماء واحد وعشرين كتاباً . رواها ولده أحمد أبوجعفر الذي كان يحفظها عن ظهر قلب .

٥ ـ ابن خير الأشبيلي (ت ـ ٥٧٥ هـ) ـ (فهرس ابن خير) روى فيه أسماء ستة عشر كتاباً ، ومنها :

أ ـ أعلام النبوة .

ب ـ عبارة الرؤيا .

جـ ـ طبقات الشعراء (الشعر والشعراء) .

د ـ شرح غريب الحديث (غريب الحديث) .

هـ ـ المعـارف ، ونقـل عن أحـد شيـوخـه أنـه سمّـاه : « المناكر » .

٦ ـ السمعاني عبدالكريم (ت ـ ٥٦٢ هـ) .

« الأنساب / ٤٤٣ » ذكر منها سبعة وفيه سمّىٰ « عيون الأخبار : عيون الأخبار والأنوار » .

٧ ـ جمال الدين القفطي (ت ـ ٦٤٦ هـ) : (أنباه الرواة ٢ / ١٤٤ ـ ١٤٦) ذكر فيه أربعة وعشرين كتاباً .

٨ ـ ابن خلكان (ت ـ ٦٨١ هـ) (وفيات الأعيان ٣ / ٤٢ ـ ٤٣) ذكر فيه ستة عشر كتاباً .

٩ ـ ابن فرحون (ت ـ ٧٩٩ هـ) « الديباج المذهب / ٣٥ » أعاد ماذكره القاضي عياض وزاد عليه اسم كتابين .

١٠ ـ اليافعي مهذب الدين (ت ـ ٧٦٨ هـ) في « مرآة الجنان ٢ / ١٩١ » ورد فيه :

أ ـ النفقة ، وهو مصحّف عن « التقفية » .

ب ـ الخيل .

وكل مافيه عنها منقول عن ابن النديم .

١١ ـ ابن حجر العسقلاني (ت ـ ٨٥٢ هـ) : (رفع الإصر ١ / ٧٢ ـ ٧٥) .

أحصىٰ فيه واحداً وعشرين كتاباً ، كما ذكر الكندي والقاضي عياض .

١٢ ـ جلال الدين السيوطي (ت ـ ٩١١ هـ) : (بغية الوعاة ٢ / ٦٣) .

ذكر منها تسعة عشر كتاباً .

١٣ ـ حاجي خليفة (ت ـ ١٠٦٧ هـ) : (كشف الظنون ،

مواضع كثيرة) .

ذكر منها عشرين كتاباً ، وتفرد بذكر كتاب استماع الغناء بالألحان .

وسمّىٰ (تأويل مختلف الحديث) في ثلاثة مواضع بأسماء مختلفة : تأويل الحديث ، واختلاف الحديث ، والمناقضة ، وهي اسم واحد لكتاب « تأويل مختلف الحديث » . . وبذلك يبقىٰ من ثبته ستة عشر كتاباً .

١٤ ـ الخوامنساري الموسوي (ت ـ ١٨٩٥ م) : (روضات الجنات ٥ / ١٠٥ ـ ١٠٧) ذكر منها أربعة عشر كتاباً .

١٥ ـ البغدادي اسماعيل (ت ـ ١٩٢٠ م) (هدية العارفين ١ / ٤٤١) أشار فيه الى ثمانية وثلاثين كتاباً ، أربعة منها مكررة .

١٦ ـ أحمد زكي العدوي . (من المعاصرين) .

ذكر في مقدمة « عيون الأخبار ١ / ٢٣ ـ ٤٢) . ذكر فيها سبعة وأربعين كتاباً ، وفيها المكرر والمنحول . والجديد في ثبته ذكره لكتابين هما :

أ ـ معجزات النبي (ﷺ) ـ أعلام النبوة .

ب ـ فضل العرب على العجم .

١٧ ـ محب الدين الخطيب (ت ـ ١٩٦٩م) مقدمة (الميسر والقداح ص / ١٣ ـ ٢٤ ، ط / ٢) ذكر فيها تسعة وأربعين كتاباً ، ومنها المنحول والمكرر أمثال :

١ ـ المشتبه في الحديث والقرآن (تأويل مختلف الحديث) .

٢ ـ الإمامة والسياسة . (وهو منحول لابن قتيبة) .

١٨ ـ الدكتور إسحق موسىٰ الحسيني

في كتابه : « ابن قتيبة ، حياته وآثاره ، الطبعة الانكليزية ، ١٩٥٠م ص ٤٧ ـ ٥٦ ، والطبعة العربية ترجمة الدكتور هاشم ياغي ، بيروت ١٩٨٠ ، ص : ٦٧ ـ ٧٩) .

ذكر فيه خمسة عشر كتاباً من كتبه المطبوعة والمخطوطة .

١٩ ـ الدكتور عبدالحميد سيد الجندي ، « ابن قتيبة » ، العالم الناقد الأديب ـ أعلام العرب ، القاهرة ، ١٩٦٣م ص : ١٢٩ ـ ١٧٥) .

ذكر فيه خمسة عشر كتاباً من آثاره المطبوعة .

٢٠ ـ كارل بروكلمان (ت ـ ١٩٥٦م) : « تاريخ الأدب العربي ج ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٣٠ الطبعة العربية » .

ذكر فيه واحداً وعشرين كتاباً ، ومنها المنحول والمكرر وعددها خمسة كتب ، هي :

١ ـ المتشابه من الحديث والقرآن (تأويل مشكل القرآن) .

٢ ـ منتخب اللغة وتواريخ العرب (أدب الكاتب) .

٣ ـ الألفاظ المغربة .

٤ ـ تلقين المتعلم في النحو .

٥ ـ مناقب الخلفاء الراشدين .

٢١ ـ الأستاذ / السيد أحمد صقر ، في مقدمته لكتاب « تأويل مشكل القرآن ص / ٧ ـ ٣١ » . ذكر فيها ستة وأربعين كتاباً ، منها كتاب مكرر ، هو : أعلام النبوة (معجزات النبي صلىٰ الله عليه وسلَّم ٣٣ ، ٣٨) .

٢٢ ـ الدكتور ثروت عكاشة ، في مقدمته لكتاب « المعارف ص / ٤١ ـ ٥٤) . ذكر فيها سبعة وأربعين كتاباً ، ومنها المعاد والمكرر والمنحول ، وهي لاتخرج عمّا ذكره / أحمد زكي العدوي (مقدمة عيون الأخبار) .

٢٣ ـ الأستاذ خير الدين الزركلي (ت ـ ١٩٧٦م) في « الأعلام ج٤ / ٢٨٠ والمستدرك ج٢/١٣٣) ذكر في ترجمته لابن قتيبة عشرة كتب ، ومنها :

١ ـ غريب الحديث ، وقال عنه : انه مطبوع في الهند ، وهو محض التباس .

٢ ـ الاشتقاق ، وقال : إنه مخطوط ؟

٣ ـ النبات ، وهو لأبي حنيفة الدينوري .

٢٤ ـ جيراد لكونت ، في دراسته : (آثار ابن قتيبة ، حياته وكتبه . ص ١٠٢ ـ ١٧٨ النص الفرنسي) .

ذكر فيها ستين كتاباً ، منها كتب لم يذكرها أحد لابن قتيبة ، أمثال : كتاب الأنساب ، وفيها المنحول والمكرر . أمثال :

أ ـ المعارف ، أثبت اسماً آخر له هو « المناكر » وأعطاه رقماً متسلسلاً جديداً ، كما ذكر ابن خير الأشبيلي .

ب ـ الإمامة والسياسة .

ولم يشر الى مخطوطاته التي عثر عليها .

ومن الاثبات المهمة عند القدماء ، وجدت ثبتاً مهماً أورد الصلاح الصفدي فيه أسماء ستة وأربعين كتاباً من مؤلفات ابن قتيبة ، وذلك في

كتابه « الوافي بالوفيات ج١٧/٦٠٨ ـ ٦٠٩ » وهو أطول ثبت ـ تقريباً ـ عند القدماء ، وفيه المكرر لاسم الكتاب الواحد باسماء أخرى ، أو ذكره أجزاء من كتاب وعدّها كتباً له .

ومثله ماذكره شمس الدين الذهبي (ت ـ ٧٤٨ هـ) في : « سير أعلام النبلاء ج١٣/٢٩٧ ـ ٢٩٨ » .

وعدد الكتب عنده ثمانية وعشرون كتاباً . . وقد ألحقت بهذا الكلام هذين الثبتين لأهميتهما . .

ومن الحري بالتأمل ، أن الذهبي أشار الى عددها في : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥٦٥ ـ ترجمة ولده أبي جعفر) وفي (العبر ٢/١٩٣) وقال : إن عددها واحد وعشرون كتاباً . .

ثبت شمس الدين الذهبي

١ ـ الابل

٢ ـ أدب القاضي

٣ ـ أدب الكاتب

٤ ـ الأشربة

٥ ـ اصلاح الغلط

٦ ـ أعلام النبوة

٧ ـ إعراب القرآن

٨ ـ الأنواء

٩ - التسوية بين العرب والعجم
١٠ - جامع النحــو
١١ - الرد على من قال بخلق القرآن
١٢ - الرؤيــا
١٣ - الصيــام
١٤ - طبقات الشعراء
١٥ - عيون الأخبار
١٦ - غريب الحديث
١٧ - غريب القرآن
١٨ - الفقــه
١٩ - الفــرس
٢٠ - القراءات
٢١ - المسائل والجوابات
٢٢ - مشكل الحديث
٢٣ - مشكل القـرآن
٢٤ - المعــارف
٢٥ - معاني الشعـر
٢٦ - الميسر والقـداح
٢٧ - الوحـش
٢٨ - الهجــو

ثبت الصلاح الصَّفدي

١ ـ كتاب / الإبل

٢ ـ أدب القاضي

٣ ـ الأشربة

٤ ـ اصلاح ماغلط فيه أبوعبيد

٥ ـ اعراب القرآن

٦ ـ الأنــواء

٧ ـ تأويل مختلف الحديث

٨ ـ التسوية بين العرب والعجم

٩ ـ التنبيــه

١٠ ـ جامع الفقــه

١١ ـ جامع النحــو

١٢ ـ جامع النحو الصغــير

١٣ ـ الجوابات الحاضرة

١٤ ـ الحجامــة

١٥ ـ الحكم والأمثال

١٦ ـ خلق الانسان

١٧ ـ الخيل

١٨ ـ ديوان الكتّــاب

١٩ ـ ذكر النبي (ﷺ) ومولده ووفاته .

٢٠ ـ دلائل النبوة

٢١ ـ الرد على من قال بخلق القرآن

٢٢ ـ الرؤيـــا

٢٣ ـ الرد علىٰ المشبّهة

٢٤ ـ السماحــة

٢٥ ـ الشعر والشعـراء

٢٦ ـ الصيـــام

٢٧ ـ الضواري والبـزاة

٢٨ ـ طبقات الشعَـراء

٢٩ ـ عيون الأخبار

٣٠ ـ غريب الحديث

٣١ ـ الفهـــود

٣٢ ـ القراءات

٣٣ ـ القـــلم

٣٤ ـ الكـــلاب

٣٥ ـ ماقيل في الخيل من الشعر

٣٦ ـ المسائل والجوابات

٣٧ ـ مشكل القرآن

٣٨ ـ مختلف الحديث

٣٩ ـ معاني الشعر

٤٠ ـ المطر والرواد (الرذاذ)

٤١ ـ المراتب والمناقب

٤٢ ـ المعـــارف

٤٣ ـ الميسر والقـداح

٤٤ ـ ملح الأخبار

٤٥ ـ النفـــس

٤٦ ـ الوحـــش

واليـك أسـماء مؤلفـات ابن قتيبـة ، المـطبـوعـة والمخـطوطـة و (المفقودة) والمنحولة عليه .

١ ـ الأنــواء

والأنواء[٢] ، بداية علم الفلك عند العرب ، كتب فيه أهل اللغة وعالجه الفلكيون ، وفيه مادة عظيمة من مواد دراسة التطور الاجتماعي عند العرب ، وتضم حصيلة لغوية وشيئاً من أسجاع العرب وتفسير آثار القيافة والفراسة ، ويأتي كتاب ابن قتيبة الذي هو من أوائل كتب هذا الفن ليفتح للباحثين والمؤلفين الطريق في وضع آثار أخرىٰ ، حيث كان عمدة لمن كتب فيه من علماء العرب .

وأنواء ابن قتيبة ، كتاب لغة وأدب أقرب منه إلىٰ علم الفلك ، وإن كان يعالج معرفة (علم الميقات) عند العرب .

ذكـره أبو الـريحان البيـروني محمـد بن أحمـد (ت ـ ٤٤٠ هـ) بـاسم : « رسالـة في علم منـاظـر النجـوم » وأبـوالحسن المسعـودي

(ت ـ ٣٤٦ هـ) في « مروج الذهب » وجار الله الزمخشري (ت ـ ٥٣٨ هـ) في « الفائق ٣/ ٣٧ » وسمّاه : « مناظر النجوم » .

ومن المعاصرين الإمام السيد محمود شكري الألوسي في « بلوغ الأدب » .

طبعتـه :

نشره الأستاذان الدكتوران : محمد حميد الله ، و « شارل بلا Pellat » في حيدر آباد ـ الهند ١٩٥٦م ، وأعيد نشر هذه الطبعة (مصورة) في بغداد ، ١٩٨٨م ، وزارة الثقافة والاعلام .

٢ ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهميّة والمشبّهة

وهو من كتب النقد الكلامي والفلسفي ، وهو نمطٌ رفيع من أنماط الجهاد الفكري في سبيل الذياد عن الإيمان والحق وإبطال قَيْد العبودية الملحدة .

ويتجلىٰ إشراق إيمان ابن قتيبة وثباته علىٰ معتقد السَّلف الصالح ، وفيه ردٌ قويٌّ علىٰ بعض من وجَّه اليه سهام التهم الباطلة[٣] .

والجهميـة :

فرقة من فرق المرجئة ، قالت بخلق القرآن الكريم ، ونسبتها الى / جهم بن صفوان السمرقندي المقتول في سنة / ١٢٨هـ .

وهي تبطل إرادة البَشَر بقولها : « لاقدرة للعبد أصلاً ، لامؤثرة

ولاكاسبة ، بل هم بمنزلة الجمادات ، وأن الإيمان هو المعرفة فقط دون سائر الطاعات » وإنهم يكفّرون المشبّهة صراحة .

والكرّامية :

نسبة الى رأسها : محمد بن كرّام ، وهي فرقة مشبهة من فرق المرجئة ومن غلاتها .

ومن مقولاتهم : ان الإنسان يشبه الإله ـ سبحانه ـ وهي من أصول المعتقدات الثنوية الفاسدة ، وتقول : إنه ـ سبحانه ـ جسم لا كالأجسام مقام علىٰ العرش .

هذه الجهميّة[4] والكرّاميّة ، فأين آثارهما في تراث ابن قتيبة ؟

و (الاختلاف) يشبه كتابه الآخر : « تأويل مختلف الحديث » ، فإنه بناه علىٰ نقض مقولات أعداء القرآن والحديث ، وفيه نمط نقدي بارع ، من حيث حججه المشيدة علىٰ نصوص قرآنية وأحاديث صحيحة ، بأسلوب لغوي رصين ، جمع فيه حكمة العالم وذوق الناقد واستنباط الفقيه ، وقوة بيان الأديب الحصين ، وعمدته في ذلك : القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام أهل اللغة الأثبات .

طبعاتـــه :

١ ـ طبع الاختلاف في القاهرة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠م منشورات مكتبة القدسي ، وتصحيح الشيخ المرحوم محمد زاهد الكوثري ، في (٨٦ صفحة متوسطة) .

٢ ـ ثم طبع في القاهرة أيضاً ، (الجندي ، ابن قتيبة ، ص / ١٦٢) .

٣ ـ ونشره الدكتور المرحوم علي سامي النشار ، وعماد جمعي الطالبي في كتاب : « عقائد السلف » (ص ٢٢٣ ـ ٣٥٢) مطبعة منشأة المعارف ـ الاسكندرية ، ١٩٧١ م .

٣ ـ المسائل في الحديث واللغة

والمسائل ، هي رسالة صغيرة عالج فيها ابن قتيبة مسائل في الحديث واللغة ، أو : لغة الحديث . نشرها على وجوه السؤالات والأجوبة . . وكان تلميذه عبيدالله بن عبدالرحمن السكري قد وجهها اليه . وطبعت (المسائل) في القاهرة ، بعناية السيد المرحوم حسام الدين القدسي ، في القاهرة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠م ومعها كتاب « عيون المسائل » للطبري .

ثم أعاد نشرها السيد / شاكر العاشور في مجلة « المورد » البغدادية (المجلد الثالث ، العدد الرابع ، ص ٢٣٥ ـ ٢٥٣ ، ١٩٧٤ م) وهذه الطبعة أتم وأكمل من طبعة القاهرة .

وقد عدّها الدكتور الجندي مخطوطة وأشار الى نسخة منها في مكتبة جامعة القاهرة . (الجندي / ابن قتيبة ص / ١٦٧) .

٤ ـ تأويل الرؤيا

ذكره المؤلف في كتابه « عيون الأخبار ١ / ن) (الفهرس / ٨٦) وأبو الطيب اللغوي (مراتب / النحويين / ٨٥) وابن النديم ورد فيه (تعبير الرؤيا) . والخطيب البغدادي (العشر / الخطيب

البغدادي / ١١٢) وسمّاه : عبارة الرؤيا ، ورواه ابن خير الاشبيلي (الفهرس / ٢٦٦) وابن حجر العسقلاني (رفع الأصر ١/٧٢ ـ ٧٥) وسماه (التعبير) وابن قاضي شهبه (طبقات النحاة / ٣٤٦ وفيه : كتاب الرؤيا) والذهبي والصفدي .

وهذا الكتاب مازال مخطوطاً ، كانت نسخة منه في (المكتبة العربية لصاحبها السيد أحمد عبيد) في دمشق .

كتبها : يحيىٰ بن محمد البخاري في سنة / ٨٤٥ هـ بدمشق .

وصفها الأستاذ علي الطنطاوي في مجلة (الرسالة ـ المصرية في المجلد الأول / السنة الثالثة ص : ٢١٦ ، العدد / ٨٤ ، ٧ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ ـ ١١ / فبراير ١٩٣٥م وص ٢٦١ العدد ٨٥ ، ١٤ ذي القعدة ١٨ فبراير) وقال في وصفها :

١ ـ المقدمة ، وهي كاملة تقع في أربعين صفحة .

٢ ـ يقع المخطوط في ستة وأربعين باباً .

٣ ـ رواها الصالح أبو الحسن عبدالباقي بن فارس بن أحمد المقري المعروف بابن أبي الفتح المصري عن أبي حفص عمر بن محمد بن عراك الحضرمي ، عن أبي بكر أحمد بن مروان عن ابن قتيبة .

٤ ـ عدد أوراق المخطوطة ، مائة وأربع وثلاثون ورقة من القطع الصغير ، في كل صفحة خمسة عشر سطراً ، وخطها جميل وقلمها المعروف بالنسخ .

توثيق نسبة الكتاب لابن قتيبة :

قال الزمخشري في (الفائق ١/٢٣٩ ، القاهرة ١٩٧١م) قال الفرزدق :

في كـفّـه جـنـهـي ريحـه عـبـق
مـن كـف أروع عـرنـيـنـه شـمـم

قال القتيبي : الجنهي ، الخيزران ، ومعرفتي بهذه الكلمة عجيبة ، وذلك أن رجلاً من أصحاب الغريب ، سألني عنه فلم أعرفه ، فلما أخذت من الليل مضجعي أتاني آت في المنام فقال لي : الا أخبرته عن الجنهي ؟ قلت : لم أعرفه : قال : هو الخيزران ، فسألته شاهداً ، فقال : هدية طرفنة في طبق مجنة .

فهببت وأنا أكثر التعجب ، فلم ألبث إلا يسيراً حتىٰ سمعت من ينشد / في كفه جنهي . . وكنت أعرفه : في كفّه خيزران . . » .

وهذا النص موجود في المخطوطة (الورقة / ١٥) ومثله ماورد في (تاج العروس مادة / جنة) ، وينظر : اللسان (١٣ / ٢٨٦) . .
ولم يشر الى هذه النسخة كل من كتب عن ابن قتيبة ، أمثال : الأساتذة : إسحق موسىٰ الحسيني ، وعبدالحميد الجندي ، وثروت عكاشة والسيد أحمد صقر ، ولكونت جيرار وبروكلمان .

٥ ـ الرسالة في الخط والقلم

تفرّد بذكرها الخطيب البغدادي ، وكانت من ضمن الكتب التي

حملها الى دمشق .

وأورد ذكرها محمد بن أحمد بن محمد المالكي في (مخطوط رقمه / ١٨ / ٦ مجموع) تحتفظ به المكتبة الظاهرية بدمشق ، نشرها المرحوم الدكتور يوسف العش في رسالته : « الخطيب البغدادي ص / ١٠٥ » .

وهذه الرسالة هي جزء من كتاب « أدب الكاتب / تقويم السيد ص / ١٦٤ » .

٦ ـ ديوان الكتّاب

ذكره ابن النديم (الفهرس / ٨٦) وابن قاضي شهبة (طبقات النحاة / ٣٤٦) والجلال السيوطي (بغية الوعاة ٢/٦٣) وحاجي خليفة (كشف الظنون / ٨٠٧) والصفدي .

٧ ـ جامع الفقه

ذكره ابن النديم (الفهرس / ٨٦) وجمال الدين القفطي باسم « كتاب الفقه » في : «إنباه الرواة ٢/١٤٦ ، والقاضي عياض في (ترتيب المدارك ٣/٢٩٢) وابن فرحون (الديباج المذهب / ٣٥) وابن قاضي شهبة (طبقات النحاة / ٣٤٦) والبغدادي (ذيل كشف الظنون / ١/٣٥٦) . والصفدي .

٨ ـ جامع النحو

ذكره ابن النديم والقفطي وابن قاضي شهبة وابن فرحون ، والداوودي (طبقات المفسرين ٢/٤٥) والجلال السيوطي (بغية الوعاة ٢/٦٣) وحاجي خليفة (الكشف / ٤٧٥) والذهبي

والصفدي .

٩ ـ جامع النحو الصغير

هكذا سمّاه : ابن النديم والقفطي وابن قاضي شهبة والداوودي والسيوطي وحاجي خليفة ، والصفدي .

١٠ ـ التقفية

ذكره ابن النديم وقال : « رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخط برك ، وكانت تنقص على التقريب جزأين ، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط ، فزعموا أنه موجود وهو أكبر من كتاب البندنيجي وأحسن » .

ذكره ابن خلكان (الوفيات ٤٢/٣) والقفطي ، وابن قاضي شهبة (الطبقات / ٣٤٧) ورد فيه مصحفا بعنوان : « التنبيه » ، وذكره أيضاً : عبدالقادر الغزي (الطبقات السنية ق/٣٤٠م٢) واليافعي مهذب الدين (مرآة الجنان ١٩١/٢) بعنوان (النفقة) وحاجي خليفة والخوانساوي (روضات الجنات ١٠٥/٥) .

أقول : وكتاب (التقفية) لأبي السيمان البندنيجي المتوفى في سنة / ٢٨٤ هـ معجم لغوي بناه مؤلفه على (القافية) نشره بالطبع الدكتور خليل ابراهيم العطية في بغداد ، ١٩٧٦م .

وعلى ذلك ، فان (الفقه) عنوان لكتاب ، و (التقفية) عنوان لكتاب آخر ، (راجع : مقدمة كتاب المعارف / ٤٧) .

١١ ـ كتاب الجراثيم

مخطوط في اللغة ، تضمّه الخزانة الظاهرية بدمشق في قماطرها ،

وهو في مائتين وعشرين ورقة ، قياس كل ورقة (٢٠ × ١٧ سم) ورقمه (١٥٩٦) ومن أبوابه :

باب النفس والجسم والشخص

باب الألوان

باب الألسنة والكلام والأصوات والسكوت

باب النساء ونعوتهن

باب البهت والدهش والقيافة والتطير والتمائم

باب الطيب والفتن واللباس والعري

باب الطعام وألوانه

باب اللبن والشراب

باب الإقامة والتلبث واللزوق

باب نوادر ، مثل : حسب ، عثير ، قصار

باب الطبيعة والملاهي والميسر

باب الرحل وآلاته والأواني في السفر

باب الأزمنة والرياح وأسماء الدهر

باب السحاب والمطر

باب الجبال والأرضين

وفيه الكتب الآتي ذكرها :

١ ـ كتاب النخل والكرم

٢ ـ كتاب الخيل ونعوتها والسلاح

٣ ـ كتاب السلاح ونعوته

٤ ـ كتاب النعم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض .

٥ ـ باب نوادر الأسماء .

٦ ـ نوادر الفعل .

٧ ـ باب عيوب الشعر وأسماء القوافي(*) .

والمخطوط كامل الأول ، يبدأ بعد البسملة بقوله « الحمد لله رب العالمين » . وتاريخه قديمه ، وقد جاء في أوله : « تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم ، وأشار الىٰ هذه النسبة بروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٢ / ٢٢٨) . . وقد نشرت منه رسائل هي :

١ ـ النعم والبهائم

نشره الأب : موريس بوج ، في بيروت سنة ١٩٠٨م ، ونسبه الى : أبي عبيد القاسم بن سلّام .

٢ ـ النخل والكرم .

نشره الدكتور أوغست هفنر ، في مجلة (المشرق) السنة الخامسة ، ونسبه الى الأصمعي عبدالملك بن قريب ، ثم أعاد نشره الأب لويس شيخو في مجموع : « البلغة في شذور اللغة ص / ٦٤) ونسبه الى أبي عبيد القاسم بن سلّام ، ورأىٰ أن هذه النسبة أقرب الىٰ أبي عبيد منها إلىٰ الأصمعي ، ثم رجّح نسبته الى أبي حاتم السجستاني .

٣ ـ الرحل والمنزل (الرحل وآلاته والأواني في السفر والحضر والدور والبيوت والأخبية والأبنية) .

نشر في مجموع « البلغة في شذور اللغة ص / ١٢١ ـ ١٢٧ » ونسب الى ابن قتيبة ، أخذاً من عنوان مجلدة كتاب : « الجراثيم » ، ورجح نسبته الأب شيخو الىٰ أبي عبيد أيضاً ، وقال : « إن مضامينه انتشرت في : اللسان ، والمخصص » منسوبة اليه .

٤ ـ اللبأ واللبن :

نشره الأب شيخو ملحقاً بكتاب : « اللبأ واللبن » لأبي زيد الأنصاري في « البلغة ص / ١٤٦ ـ ١٥١ » .

وقد أشار ابن قتيبة نفسه الى كتاب « الوحش » في كتابه « الأنواء » .

ونشر « الوحش » بعناية الأب : « موريس ويج Le. P.Mauriece Bouyges » .

الشك في نسبته الىٰ ابن قتيبة :

إن نمط تأليف « الوحوش » ومادته اللغوية المحضة يثيران الشك في نسبته الى ابن قتيبة ، وهو لون من ألوان التأليف اللغوي الذي درج عليه علماء اللغة الأُوَل ، أمثال : أبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبي حاتم السجستاني .

وحسماً لقطع الشكوك التي نهضت بنسبته الى ابن قتيبة ، قمت بدراسته دراسة فاحصة ، فتبين لي :

١ ـ أنه مواد لغوية مؤلّفة على وفق أسماء (النَّعَم) والبهائم ، وهي خلو من الشروح أو التفسيرات ، كما دأب القتيبي عليه في جملة من آثاره ذات الصبغة اللغوية ، أمثال : (أدب الكاتب) و (الأنواء)

و (غريب الحديث) و (المعاني الكبير) .

٢ ـ أن مؤلفه روىٰ عن ابن قتيبة (ص / ١٢٢) ، حيث قال : « وللضب أيراف ، يقال لهما : نزكان ، ولم يذكرهما الخليل ، ولا أبو عبيد عن أحد من السَّلَف ، وقد روىٰ ابن قتيبة :

سبحل له نزكان كانا فضيلة
على كل حاف في البلاد وناعِل

وهذا النص موجود في (المعاني الكبير / ٦٤٤) ورب سائل يتطلع الى هذا الاتفاق ، كيف وقع وكيف انتهىٰ اليه ؟

فأقول :

إن من عادة ابن قتيبة ذكره بعض مؤلّفاته في آثاره الأخرىٰ ، وتأسيساً على هذا ، فإن هذا النقل وحده ينفي نسبة الكتاب اليه .

٣ ـ وجدته ينقل عن أئمة اللغة أمثال[٦] : الفرّاء (ص/٣٢) والكسائي (ص/٥٦) والأصمعي (ص/٧٠، ١٠٣) والخليل (ص/٩١) وعن أرسطو (ص/٩٠) .

٤ ـ كما أنه نقل عن الجاحظ (في الحيوان ص/٨٩، ٩٤/٩٥) وفي إحدىٰ هذه المواضع رد عليه بعض أقواله .

٥ ـ وفي موضع آخر وجدته يشير الى شك / علي بن عبدالعزيز في مادة لغوية ، وهي قوله : « ومن مني الدواب ، درمت الدابة تدرم درماً ، إذا دبت دبيباً ، واهتشمت دبّت واهتمشت » . شك علي بن

عبدالعزيز في هذا النص (ص/١١٣) .

وعلي بن عبدالعزيز[٧] ، من أهـل اللغة ، ومن رواة أبي عبيـد القاسم بن سلّام ، وتوفي سنة ٢٨٧ هـ .

ومن خلال هذه النظرات أرىٰ أن كتاب « النعم والبهائم » لمؤلف عاش بعد ابن قتيبة ، وكتابه هذا مؤلّف من نصوص لغوية مجموعة من كتب أهل اللغة ، ولاسمة لمنهج علمي فيـه . أمّا مـابسطه الـدكتور عبدالحميد سند الجندي من أدلة تؤيّد نسبة الكتاب الى ابن قتيبة ، فإنّي أراها تقصر عن بلوغ مرادها[٨] . . ومنها :

١ ـ ان الكتاب يضم أمشاجاً من الألفاظ العربية والأعجمية وانه « طعّمه ببعض الألفاظ كعادته ـ أي / ابن قتيبة / حين يتحدث عن الكلمة أحياناً ، وحين يقارن بين اللفظين الفارسي والعربي . . » .

٢ ـ إنه كان يناقش الجاحظ ، ويخطئه في بعض الألفاظ على طريقته المعهودة .

فالمقارنة بين الألفاظ العربية و (الفارسية) أمر مألوف عند أهل اللغـة والأدب ، وقـد أكـثر منـه أبـو هـلال العسكـري (ت ـ بعـد سنـة / ٤٠٠ هـ) في جـلّ كتبـه ، ومنهـا : (التلخيص في معـرفـة الأشياء)[٩] و (شرح فصيح ثعلب) و (جمهرة الأمثال) . وقد وقـع مثلها في كتب عامة أهل اللغة ، ولم يكن ابن قتيبة بدعاً بينهم .

أمّا نقده الجاحظ ، فلم يكن ابن قتيبة متحيفاً وحده في نقده ، فقد ردَّ عليه بعض أقواله غير واحد من علماء اللغة وأهل الأدب ، شأنه في ذلك شأن أيّ عالم يترك في سَمْع الزمن دويّاً من أجل علمه أو نتاج

عبقريته .

وإنّي أسجّل للدكتور إسحق[10] موسىٰ الحسيني سابقة حميدة في شكه بنسبة (النعم والبهائم) لابن قتيبة .

١٢ ـ فضل العرب والتنبيه على علومها

وله أسماء أخرىٰ ذكرها مترجموه ، وهي :

١ ـ التسوية بين العرب والعجم (ابن النديم / ٨٦) .

٢ ـ تفضيل العرب (العقد الفريد ٣/٤٠٨ و٤١١) .

٣ ـ الردّ علىٰ الشعوبية .

٤ ـ تفضيل العرب علىٰ العجم ، (البيروني ، الآثار الباقية / ٢٣٨) .

٥ ـ العرب والعجم ، (ابن فرحون / الديباج المذهب ٣٥) .

٦ ـ العرب وعلومها (فهرس دار الكتب المصرية ٣ / ٢٧٢) .

٧ ـ ذم الحسد .

وسمّاه ابن قتيبة : فضل العرب ، في (الشعر والشعراء) . وفي (عيون الأخبار ٢ / ١٨٥) ونقل منه في وصف الشعر . . وفي (غريب الحديث ٢ / ٥٨٠) وأخذ نصاً منه في كرم العرب ، وأكل الضب وتشنيع الشعوبية عليهم بذلك .

لذا أميل الىٰ أن اسمه الصحيح هو : « فضل العرب والتنبيه على علومها » .

وذكره الأستاذ المرحوم خير الدين الزركلي (ت ـ ١٩٧٦م) في « الأعلام ٤ / ٢٨٠ » بعنوانين هما :

١ ـ العرب وعلومها .

٢ ـ فضل العرب علىٰ العجم .

وحسبه كتابين مختلفين . .

مخطوطتـه :

تحتفظ دار الكتب المصرية بنسختين مخطوطتين منه ، الأولىٰ : وتقع في جزأين ، ضمن مجموعة مخطوطة كتبها : أبو الفتوح هبة الله بن يوسف بن خمرتاش في سنة تسع وثمانين وخمسمائة (للهجرة) ، ناقصة الأول ، وأول الموجود منها قوله في تناول الطعام وآدابه ، ثم ينتهي الجزء الأول ، ويبدأ الجزء الثاني ، وفيه الكلام علىٰ فضل العرب في العلوم والحكم والشعر .

وأولها كما ورد في « طبعة الأستاذ القاسمي / مجلة المقتبس » : « قال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبـة . . جعلنا الله وإيّـاك على النعم شاكرين ، وعند المحن والبلوىٰ صابرين ، وبالقسم من عطائه راضين ، وأعاذنا من فتنة العصبية وحمية الجاهلية ، وتحامل الشعوبية ، فإنها بفرط الحسد ونغل الضمير تدفع العرب عن كل فضيلة . . » .

وعنوان مخطوطة (القاسمي) : (ذم الحسد) وهي بخط مسند الشام ابراهيم الجنيني الحنفي ، جـامع « الفتـاوي الخيريـة » ـ وأحد أعلام القرن الثاني عشر .

والنسخة الثانية :

تضمها مجموعة مخطوطة برقم [١٨٦٤ ـ أدب] في جـزأين ،

الثاني منها كامل ، ومن الأول أوراق قليلة . . كتبت في سنة / ثلاث وثمانين ومائتين للهجرة .

وفي خزانة الدكتور إسحق موسىٰ الحسيني نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس .

وكان يظن أن « العرب » أقدم مخطوط يصل الينا من مؤلفات ابن قتيبة ، كما ذهب الى هذا ، الدكتور الحسيني[11] . . وليس كذلك .

فمخطوطة (غريب الحديث) التي وصلت الينا نسخة منها كتبت في سنة / ٢٧٩ هـ في بغداد ، والتي كان أصلاً لعملي في نشر الكتاب ، هي أقدم مخطوطة تصل الينا من كتب ابن قتيبة .

طبعتـه :

كان العالم الجليل المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي (ت - ١٩١٤ م) قد نشر جزءاً صغيراً منه في مجلة : « المقتبس - المجلد الرابع ، الصفحة / ٦٥٧ - ٦٦٨ ، ٧٢١ - ٧٣٥) .

وذكر انه نسخها عن نسخة تحتفظ بها خزانة الشيخ شاكر الحمزاوي الدمشقي ، ثم أعاد نشرها الأستاذ محمد كرد علي (رحمه الله تعالىٰ - ت - ١٩٥٤ م) في : « رسائل البلغاء ص : ٢٦٩ - ٢٩٥ ط / ١٩١٣م ، القاهرة) و (ط/٤ ص ٣٤٥ - ٣٧٧ ، القاهرة ١٩٥٤) .

ويبدو أن الأصل الذي كان ينقل عنه ابن قتيبة ، لم يصل الينا بعد ، بدليل أن النقول التي أشار إليها عن (الشعر) لاتوجد في النسخة المطبوعة[12] .

١٣ - غريب الحديث

من أجلّ كتب ابن قتيبة ، ومن أهم نظائره وأشباهه ، من كتب هذا الفن .

وهو ثالث كتاب في موضوعه يصل الينا من مؤلفات القرن الثاني ، فالأول (غريب أبي عبيد) ، والثاني (غريب الحربي) .

تتبع ابن قتيبة الأحاديث الشريفة ، ومنها أقوال الصحابة والتابعين ، وعمد الى تفسير غريب ماوقع في متونها من ألفاظ .

و (غريب الحديث) هذا ، هو تتمة لعمل أبي عبيد في (غريب الحديث) . . وقد جمع فيه ثروة عظيمة من الفوائد والفرائد في علوم العربية ، وشذرات من الفقه والأحكام الشرعية ، ونفعه في اللغة عظيم ، إذ كان مورداً عذباً لأهل المعجمات ، وكتب التفسير وكتب النقد اللغوي ، فضلاً عن كونه أحد الأركان المهمة لكتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير . . واعتمده كل من كتب في موضوعه[١٣] .

ولأهميته ، وجدت الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت - ٥٣٩ هـ) يفرغ مادته كلّها في كتابه « الفائق في غريب الحديث » حتى يمكن أن يعد (الفائق) نسخة أخرى من (غريب ابن قتيبة) ، وأنا أذهب الى هذا الحكم ، ولي مما قمت به من درس وتنقير في مادتي الكتابين خير مؤيّد وأعظم شاهد ، . . . كما وضعت (خوف الله وهول عقابه في هذه الشهادة) في الحسبان . . لأن رمي الآمنين بما ليس فيهم ، أمر خطر ، له وزنه عند الله - يوم لاينفع مال

ولابنون ولاجاه ـ . . وبخاصة اذا كانوا بين يدي رحمة الله . . فالذنب يكون أعظم . وعليك أن ترجع الى عملي فيه (ج١ ص٨١ ـ ٨٩) حيث ذكرت أدلة ماأشرت اليه .

وقد أنعم الله ـ سبحانه ـ عليَّ أن أخرجت هذا الأثر الجليل من آثار القتبي ، وطبعته في بغداد ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٩م في ثلاث مجلدات (في ١٣٩٠ صفحة ، والفهارس العامة في ٣٧٥ صفحة) . . وذلك على نسخ منها نسخة الأصل التي كتبت في بغداد سنة ٢٧٩ هـ .

ويعد (غريب الحديث) أقدم مؤلف مخطوط يصل الينا من مؤلفات ابن قتيبة ، ثم يأتي بعده كتاب (فضل العرب) الذي كتب في سنة ٢٨٣ هـ .

ومنهج ابن قتيبة في / تفسير غريب الحديث ، يقوم على هذه الأركان :

١ ـ المقدمة ، وبدأها بتبيان أهمية هذا الفن ، وخطره عند علماء اللغة وأهل الحديث . لأنه يتصل بلغة الوحي الثانية التي نقلها الأمين جبرائيل (عليه السلام) بالمعنىٰ الى الرسول محمد (ﷺ) . . وسلم ثم أعقب هذه الأهمية بأمثلة من (غريب الحديث) . . وختمها برسم منهجه في تأليف الكتاب . .

٢ ـ بدأ بتفسير الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأنواعه ، والفرائض وأحكامها . . لتعرف أصولها في اللغة ، وذلك أمثال : الوضوء ، الصلاة ، الزكاة ، الحج ، الأذان ، الصيام . . وهذه الألفاظ تدخل في باب مايعرف بالألفاظ الاسلامية ، وكذلك ذكر فيه الفرق والملل .

٣ ـ وبعدها باشر بتفسير غريب حديث النبي (ﷺ) وقد ضمّنه (الأحاديث التي يدّعى بها على حملة العلم حمل التناقض) .

٤ ـ وتلاه بأحاديث الصحابة (رضي الله عنهم) رجلاً رجلاً ، وأعقبه بذكر أحاديث بعض الصحابيات .

٥ ـ ثم أعقبه بأحاديث التابعين ومن بعدهم (أي / تابع التابعين) وآخرهم حديث (معتمر بن سليمان) .

٦ ـ وختم الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة ، سمع أهل اللغة يذكرونها ، ولايعرف أصحابها .

١٤ ـ اصلاح الغلط

ويعرف بعنوانين آخرين هما :

أ ـ تبيين الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد .

ب ـ إصلاح غلط أبي عبيد .

و « الإصلاح » من أهم كتب النقد اللغوي ، وهو من معالم الجهد العلمي واللغوي لابن قتيبة ، وقد جرىٰ فيه علىٰ سَنن العلماء الاثبات ، من أدب نفس جم ، ونقد نزيه سُدَاه الحجة ولحمته البرهان .

وذكره ابن قتيبة في : « غريب الحديث ١ / ٣٥٠ و٤٥٢ » .

طبعته :

كان المستشرق الألماني (ريتر ، ت ـ ١٩٧٥ م) قد نشر تعريفاً به في مجلة : (الاسلام ، المجلد ١٧ ، ١٩٢٩م) ثم نشره المستشرق

الفرنسي (جيرار لكـونت Gerard Lecomtei) في مجلة (كلية القـديس يـوسف ، بيـروت ، ١٩٦٨م) وفي سنـة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م قمت بنشره في بيروت (دار الغرب الاسلامي) بعد أن عقدت لـه دراسة ضمنتها مقدمته ، وحررت نصَّه كما ينبغي التحقيق . .

١٥ - عيون الشعـــر

ذكره ابن النديم (الفهرس / ٨٥) وقال : إنه يحتوي علىٰ عشرة كتب ، وأشار الىٰ سبعة منها :

١ - كتاب المراتب

٢ - كتاب القلائد

٣ - كتاب المحاسن

٤ - كتاب المشاهد

٥ - كتاب الشواهد

٦ - كتاب الجواهر

٧ - كتاب المراكب

ثم ذكر (ص / ٨٦) كتاباً آخر له بعنوان : « المراتب والمناقب من عيون الشعر » .

أقـول : ولعله من أجزاء كتاب « عيون الشعر » ، وكذلك ذكره ابن قاضي شهبة (الطبقات / ٣٤٦) وابن فرحون (الـديباج / ٣٥ بعنوان : معاني الشعر) وهو « المعاني الكبير » . .

١٦ ـ عيون الأخبـــار

وهو من أجل مظان التراث الأدبي عند العرب ، لأنه من الأصول التي ينزع اليها السُّداة والأدباء علىٰ السواء في تلمس (الفكر الأدبي العربي القديم) .

قال فيه مؤلِّفه : « . . يجمع لقاح عقول العلماء ، ونتاج أفكار الحكماء ، وزبدة المخض ، وحلية الأدب ، والمتخير من كلام البلغاء ، / عيون الأخبار ج١ / ط » .

ويرىٰ ابن دريد (ارشاد الأديب ج ٦ ص / ٤٩٣) : « أن متنزهات القلوب ثلاثة هي : عيون الأخبار ، والزهرة لأبي داود ، وقلق المشتاق لأبن أبي طاهر » .

ويضم (عيون الأخبار) عشرة كتب هي :

١ ـ كتاب السلطان

٢ ـ كتاب الحرب

٣ ـ كتاب السؤدد

٤ ـ كتاب الطبائع والأخلاق

٥ ـ كتاب العلـم

٦ ـ كتاب الزهـد

٧ ـ كتاب الإخوان

٨ ـ كتاب الحوائج

٩ ـ كتاب الطعـام

١٠ ـ كتاب النسـاء

ويورد في كل موضوع أخبـاراً عن الأمم القديمـة ، كالهنـود ، والأغريق وغيرهمـا ، كما ينقـل نصوصـاً من « التوراة والانجيـل » ، ويتوجّها بـدرر من آي الذكـر الحكيم ولئالىء من الحـديث النبوي ، ويزينه بالرائع من كلام البلغاء وشعر الفصحاء ، ويضم اليه المتخل من الحكم والأمثال ، لذلك جاء مصدراً مهماً من مظان الثقافة العربية القديمة .

وتعد نصوصـه التي نقلها عن (التـوراة والانجيل) من أقـدم ماوصلنا من نصوص عربية لهما مترجمة ، (دائرة المعارف / البستـاني ٣/ ٤٥٠ د . / جبور) .

و (عيون الأخبار) من مصادر[١٤] : تاريخ الطبري ، والوزراء للجهشياري ، وشرح نهج البلاغة ، وغيرها .

وكان مادة أصلاً من أصول (العقد الفريد) لابن عبد ربه[١٥] .

طبعاتــه :

١ ـ نشـر في /فايمـر/ ستراسبـورج في سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨م ، بتحقيق المستشرق الدكتور كارل بروكلمان (ت ـ ١٩٥٦ م) .

الجزء الأول في برلين ١٩٠٠م ، والجزء الثاني في / ستراسبورج ١٩٠٣م ، والجزء الثالث ١٩٠٦م والجزء الرابع ١٩٠٨م .

٢ ـ وطبع كتاب (السلطان) منه في القاهرة ١٩٠٧م و/ ١٣٠٠ هـ في المطبعة الشرقية .

٣ ـ وطبع الجزء الأول منه كتاب (السلطان) أيضـاً في فايمـر /

١٨٩٨م - ١٨٩٩م .

٤ - وطبع كاملاً في القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، بأربعة أجزاء ١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .

الجزء الأول وفيه كتب : (السلطان ، الحرب ، السؤدد ، ١٩٢٥م) ، والجزء الثاني وفيه : (الأخوان ، الحوائج ، الطعام) ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م .

والجزء الرابع ، وفيه كتاب (النساء) مع دراسة جيدة عن المؤلف ، والفهارس العامة للكتاب / ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م .

ثم قامت وزارة الثقافة في القاهرة بإعادة نشره بطريقة التصوير الطباعي ، سنة ١٩٦٣م وجعلت الدراسة عن المؤلف في الجزء الأول ، وقد عرض لنقد هذه الطبعة عالمان جليلان هما :

١ - المستشرق كارل بروكلمان ، كتب « نظرات صائبة » في نقدها أودعها في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق م/١٤ ص ١١١ - ١٢٦ ، ١٩٣٦م) .

٢ - الأب انستاس ماري الكرملي (ت - ١٩٤٧م) ونشر نقده في (لغة العرب ، س / ٧ ص : ٧٣٤ نقد الجزء الأول ، و٧/ ٦٥٩ نقد الجزء الثاني ، وفي ٨/٧٦١ نقد الجزء الثالث ، و٩/ ٣٨٩ ج٥ نقد الجزء الرابع ١٩٢٧ - ١٩٣١م .

وفي القاهرة ١٩٦٠م ، نشر الأستاذ / أحمد عبدالعليم البروني ، مختارات منه بعنوان : « المختار من كتاب عيون الأخبار » ، وراجعه : اسماعيل مرزوق (في ٣٦٧ صفحة / سلسلة : مختارات من تراثنا) ، مكتبة نهضة مصر .

١٧ - المعاني الكبيـــر

وهو من أهم[١٧] مؤلّفات ابن قتيبة الأدبية ، لأنـه يحتوي مـادة غزيرة من النصـوص الأدبية ، ومثلهـا من الشعر العـربي ، جاهليه وإسلاميه .

وذكر ابن النديم ان اسم هذا الكتاب هو « معاني الشعر الكبير » وأنه في اثني عشر كتاباً هي :

١ - كتاب الفَرس، ستة وأربعون باباً
٢ - كتاب الإبل ، ستة عشر باباً
٣ - كتاب الحرب ، عشرة أبواب
٤ - كتاب القدور ، عشرون باباً
٥ - كتاب الديار عشرة أبواب
٦ - كتاب الرياح ، أحد وثلاثون باباً
٧ - كتاب السباع والوحوش ، سبعة عشر باباً
٨ - كتاب الهوام ، أربعة عشر باباً
٩ - كتاب الإيمان والدواهي ، سبعة أبواب
١٠ - كتاب النساء والغزل ، باب واحد .
١١ - كتاب الشيب والكبر ، ثمانية أبواب
١٢ - تصحيف العلماء ، في باب واحد .

والفصل الثاني عشـر ، وهو « تصحيف العلماء » من الأجـزاء الضـائعة ، وهـو الذي ردّ عليـه ابن درستويـه[١٨] عبدالله بن جعفـر

(ت ـ ٣٤٧ هـ) بكتابه « الرد على ابن قتيبة في تصحيف العلماء » .

ذكره ابن النديم ، والقفطي ، وعاصم بن أيوب البطليوسي (شرح ديوان امرىء القيس ص / ٤٨و٦١) ، باسم : « غلط العلماء » / القاهرة ١٣٢٤ هـ ، وسمّاه البغدادي في « ايضاح المكنون : الكلام على ابن قتيبة » .

طبعـــه :

طبع / المعاني[١٩] الكبير في الهند ، حيدر آباد ، الدكن في سنة / ١٣٦٨ هـ في ثلاثة أجزاء وعدد صفحاته (١٢٧٠) صحيفة من القطع الكبير ، واستغرقت الفهارس منه (٢٢٢) صحيفة ، وقد قام على طبعه وتصحيحه المستشرق الألماني كرنكو (سالم الكرنكوي ت ـ ١٩٥٣م) ، وشاركه في التحقيق الشيخ المرحوم عبدالرحمن بن يحيىٰ المعلّمي اليماني[٢٠] (ت ـ ١٩٦٦م) الذي كتب دراسة جيدة عن المؤلف وعن كتابه / المعاني الكبير ، استوفت اثنتين وثلاثين صحيفة ، وهذه النسخة قسم من أصل الكتاب .

وفي سنة ١٩٧١م قامت (دار النهضة الحديثة) في بيروت بإعادة نشره (بالأوفست) .

١٨ ـ تأويل مشكل القــرآن

والمشكل[٢١] عند ابن قتيبة مثل المتشابه ، وسمّاه مشكلاً لأنه أشكل ، أي : دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله .

وتأويل المشكل ، من كتب التفسير واللغة ، ويعد من أصول كتب التفسير ومن أوائلها .

وقد طعن ابن قتيبة فيه بقراءة حمزة. (ص : ٥٩ ـ ٦٣) وذكر صاحبها بقوله : « . . منهم رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح ، وقرّبه من القلوب بالدِّين ، لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً ، ولاأشد اضطراباً منه . /٥٩ » .

وقال ابن مطرف الكناني في « القرطين ٢/١٥/ وباقي الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن علىٰ حمزة ، وكان أورع أهل زمانه ، مع خلو باقي الباب من الفائدة » .

وللعكبري ابن المعلم عبدالله بن محمد (ت ـ ٥١٦ هـ) كتاب « الانتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابن قتيبة من / مشكل القرآن » .

راجع : (هامش الصحيفة / ٥٩ من تأويل مشكل القرآن ، وكشف الظنون ١/١٧٣ وفصل ابن قتيبة والقراءات) .

وفي (المشكل) أبواب بلاغية مهمة ، جدير بالباحث أن يقف عندها متأملاً دارساً ، لأنها تؤلف (نقلة) بارعة في (علم المجاز) ، ولأنها : « ستضيف الىٰ معارفنا عن تطور البلاغة شيئاً جديداً / السيد صقر ص : /٨٢ المقدمة .

وقد ضمّ أيضاً نظرات صائبة في علم التفسير من الوجهة اللغوية ، وفيه معالجة بارعة لفك مبهم المعاني التي استوفتها آي الكتاب الكريم ، وهو من كتب ابن قتيبة المتأخرة ، كتبه في أخرة من أيامه كما يبدو ، لأنه أشار الىٰ بعض آثاره المؤلفة في ربيع حياته ، أمثال : القراءات ، وغريب الحديث ، وتفسير غريب القرآن .

طبعتـــه :

تعد طبعة كتاب « القرطين » والذي ضمّ كتابي تأويـل مشكل القرآن ، وتفسير غريب القرآن ، جمعها ابن مطرف الكناني القرطبي ، المتوفىٰ سنة ٤٥٤ هـ ، في القاهرة ١٩٣٦م ، هي الطبعة الأولىٰ له ، (راجع : ريتر ، مجلة الاسلام ، ألمانيا م١٧ ، ١٩٢٩م) .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ نشره الأستاذ / السيد أحمد صقر محققاً في القـاهـرة ، مكتبـة عيسىٰ البـابي الحلبي ، ثـم أعـاد نشـره في ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م ، دار التراث وبسط بين يدي هذه الطبعة مقدمة تناولت دراسة الكتاب وأهميته ، والمؤلف وبيان آثاره الأخرىٰ ، وتعد دراسـة السيد صقـر هذه من أبـرع مـاكتب عن الكتـاب ومؤلفـه في الـدراسـات المختصـة الحـديثـة ، وقـد امتـدت صحـائفهـا من (١ ـ الى ٨٧) ثم ألحق بآخر فهارس علمية عامة له .

١٩ ـ تفسير غريب القرآن

وهو من كتب التفسير اللغوي ، فسَّر به ابن قتيبة ماانبهم من لفظ آي الكتاب الحكيم ، معتمداً المنهج اللغوي فيـه ، مؤيّداً آراءه بأقوال أئمة أهل اللغة والتفسير والحديث ، ورصّعها بكلام الشعراء الفصحاء .

ولجلالة قدره عند المفسرين ولمكانته العلمية انتفع به جمهرة من المفسرين أمثال : ابن جرير الطبري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وأبي حيان النحوي . كما انتفع به أهل اللغة والأدب .

وتفسير الغريب ، يكمل منهج ابن قتيبة في (التفسير) مع كتابه الثاني : تأويل مشكل القرآن . لذلك جمع بينهما أبو عبدالله ، محمد بن محمد بن مطرف الكناني القرطبي المتوفىٰ في سنة ٤٥٤ هـ في كتاب واحد وجعل عنوانه : « القرطين » وهو في جزأين ، رمز لكتاب (تفسير الغريب) بالحرف (غ) ولتأويل مشكل القرآن بالحرف (ش) وجعلهما بين حاصرتين ، هكذا : « غ ، ش » .

وقد طبع في القاهرة ١٩٣٦م، نشرته مكتبة الخانجي ، وصحح الجزء الثاني منه : السيد / عبدالحفيظ سعد عطية .

وفي سنة / ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م نهد الأستاد صقر الىٰ تحقيقه ونشره بالطبع منفرداً ، في دار إحياء الكتب العربية ، وصنع فيه ماصنع بصنوه المشكل من جميل العمل .

٢٠ - الشعر والشعراء

وهو من موارد الدراسات الشعرية والنقدية عند العرب ، من تاريخ الشعر العربي في جاهليته إلىٰ نهاية القرن الثاني للهجرة .

وقد ضم ترجمة مائة وثمانين شاعراً . وتعد مقدمته وثيقة نقدية من وثائق النقد الأدبي العربي القديم ، بسط فيها المؤلف آراءه في مسألتي : « القديم والجديد » اللتين شغلتا أدباء عصره في النقد الأدبي ، ونثر فيها أصول (نظريته) في النقد الأدبي .

وعُرِفَ هذا الكتاب عند مؤرخي الأدب العربي قديماً بعنوان : « طبقات الشعراء ، أو ديوان الشعراء » .

جعل ابن قتيبة مقدمته جزءاً أول ، وتراجم الشعراء جزءاً آخر ، لذلك أخذ اسم « الشعر والشعراء » . لأن مقدمته تكفلت بالحديث عن الشعر ، ونظريته فيه ، وهي - بحق - من أصول مظان النقد الأدبي في العربية ، وظهرت أهميتها عند النقّاد قديماً وحديثاً لما ضمّت من نظرات صائبة وآراء جريئة ثائرة على « التقليد في النقد » ، وطرح حكاية « جودة الشعر لقدمه » ، التي كانت شائعة عند أهل الأدب ونقاد الشعر .

رسم المؤلف في هذه المقدمة منهجه في وضع كتابه ، بقوله : « وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جلُّ أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو ، وفي كتاب الله عزّ وجلّ ، وحديث رسول الله (ﷺ) » .

ثم عرض فيها لأقسام الشعر ، حيث أبان عن ذوق فني رفيع في فهم الشعر ، ينطوي على معرفة صائبة للشعر ، وأدار بعد ذلك كلامه على ميزان جودة الشاعر ، وعرَّف بشروطها ، وفيها أنكر ميزة القدم ، ثم عرَّج على أوقات نظم الشعر ، وهذه التفاتة بارعة من ناقد قديم ، تقصّى فيها أسباب إجادة الشاعر .

وبعد أن انتهى منها ، ذكر عيوب الشعر في العروض والقوافي ، أمثال : الإقواء ، والإكفاء وغيرهما ، ثم أشار الى أهمية « العروض والقافية » . وختمه بذكر أوائل الشعراء العرب ، وتقع المقدمة هذه في سبع وأربعين صحيفة ، لذلك أطلق عليها المؤلف اسم « الجزء » .

طبعاتــه :

حـظي كتاب « الشعـر والشعراء » بمكـانة فـائقـة عنـد النقاد والأدباء ، فأولوه عنايتهم بالدرس والنشر . . فقد توزعت طبعاته في مطابع الشرق والغرب ، منذ سنة ١٨٧٥م والىٰ الآن . .

فمن طبعاتــه :

١ ـ طبعت مقـدمتـه (كتـاب الشعـر) في : ليـدن (لايـدن) سنـة ١٨٧٥م، ونشرهـا : وزن (بيـتر شـوزين H,W,Rittershousen) وترجمها ، وكتب دراسة لها باللغة الفلمنكية (الهولندية) .

٢ ـ ترجمها (نولدكه V.Noeldeke) ـ (ت ـ ١٩٣٠م) ونشرهـا في (Einleitung ubers Beitrage, 1,ff) في سنة ١٨٦٤م .

٣ ـ ثـم نـشـر الـكـتـاب كـامـلاً (دي خـويس Goeje, IVI,j ت ـ ١٩٠٩ م) ، في ليدن ، سنة / ١٩٠٤م ، ثم أعيد نشرها بطريقة التصوير الطباعي (الأوفسيت) .

٤ ـ وفي سنة / ١٣٠٢ هـ ـ ١٩٠٤م نشر في : الإستانة (تركيا) .

٥ ـ ونشر في القاهرة ، مطبعة التقدم ، سنة ١٣٠٢ هـ ـ ١٩٠٤م ، بعناية المرحوم السيد/ محمد بدر الدين النعساني (مكتبة الخانجي) .

٦ ـ وطبع في سنة / ١٣٣٢ هـ بمطبعة الفتـوح الأدبية بتصحيـح (أحد أدباء العصر) .

٧ ـ ثم نشره المرحوم الأستاذ الجليل مصطفىٰ السقّا في القاهرة / المكتبة التجارية الكبرىٰ ، مطبعة المعاهد ، ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م .

٨ ـ وفي سنـة / ١٩٤٧م ، تولّىٰ المستشـرق الفـرنسي (جـوفـرو

ديمومبين Gaudfroy Demombynos) نشر (المقدمة / كتاب الشعر) في باريس ، مع ترجمة باللغة الفرنسية في مجموعة (غيوم بوده) .

٩ ـ ثم قام الشيخ المرحوم أحمد محمد شاكر (ت ـ ١٩٥٨م) بنشره في القاهرة ـ

أ ـ الجزء الأول سنة ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦م

دار إحياء الكتب العربية (في ٥٥٨ ص) ، ثم أعيد طبعه في سنة ١٩٦٦م ، دار المعارف ، القاهرة ، وكان الأستاذ / السيد أحمد صقر قد نقده في مجلة (الكتاب ـ القاهرة / المجلد الثاني ، السنة الأولىٰ ، الجزء الثامن ص : ٢٩٥ ـ ٣٠٩) . وأثبته المحقق الشيخ شاكر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في (ص٧ ـ ٣٠ ج١ / طبعة ١٩٦٦م) وهذا من سَمْت العلماء الذين يعترفون بفضل أهل العلم والحق .

ب ـ الجزء الثاني ـ طبع في سنة ١٩٥٠م

دار إحياء الكتب العربية ، وقد عاونه في تحقيقه ، الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، وهو في (٤٨٩) وتناوله الأستاذ صقر بالنقد أيضاً ، ونشر نقده في : مجلة (الكتاب س٥ ج٩ المحرم ـ نوفمبر ص :٩٢٨ ـ ٩٣٤) .

ومما أخذه الناقد علىٰ المحقق ، عدم اعتماده علىٰ نسخ مخطوطة من الكتاب ، وقد أشار اليها ومنها : نسختان في (دار الكتب المصرية برقم ٥٥٠ ، ٤٢٤٧ ـ أدب) .

وكان (دي غويه) قد رجع الىٰ أولاهما ، والىٰ نسخة ثالثة (دار

الكتب برقم ٩١٦٠ ـ أدب) ، ونسخة رابعة في (المكتبة الأزهرية برقم ٦٨٨٥ ـ أدب) .

١٠ ـ وفي بيروت ، قامت (دار الفكر) بنشر جزء صغير منه (في ١١٢ص) .

١١ ـ وفي بيروت أيضاً نهضت دار الثقافة بنشره ، في سنة / ١٩٦٤م ، وهي طبعة محققة ومفهرسة ، خدمها أستاذان فاضلان هما الدكتوران : إحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم ، وتقع في تسعمائة صحيفة .

٢١ ـ تأويل مختلف الحديث

وهو نفسه كتاب « مشكل الحديث ، وشرح الأحاديث النبوية » . وهو فريد في بابه ، عالج فيه ابن قتيبة الأحاديث التي يحتمل تأويلها على غير وجهها الصحيح ، كما أنه تضمن نقداً شديداً للجاحظ ، وللفرق الكلامية التي نالت من الحديث النبوي الشريف وأهله .

طبعاتـه :

١ ـ نشره السيد / محمود الشابندر البغدادي ، في القاهرة سنة / ١٣٢٦ هـ ، بمطبعة كردستان العلمية ، معتمداً ثلاث نسخ ، واحدة منها كانت في خزانة الامام السيد محمود شكري الألوسي (ت ـ ١٩٢٣م) منقولة عن نسخة[٢٢] كتبت في سنة (٤٧٦ هـ) في مدينة واسط ، وأشرف على تصحيحه الإمام الألوسي نفسه ـ رحمه الله

تعالىٰ - .

٢ - ثم نشره الشيخ محمد زهري النجار ، في القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م ، وتوجد منه مختارات بعنوان : « المغيث من مختلف الحديث » جمعها السنجاري محمود بن طاهر بن المظفر .

ومن مخطوطاتـه :

١ - نسخة في المكتب الهندي / في لندن (فهرس المكتب الهندي ١٩٦/١) .

٢ - نسخة في المكتبة الأصفية بالهند (برقم ١٣٥) ، وهذه المختارات لم تنشر بعد .

ومن أقدم نسخ (تأويل الحديث) المخطوطة :

١ - نسخة كتبت في سنة / ٤٧٦ هـ بواسط ، (مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ١٩٦/١) وصلت إليها من الخزانة المرجانية .

٢ - نسخة كتبت في سنة / ٤٠١ هـ بعنوان (اختلاف الحديث) تحتفظ بها المكتبة الظاهرية بدمشق .

وقد ترجمه المستشرق الفرنسي (جيرار لكونت Gerard Lecomte) الىٰ اللغة الفرنسية ، ونشره المعهد الثقافي الفرنسي بدمشق ، سنة ١٩٦٢م في (٤٦٠) صحيفة .

٢٢ - الميسر والقداح

وفيه عرض وجيز للميسر والقداح عند العرب ، وهو بمثابة الإطلالة على معرفة بعض جوانب التاريخ الاجتماعي للعرب في

جاهليتهم ، وقد أودعه المؤلف تفسيراً لشعر العرب فيهما ، أمثال : شعر الطرمّاح ، وابن مقبل . . وهذا المؤلف كتاب لغة وأدب ، كما تجد فيه الفقه والحديث .

وقد أشار ابن قتيبة الى منهجه الذي ارتضاه لنفسه في وضعه بقوله : « ولم أجد السبب إلىٰ ماالتمسته إلّا جمع الأبيات في الميسر وتدبرها ، والاستدلال علىٰ كيفيته باعتبارها ، وأودعت كتابي هذا منه ماأدّىٰ اليه النظر ، ودلَّ عليه الاستخراج » ، ولم يصل الينا سواه من مؤلّفات في هذا الضرب من التأليف الذي يعد جزءاً مهماً من تاريخ الحياة الاجتماعية للعرب في الجاهلية[٢٣] .

طبعته :

نشره المرحوم الأستاذ / محب الدين الخطيب في سنة / ١٣٦٣ هـ ، وطبع في المطبعة (السلفية) بالقاهرة ، وقد مهَّد له بمقدمة طيّبة عن المؤلف وآثاره ، ثم أعيد طبعه في سنة ١٣٨٥هـ ، في القاهرة أيضاً .

٢٣ ـ المعارف

وهو كآسمه ، من كتب المعارف[٢٤] العامة ، تناول فيه القتبي تاريخ الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ومبدأ الخليقة ، وتاريخ العرب في الجاهلية وأنسابهم ، ثم عرض للتاريخ الاسلامي ، فبدأ بسيرة المصطفىٰ (ﷺ) وأخبار الصحابة والتابعين وتابعيهم (رضي الله عنهم) ، كما عرّف بالقرّاء والمعلّمين ، وأهل اللغة والنحو ، وأمح

الىٰ سير الخلفاء إلىٰ عصره ، حيث ختم الكلام عليهم بذكر الخليفة المعتمد علىٰ الله (ت ـ ٢٥٦ هـ) ولم ينس ابن قتيبة ، وهو (خطيب أهل السنّة) ذكر الفرق الغالية في الاسلام ، كما تناول تاريخ ملوك الحبشة ، وأهل الحديث ، والفقهاء والمفسّرين . وهو أشبه بمادة وجيزة (لمعلمة / دائرة معارف) اسلامية قديمة . تضمنت التعريف بالحضارة الاسلامية الىٰ عصره .

ومن روائع نصوصه ، نصوص من « التوراة والإنجيل » حيث أفاد منها في سرد قصة الطوفان ومبدأ الخليقة(٢٥) .

وقد حاول بعض أهل العلم أن ينتقص من قدر هذا الكتاب الجليل ، فزعم أنه منقول من كتاب « المحبّر » لابن حبيب ، وهو أمر بعيد عن الحق والحقيقة ، إذ أن الكتابين بين أيدي الناس ، والمقارنة بينهما تقوم شاهد إثبات علىٰ أصالة (المعارف) وهما يختلفان مادة ومنهاجاً(٢٦) .

و (المعارف) من موارد كثير من كتب التاريخ والأدب في تراثنا الإسلامي ، أمثال : تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (ت ـ ٣١٠ هـ) ، و (الوزراء والكتاب) للجهشياري ، و (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد (ت ـ ٦٥٥ هـ) و (البداية والنهاية) لابن كثير ، و (الشذرات) لابن العماد الحنبلي . . وغيرها .

طبعاته :

١ ـ نشره لأول مرة المستشرق الألماني (اف وستنفلد F.Wastenfeld

ت ـ ١٨٩٩م) في جونتجين ـ ألمانيا في سنة ١٨٥٠م ، مع مقدمة وجيزة باللغة الألمانية .

٢ ـ في القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ ، ولم أعرف عنها شيئاً .

٣ ـ في سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤م نشره السيد / محمد اسماعيل الصاوي ، في القاهرة ، وشاركه في النشر : عثمان خليل ، وطبع في المطبعة الاسلامية معتمدين طبعة وستنفلد ، ونسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية .

٤ ـ طبعة دار الكتب المصرية ، بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة (أحد وزراء الثقافة) في مصر ، وكان عمله في نشرها جزءاً من رسالة للدكتوراه .

وهذه الطبعة من أدق الطبعات ، لتحري محققها الصواب في تحريره النص ، وقد بذل في سبيل ضبطها جهداً طيباً ، وصدرت في سنة ١٩٦٠م عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في القاهرة ، وتصدرتها مقدمة نفيسة تكفلت بالحديث عن (المعارف والقتيبي) وعرضت لنسخة وتوجت بفهارس علمية للموضوعات ولرجال السند وللشعراء وللأعلام ، وختمها بخلاصة لعمله باللغة الفرنسية .

وتقع الدراسة في (٦٦٩ صحيفة) للمتن و (١٢٤) صحيفة للمقدمة ، و (الفهارس ١٥١ ص) والخلاصة في اثنتي عشرة صحيفة .

وهي ـ بحق ـ من الطبعات العلمية التي استوفت شروط التحقيق العلمي .

وتصدىٰ المرحوم الدكتور مصطفىٰ جواد (ت ـ ١٩٦٩م) لنقدها ، ونشر نقده في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد التاسع / ٤٣٣ ـ ٤٥٩) .

وأعيد نشرها في : دار المعارف ، بالقاهرة . .

٢٤ ـ دلائل النبوة

وسمّاه القاضي عياض وابن فرحون : « أعلام النبوة » . ونعته أبو الطيب اللغوي بـ « معجزات النبي ﷺ » .

ذكره ابن النديم (الفهرس / ٨٦) والصفدي في (الوافي ١١/٧و١٨) والداوودي (طبقات المفسرين ١/٢٤٥) والسيوطي (بغية الوعاة ٢/٦٣) وحاجي خليفة (كشف الظنون / ٧٦٠) .

وعرفه ابن الأنباري (نزهة الألباء / ١٤٤) بعنوان : (دلائل النبوة من الكتب المنزلة علىٰ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ) .

والسخاوي (الاعلان بالتوبيخ / ١٦٧) باسم « أعلام النبوة » ، وابن خير (الفهرس / ١٥١) وابن قاضي شهبة (طبقات النحاة / ٣٤٦) .

ورواه التارونتي السوسي المغربي (ت ـ ١٠٩٤ هـ) عن (أبي حيّان عن الحسن بن عبدالعزيز بن أبي الأحوص عن أحمد بن يزيد بن علي عن شريح بن محمد بن شريح عن أبيه عن أبي عبدالله محمد بن الخطيب البغدادي عن الحسن بن عبدالله بن المهندس عن ابن قتيبة) « صلة السلف ف / ٤٢ المخطوطة » .

ونقل عنه الإمام أبو الحسن الماوردي البصري (ت ـ ٤٥٠ هـ) في : «إعلام النبوة ص/٤٦ و٧١، ط/ القاهرة ١٩٧١م ـ ١٣٩١ هـ) .

وابن حزم في « الفِصَل ج١ / ٣٨٩، ٣٩٢ وج ٢ / ٥) .

مخطوطته :

من (أعلام النبوة) نسخة مخطوطة تحتفظ بها (دار الكتب المصرية ـ الخزانة التيمورية) باسم : « معجزات النبي ﷺ » .

٢٥ ـ أدب الكاتب

وهو من أظهر آثار ابن قتيبة في اللغة ، ومادته أدخل في (فقه اللغة) منها في متن اللغة ، وأصوله في :

١ ـ مقدمة (خطبة) .

٢ ـ كتاب (باب) المعرفة .

٣ ـ كتاب / تقويم اليد ، في سلامة رسم الحرف العربي ، ومايحتاج إليه الكتّاب من ثقافة لغوية في الخط .

٤ ـ كتاب تقويم اللسان .

٥ ـ كتاب الأبنية ، ويقسم علىٰ قسمين :

أ ـ أبنية الأفعال .

ب ـ أبنية الأسماء .

ويندرج تحت كل كتاب من كتب الأبنية ، باب في صيغة بناء من أبنية الفعل أو الاسم .

و (أدب الكاتب) من أوائل الكتب العربية التي وصلت إلينا منظّمة منسّقة الترتيب في اللغة ، وهو ثمرة من ثمار التأليف اللغوي العربي في مادة : « فقه اللغة » نال هذا الكتاب شهرة بعيدة الصيت والصوت في عالم اللغة والأدب . وعدَّه شيوخ الأدب « ركناً من أركان الأدب » قال ابن خلدون : « وسمعنا من شيوخنا في مجلس التعليم ، أن أصول هذا الفن (الأدب) وأركانه أربعة دواوين ، وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرّد ، والبيان للجاحظ ، والنوادر للقالي ، وماسوىٰ هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها . المقدمة / ٥٥٣ ـ ٥٥٤ / القاهرة ١٩٥٤م) .

وهو ينهض قمة رفيعة لدراسة التطور اللغوي إذ أنه احتجن طائفة من الألفاظ التي يستعملها الأدباء في غير مواضعها الأصلية ، وهذا ماعرف عند أهل اللغة بـ « لحن العامّة »[٢٧] .

وضعه ابن قتيبة ليكون نافعاً لكتّاب الدواوين ، وزاداً لغوياً لأهل الصناعة ، لذلك كثر شرّاحه وتناوله غير واحد من اللغويين والأدباء بالشرح[٢٨] والنقد وأشاد به من وجد طعم النفع فيه ، فمن شرّاحه :

١ ـ الزجاجي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق ، المتوفىٰ في سنة / ٣٣٧ هـ ، وصل الينا منه جزء تضمن خطبته فقط ، وهي مخطوطة منها نسخ في : (دار الكتب المصرية ، ٣٩ ش أدب ، في سبعين ورقة) .

والمتحف البريطاني / لندن ، وشهيد علي / المكتبة السليمانية

ـ في استانبول .

٢ ـ ابن السِّيد البطليوسي [٢٩] ، عبدالله بن محمد المتوفى في سنة / ٥٢١ هـ ، وشرحه مطبوع يعرف بـ « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » .

طبع في : بيروت ، ١٩٠٠ ـ ١٩٠٥م ، بعناية / عبدالله البستاني ، ثم طبع في سنة / ١٩٧٣م في بيروت أيضاً ، نشرته (دار الجيل) بـ (الأوفسيت) .

٣ ـ الزهراوي ، سليمان بن محمد (كان حيّاً في سنة / ٣٣٨ هـ) وهو من تلاميذ الزجاجي أبي القاسم ، ومن أصحاب أبي جعفر النّحّاس ، ذكره ، الجلال السيوطي في (بغية الوعاة ١/٦٠٢) ، وحاجي خليفة (في الكشف ١/ ٤٨) .

٤ ـ عبدالباقي بن محمد (ت ـ ٣٩٢ هـ) شرح (خطبته) ومنه نسخة مخطوطة في (ليبزج / ليننغراد) .

٥ ـ أبوعلي البطليوسي ، الحسن بن محمد (ت ـ ؟) .

ذكره السيوطي في (البغية ١/٥٢٥) ورواه ابن خير الاشبيلي في (فهرسه / ٣٤٤) .

٦ ـ الجذامي ، أحمد بن داود أبوجعفر النحوي (ت ـ ٥٩٨ هـ) .

ذكره السيوطي (البغية ١/٣٠٦) .

٧ ـ الفارابي اسحاق بن ابراهيم (ت ـ ٣٥٠ هـ) مؤلف كتاب « ديوان الأدب » ذكره ياقوت الحموي (معجم الأدباء ٢ / ٢٢٧) والسيوطي في (البغية ١ / ٤٣٨) .

٨ ـ ابن الخشّاب ، أبومحمد عبدالله بن أحمد البغدادي (ت ـ ٥٦٨ هـ) .

٩ ـ وشرح أبياته الخارزنجي[٣٠] ، أحمد بن محمد ، البشتي (ت ـ ٣٤٨ هـ) إمام أهل الأدب في مصره وعصره .

ذكره السيوطي (البغية ١/٣٨٨) والسمعاني في (الأنساب ق/١٨٤) وياقوت الحموي في (معجم الأدباء ٢/٦٦) .

١٠ ـ وشرح خطبته أيضاً ، المبارك بن فاخر النحوي (ت ـ ٥٠٠ هـ) ، أشار اليه الحموي في (معجم الأدباء ٩/٢٢٩) والسيوطي في (البغية ٢/٢٧٣) .

١١ ـ الجواليقي ، موهوب بن أحمد المتوفىٰ في سنة / ٥٤٠ هـ ، له شرح عليه مطبوع بعنوان : « شرح أدب الكتاب » نشرته مكتبة القدسي في القاهرة ١٣٥٠ هـ ، وكتب مقدمته الأستاذ المرحوم مصطفىٰ صادق الرافعي .

١٢ ـ وشرح مقدمته (الخطبة) ابن القوطية ، محمد بن عمر (ت ـ ٣٦٧ هـ) رواه ابن خير الأشبيلي في (فهرسه / ٣٤٣) وسمّاه : شرح صدر أدب الكتاب .

١٣ ـ أبوعلي القالي البغدادي (ت ـ ٣٥٦ هـ) له (شرح علىٰ أدب الكتاب) ذكره عبدالقادر البغدادي في (خزانة الأدب) (١ / ٤٣١) نقلاً عن (الاقتضاب) .

١٤ ـ أبوحفص ابن الحصار ، عمر بن محمد بن أحمد ، القضاعي ، البلنسي المتوفىٰ في سنة / ٥٩٦ هـ .

وشرحه بعنوان « الصواب في شرح أدب الكتاب » .

ذكره أبو عبدالله المراكشي في[٣١] : « الذيل والتكملة / السفر الخامس ، القسم الثاني / ٤٥٨ » بقوله : « في ثلاث مجلدات ضخمة ، وقفت عليه بخطه ، أجزل بها الإفادة » .

١٥ ـ ابن كيسان محمد بن أحمد أبوالحسن (ت ـ ٢٩٩ هـ) له : « غلط أدب الكاتب »[٣٢] .

١٦ ـ الليلي ، أحمد بن يوسف (ت ـ ٦٩١ هـ) وله ذكر في « خزانة البغدادي ج١ / ٩، ١١و٢ / ٥٣٨ و٣ / ٣٣٥) ونقل عنه .

١٧ ـ ابن برّي النحوي ، عبدالله بن أحمد (ت ـ ٥٨٢ هـ) له ذكر ونقل عنه في « خزانة البغدادي ١ / ١١و٣ / ٣٣٥» .

١٨ ـ وأشاد به أبو منصور العبدوني أحمد بن عبدون ، بقوله :

(أدب الكتاب) عنـــدي ماله في الكتـــب نِـــدُّ

ليس للكتـاب منـــــه أن أراد العلـــم بُـــدُّ

(يتيمة الدهر ٤ / ٧٤) .

وطبعاتــه :

هـــي :

١ ـ نشره المستشرق الألماني (شيرول Sproull, W,O) في ليبسـك ، سنة / ١٨٧٧م ، ونشرتـه هذه مختارات منه مع ترجمة بالألمـانية ، (وعمله هذا رسالة دكتوراه) .

٢ ـ ونشـره المستشرق الألمـاني (جـرونيـرت / غـروثـرت ؟) في (بريل / ليدن) سنة ١٩٠٠م وكتب تعريفاً به بالألمانية .

وأعيد طبع هذه الطبعة في بيروت ١٩٦٧م بطريقة (الأوفسيت) ، دار صادر .

٣ - وله طبعات كثيرة صدرت في القاهرة ، هي :

أ - في مطبعة الوطن ١٣٠٠ هـ .

ب - في المطبعة الشرقية / ١٣٢٨ هـ .

جـ - مطبعة الاتحاد / ١٣٢٨ هـ .

د - طبعة في سنة / ١٣١٠ هـ .

هـ - المطبعة السلفية / ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م ، وهي من أتقن الطبعات له ، وقد تولّىٰ الإشراف عليها الأساتذة : المرحوم محب الدين الخطيب والشيخ محمود محمد شاكر ، وعبدالسلام محمد هارون .

و - في المطبعة الرحمانية ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧م بتصحيح المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، ثم تكرر إعادة طبعها أكثر من مرة .

واختصره الشيخ طاهر بن صالح الجزائري المتوفىٰ في سنة / ١٩٢٣م ، ونشر في : القاهرة، سنة / ١٣٣٧ هـ - ١٩٢٠م ، بعنوان « تلخيص أدب الكاتب » .

وفي كتاب (ابن قتيبة - الدكتور الحسيني : ١٠٦) ورد فيه ماهذا نصه :

« ٤ - شرح مختصر يعتمد علىٰ الشروح السابقة لمحب الدين الخطيب » .

والشروح السابقة ، يراد بها شروح ، الزجاجي والجواليقي ،

وابن السيد البطليوسي .

ثم أشار في (الحاشية الرقم /٥ : إلىٰ أنه مختصر من أدب الكاتب ، يعرف بتلخيص أدب الكاتب قام به الشيخ طاهر الجزائري / القاهرة ١٩٢٠م . وقبلها ذكر (١٣٤٧ هـ ـ القاهرة) لطبعة الشيخ محب الدين الخطيب .

والحقيقة ، ان المرحوم الخطيب وقف علىٰ طبع أدب الكاتب (راجع الفقرة / هـ) . . والشيخ الجزائري نشر عمله في القاهرة ١٩٢٠م ؛ وهما عملان مختلفان[٣٣] .

٢٦ ـ الأشربــة

ويعرف أيضاً بعنوان « الشراب » كما ذكر المؤلف نفسه في (عيون الأخبار ج١ / ٣٢٥ ط/دار الكتب) وفي (الشعر والشعراء ص / ١١٨ ، ط/ دار الثقافة) .

ونقل منه ابن عبد ربه (ت ـ ٣٢٨ هـ) مادة طيّبة في (العقد الفريد ج٦/٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ط/ لجنة التأليف ، القاهرة) .

والأشربة ، كتاب فقه ، حاول مؤلفه أن يمزج الأدب بالفقه .

والأشربة[٣٤] ، من المسائل التي شغلت أمناء الشرع والفقه في عصر ابن قتيبة ، والناس بين محلّل ومحرّم ، فكتب القتيبي هذا الكتاب ليقف شاهداً وأميناً على حرمات الشارع (الدين الإسلامي) .

وأراد أن يدفع الباطل بالحق المبين ، لذا تراه يورد أقوال الفقهاء

ويسندها بالصحيح من أسانيد الحديث الشريف ، فجاء كتابه مستوفىً ، وحسم به نزاع المتأولين في حل أو حرمة بعض الأنبذة .

طبعته :

١ ـ نشر المستشرق الفرنسي (ارتورجي Guy Arthur ت ـ ١٩٢٨م) قسماً منه في مجلة (المقتبس / في القاهرة ، المجلد الثاني / ١٩٠٧م ص : ٢٣٤ ـ ٢٤٨ ، ٣٨٧ ـ ٣٩٢ ، ٥٢٩ ـ ٥٣٥) بحث بعنوان : « صحف منسية » .

٢ ـ ثم نشره الأستاذ الرئيس محمد كرد علي (ت ـ ١٩٥٣م) كاملاً في دمشق ، وصدر عن : المجمع العلمي العربي ، (مطبعة الترقي ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧م) . معتمداً أربع نسخ مخطوطة من أصوله ، واحدة منها بغدادية ، تعتز بها (مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ـ وعنها نسخ المرحوم مؤرخ العراق عباس العزاي نسخته التي أفاد منها الأستاذ كرد علي) .

ومن العجب أن تمنىٰ هذه الطبعة بالتصحيف والتحريف ، وقد مرقت من سنان براع المحقق وهو العالم الجليل المجدد هنات ، مما أدّىٰ بالأستاذ / السيد أحمد صقر أن يعرضَ لها بالنقد الشديد ، (مجلة الرسالة / القاهرة / السنة / ١٧ ، ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م نظرات في كتاب الأشربة ص : ٩٠٢ ـ ٩٠٣ ، ٩٣١ ـ ٩٣٣ ، ٩٦١ ـ ٩٦٣ ، ١٠١٧ ـ ١٠١٩ ، ١٠٧٥ ـ ١٠٧٧ ، ١٣٨٢ ـ ١٣٨٤ ، ثم ١٤٣٧ ـ ١٤٣٩ رد علىٰ هذا النقد) .

كما نقدها المستشرق (كرنكو) في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق) (م ٢٣ / ١٥٧ ـ ١٥٨ ج١ ، ١٩٤٨م) .

٢٧ ـ سير العَجَم

ذكره ابن السرّاج ، أبو محمد جعفر بن أحمد (ت ـ ٥٠٠ هـ) في كتابه : « مصارع العشاق ص / ٣٧٣ ـ ٣٧٤) في سياق خبر / قصة بنت ملك الحضر ، وهذا النص لايوجد في (عيون الأخبار / راجع : بروكلمان ٢ / ٢٣٠ ـ الطبعة العربية) .

٢٨ ـ الجوابات الحاضـرة

أشـار اليـه ابن قـاضي شهبـة (طبقـات النحـاة ج٢ ، الورقة / ٣٤٦) والسيوطي (البغية ٢ / ٦٤) والـداوودي (طبقات المفسرين ١ /٢٤٥) وحاجي خليفـة في (كشف الظنـون / ٦٠٩) والصفدي .

٢٩ ـ حكم الأمثـال

وهو من كتب الأمثال العربيـة ، (راجع : زلهـايم ، الأمثال العربية القديمة / ١٦٥ ، ٢٠٢) .

وألمح اليه ابن قـاضي شهبة (الـطبقات ج٢ ق٣٤٦) وذكـره ابن النديم (الفهرس / ٨٦) والصفدي (الحكم والأمثال) .

٣٠ ـ الرد على القائل بخلْق القرآن

ذكـره ابن قـاضي شهبـة (طبقـات النحـاة ج٢ / ٢٤٦) والـداوودي (طبقات المفسرين ٢ / ٤٥) والسيوطي (بغيـة الوعـاة ٢ / ٦٤) والذهبي والصفدي .

٣١ ـ أدب القــراءة

انفرد بذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون / ٤٣) .

٣٢ ـ استماع الغناء بالألحان

قـال حاجي خليفـة (كشف الظنـون / ١٠٠١) : « والعلماء اختلفوا في اسماع الغناء بالألحان ، وهي مسألة طويلة الذيل ، خصّها كثـير من النقد من المتقـدمين بـالتصنيف ، كالقـاضي أبي الـطيّب ، وأبي محمد بن قتيبة » .

وذكره ابراهيم بن علي الوزير ، في كتابه : « علىٰ مشارف القرن الخـامس عشـر الهجـري ص : ١٦٩ » بيـروت ، دار الشــروق ، ١٩٧٩م ، بعنوان « الرخصة في السماع والغناء » ، وراجع (حاشية إنباه الرواة ٢/١٤٦) .

٣٣ ـ فرائـد الــدر

أشار اليه ابن النديم في (الفهرس / ٨٦) .

٣٤ ـ القــراءات

ذكره ابن قتيبة في :

تأويل مشكل القرآن (ص : ٦٤ بقوله / وستراه كله في كتابنا المؤلّف في / وجوه القراءات) .

وابن النديم (الفهرس / ٨٦) وابن حجـر العسقلاني (رفـع الأصر ١/٧٢) وابن فرحون في (الديباج المذهب / ٣٥) وابن قاضي

شهبة في (طبقات النحاة ج٢ / ٣٤٦) وابن خلكان (وفيات الأعيان ٤٢/٣) بعنوان : إعراب القراءات .

وسمعه أبو الفضل المرجّي بن أبي الحسن الواسطي (ت ـ ٦٥٦ هـ) علىٰ القاضي أبي طالب محمد بن علي الواسطي .

(راجع : تاريخ إربل ج١ / ٣٩٩) لابن المستوفي ، بغداد ، ١٩٨٠م تحقيق د/ سامي الصفار) ، وكذلك ذكره : الذهبي والصفدي .

٣٥ ـ كتاب العلم

ذكره مترجموه أمثال : ابن النديم ، وقد وصفه بقوله « نحو خمسين ورقة » ، وجمال الدين القفطي (إنباه الرواة ١٤٦/٢) وابن قاضي شهبة .

أقول : وهذا الكتاب هو الذي ذكره السيوطي في (بغية الوعاة ٦٤/٢) والداوودي (الطبقات ٤٦/٢) بعنوان : « القلم » .

ولعله أصل كتاب « العلم والبيان / من كتاب عيون الأخبار » .

٣٦ ـ كتاب الحكاية والمحكي

انفرد بذكره ابن النديم (الفهرس / ٨٦) ، وقد نقضه ابن المعلم / محمد بن محمد بن النعمان المفيد أبو عبدالله (٣٣٨ ـ ٤١٣ هـ) .

واسم نقضه : « النقض علىٰ ابن قتيبة في الحكاية والمحكي » .

راجع « فهرست الطوسي / ١٨٧ » النجف ، ١٩٦٠م .

٣٧ ـ آداب العشرة

ألمع بذكره ابن النديم (الفهرس / ٨٦) .

٣٨ ـ آلة الكتاب

لم يذكره أحد سوىٰ ابن السِّيد البطليوسي (ت ـ ٥٢١ هـ) الذي أشار اليه ونقل منه في كتابه (الاقتضاب ص : ٥٩ ، ٨٤، ٨٧ ـ ٨٨) .

ومما يؤيد نقله عن هذا الكتاب ، إشارته الى كتاب (أدب الكتاب / الكاتب) في (الصحيفة / ٨٧ بقوله : « ويقال للشحمة التي تحت براية القلم ، الضرة ، شبهت بضرة الإبهام ، وهي اللحمة في أصلها ، كذا قال ابن قتيبة في آلة الكتاب ، وهو المعروف ، وخالف ذلك في : أدب الكتاب ») .

٣٩ ـ خلق الانسان

نسبه اليه ابن النديم ، وابن قاضي شهبة ، والسيوطي والداوودي ، وحاجي خليفة ، والذهبي والصفدي ، وفي أدب الكاتب ، في خلق الانسان ، ولعله هو المقصود .

٤٠ ـ الخيل

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان (الوفيات ٣/ ٤٣) وابن قاضي شهبة ، والصفدي والداوودي ، والسيوطي ، وجمال الدين القفطي في (إنباه الرواة ٢/١٤٦) ، ومهذب الدين اليافعي في (مرآة الجنان ٢/١٩١) ، وحاجي خليفة في (كشف الظنون /

١٤١٥) وتصحف الى « الحيل » عند مؤلف كتاب « روضات الجنات ١٠٥/٥ » .

٤١ ـ صناعة الكتـــابة

لعل أول من أشار اليه من أهل الأدب والمؤرخين هو : الخزاعي علي بن محمد بن أحمد ، في كتابه(٣٥) : « تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية » عند كلامه على كلمة « ديوان » . قال الخزاعي : « وقال ابن قتيبة في صنـاعة الكتـابة ، وإنما بالياء على لفظه ، قال : ودالـه بـالكسر ولاتفتح » .

وذكره في الورقة الرابعة والخمسين بعد المائة (من الباب الرابع) الذي عقده لذكر موارد كتابه ، حيث قال : « . . أدب الكتـاب / الكاتب / لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة » ، ثم ذكـر موارده الأخـرىٰ من كتب الأدب ، أمثال « عيـون الأخبار ، والمعـارف له » وصناعة الكتابة لأبي جعفر النحاس ، وصناعة الكتابة لابن قتيبة » .

والمؤلف الخزاعي ، عاش قبل سنة / ٦٢٨ هـ ، لأن مخطوطة « تخريج الدلالات » كتبت في سنة / ٦٢٨ هـ .

٤٢ ـ كتـاب الـوزراء

لم يذكره أحد ممن ترجم له ، وانفرد بذكره ابن منظور في « لسان العرب ج ١١ / ٢٢٠ مادة : خ/ل/ل/ة » .

قال : « . . . في كتاب الوزراء لابن قتيبة في ترجمة أبي سلمـة حفص بن سليمان الخلال » .

ونقل الخوانساري (ت ـ ١٣٠٨ هـ) تفسير اسم الوزارة في « روضات الجنات ٣/١٦٩ » عن ابن قتيبة ، ولعله منه .

وأول من عرفه من العصريين من الأدباء وأهل العلم ، هو الأستاذ / السيد أحمد صقر في مقدمته لكتاب « تأويل مشكل القرآن ص / ٧ » .

٤٣ ـ كتاب الوحش

أشار اليه ابن قتيبة نفسه في كتابه (الأنواء / ٤١) بقوله : « وقد ذكرت هذا في كتاب الوحش بأكثر من هذا الشرح . . » .

وأعاد ذكره ابن قاضي شهبة (الطبقات ٢/٣٤٦) والصفدي .

٤٤ ـ كتاب الصيام

ورد له ذكر في كتاب « الأنواء / ١٣٠ » حيث قال القتيبي : « . . . وقد ذكرت مثل هذا في الكتاب الذي ألّفته في الصيام » .

وراجع / طبقات النحاة لابن قاضي شهبة (٢/٣٤٦) والذهبي ، والصفدي .

٤٥ ـ إعراب القرآن

عرفه ابن النديم ، والقفطي (إنباه الرواة ٢/١٤٦) والداوودي ، وابن قاضي شهبة ، والسيوطي (بغية الوعاة ٢/٦٣) واليافعي (مرآة الجنان ٢/١٩١) والذهبي والصفدي والخوانساري (روضات الجنات ٥/١٠٥) .

وراجع (ابن خلكان ٣/٤٢ ـ إعراب القراءات) .

٤٦ ـ التفسـير

ذكره القاضي عياش في « ترتيب المدارك ٣/٢٩٢ ـ ٢٩٣) وابن قاضي شهبة (الطبقات / ٣٤٦) وفيه (كتاب النفيس) .

٤٧ ـ الزوائد في غريب الحديث

أشار اليه ابن قتيبة في صدر كتابه « غريب الحديث ج١ / ١٥١ » .

قال : « وكفت حين ابتدأت في عمل الكتاب / غريب الحديث / اطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه ، والحرص علىٰ تدوينه عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل مايرتفع في كل أسبوع ، ففعلت حتىٰ تم لهم الكتاب وسمعوه ، وحمله قوم منهم إلىٰ الأمصار ، ثم عرضت بعد ذلك أحاديث كثيرة ، فعملت بها كتاباً ثانياً ، يدعىٰ كتاب / الزوائد في غريب الحديث . . / ثم تدبر الكتابين / الزوائد وغريب الحديث / فرأىٰ الأصوب في الرأي أن يجمعهما ، فكان منهما كتابه : « غريب الحديث » .

٤٨ ـ كتاب النسـب

وردت إشارة اليه عند المؤلف في قوله : « واختلف النسّاب فيما بعد (عدنان) وقد بينته في كتاب النسب » ، (راجع / المعارف ١١٧ / ط د . عكاشة) .

٤٩ ـ تصحيف العلمـاء

عرفنا اسمه فقط عند ترجمة تلميذه / ابن درستويه عبدالله بن

جعفر (ت ـ ٣٤٧ هـ) ، ذكره أصحاب كتب الطبقات .

وقالوا : إن لابن درستويه (رد على ابن قتيبة في تصحيف العلماء) .

راجع : (ابن درستويه ٥٩ ـ ٦٠ لعبدالله الجبوري) .

كتب منحولة

أوردت بعض مظان ترجمة ابن قتيبة أسماء كتب في التاريخ والنحو والأدب ، ونسبتها إليه ، وهي ليست له ، ولايثبت دليل علمي يقطع بنسبتها اليه ، ومن هذه الكتب :

١ ـ الإمامة والسياسة

وهو كتاب مشهور في التاريخ الإسلامي ، طبع أكثر من مرة ، ويضم فضائل الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ ثم تناول مسألة (الإمامة) وبحث في أحقيتها .

ودرس أمر انتحاله جمهور من أهل العلم والفضل قديماً وحديثاً ، ومن أظهر القرائن التي تدفعه عن نتاج ابن قتيبة .

١ ـ انه أغفل ترجمة الإمام علي (رضي الله عنه) في باب / فضائل الخلفاء الراشدين ، وابن قتيبة « غير متهم في حق عليّ عليه السلام ، على المشهور من انحرافه عنه » كما ذكر ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ١٩/٢١٨) .

٢ ـ ان مؤلفه قد أخذ معارفه عن فتح الأندلس من / امرأة شهدت الفتح . . في سنة / ٩٢ هـ .

٣ ـ انـه ينقل مبـاشرة عن / ابن أبي ليـلىٰ محمد بن عبـدالـرحمن الأنصاري الفقيه ، قاضي الكوفة ، المتوفىٰ سنة ١٤٨ هـ .

٤ ـ لم يذكره ابن قتيبة في أي كتاب من كتبه ، وهذا من غير المألوف عنده .

٥ ـ من خلال فحص نصوصه ، يتضح أن المؤلف عاش في دمشق ، وابن قتيبـة ، بارح مـوطنه الى مكـة ، والىٰ خراسـان ، ثم استقر في بغداد ، ولم يذكر أحد من أصحاب كتب الطبقات عنه أنه زار دمشق .

٦ ـ لم يشر اليه أحد من المتقدمين منسوبـاً الى ابن قتيبة ، سـوىٰ القاضي ابن الشباط / أبوعبدالله ، محمد بن علي بن محمد ، التوزري المصري المتوفىٰ سنـة / ٦٨١ هـ وذلك في كتـابه[٣٦] : « صلة السمط وسمة المرط » في الفصل الثاني من الباب الرابع والثلاثين .

٧ ـ ان مؤلفه ذكر أسماء مدنٍ لم تكن في زمن هارون الرشيد ، فقد تكلم على غزو / موسىٰ بن نصير لمراكش ، مع أن هذه المدينة بناها / يوسف بن تاشفين في سنة ٤٥٤ هـ .

٨ ـ أول من ارتاب بنسبته الى ابن قتيبة من القدامىٰ ، هو أبوبكر بن العـربي المتوفىٰ سنـة ٥٤٣ هـ ، وذلـك في كتـابـه : « العـواصم من القواصم ، ص ٤٥و٤٨ » .

٩ ـ وموازنة عابرة بينه وبين أي كتـاب من كتب ابن قتيبة تقـطع بانتحاله ، وريح أسلوب ابن قتيبة يعرفها كل من وقف علىٰ أي أثر من آثاره .

ومن الكتاب نسخ مخطوطة في : لندن ، وباريس ، ودار الكتب

المصرية .

١٠ ـ ثم قامت دراسات جادة في التاريخ الاسلامي ، نهد بها جمهور من الدارسين ، من المستشرقين والعرب ، وكلها تدفع نسبته الىٰ ابن قتيبة .

ويقف في طليعة هؤلاء الدارسين : المستشرق (دي غاينغوس المجريطي / المدريدي) وذلك في كتابه : (تاريخ الأسر الإسلامية في أسبانيا ج١ ، الملحق ص ٢ ، ١٨١١م) . ثم تبعه (دوزي) وذلك في كتابه « تاريخ الأندلس وآدابه » المطبوع في سنة ١٨٦٠ ـ ١٨٦١م ، ثم تبعه (دغويا) سنة ١٩٠٧م ، وكارل بروكلمان[٣٧] .

ومن الباحثين العرب ، الأستاذ أحمد زكي العدوي ، في مقدمة (عيون الأخبار ج١ / ٤٠ ـ ٤١ ، القاهرة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥م) ، والدكتور إسحق موسىٰ الحسيني في « ابن قتيبة / ٧٧ ، ١٩٣٤م » ، الطبعة الانكليزية له صدرت في سنة ١٩٥٠م ، والطبعة العربية[٣٨] صدرت في سنة ١٩٦٣م ، (الطبعة الأولىٰ) والطبعة الثانية في ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ) ثم جاء باحثون آخرون يعيدون ماذكره قبلهم المستشرقون من أدلة داحضة تؤيد نسبة (الإمامة والسياسة) الىٰ ابن قتيبة ، ومنهم :

الدكتور ثروت عكاشة في (مقدمة / المعارف ١٩٦٠م ص / ٥٧) والدكتور عبدالحميد سند الجندي في[٣٩] « ابن قتيبة ، العالم ، الناقد ، الأديب ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص / ١٧٠ ـ ١٧٣ » وللحقيقة ، ان ماقدّمه في هذا الكتاب فيه شيء جديد من الأدلة ،

فضلاً عن الأدلة السابقة التي أحسن تنسيقها وأجاد في عرضها .

وكذلك الأستاذ / السيد أحمد صقر في (مقدمة / المشكل ص ٣٢ ، القاهرة ، ١٩٧٣م) .

وراجع : دائرة المعارف / للبستاني ج٣/٤٥١ ، والذخيرة (القسم الأول / ١٤٣) وتاريخ الأدب العربي / بروكلمان ٢/٢٢٩ ، ومقدمة / الميسر والقداح ، للمرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب .

٢ ـ النبـــات

ذكره المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي (ت ـ ١٩٧٦م) في « الاعلام ٤/٢٨٠ وقال : النبات ، ـ خ ـ فصول منه » .

وقد أخذ هذا الخبر من مجلة (الكتاب ـ القاهرة م/٥ س٣ ج٥ / ٨٠٥ ، ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨م) ونصه : « وجد أحد علماء الهند بعض الأبواب من كتاب النبات الشهير لابن قتيبة ، والكتاب مفقود ، وتتعلق هذه الأبواب بأصناف الخشب المستعمل لإيقاد النار ، وألوان الدخان الطالع منها عند الإيقاد » .

وهذا خلط في النسبة بين أبي حنيفة الدينوري (مؤلف النبات / وهو مطبوع مشهور، نشرت أجزاء منه) وبين ابن قتيبة الدينوري . . ونسبة كلا العالمين الى (الدينور) جعلت هذا الخلط .

٣ ـ الاشتقـــاق

انفرد بالإشارة اليه المرحوم الأستاذ الزركلي في (الأعلام ج ٤ / ٢٨٠) وقال عنه إنه مخطوط ، حيث رمز الى (المخطوط

بالحرف خ) . .

٤ ـ أرجوزة في الظاء والضاد

أولها :

أفضل ما فاه به الانسان
وخير ما جرى به اللسان

الجلبي الموصلي (ت ـ ١٩٦٠م) في إحدىٰ خزائن الكتب الموصلية (خزانة مدرسة الحجيات) ضمن مجموع مخطوط ، فرأىٰ فائدة بنشرها ، ففعل (مجلة / لغة العرب م٧ / ٤٦١ ـ ٤٦٣ ج ٦ ، حزيران ١٩٢٩م) .

وهي ليست لابن قتيبة ، إنما هي لأبي نصر محمد بن أحمد الفروخي المتوفىٰ سنة / ٥٧٧ هـ . وهي أشهر من أن يذكر أمر تفصيلها[٤٠] .

٥ ـ وصيّة ابن قتيبة لولده

وهي رسالة وجيزة في أربع ورقات ، كان الأستاذ المرحوم رشاد عبدالمطلب قد عثر عليها في مجموع تحتفظ به مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت ، كتب في سنة ٤٨٦ هـ في ثغر الاسكندرية .

فنشرها الدكتور إسحق موسىٰ الحسيني في مجلة (الأبحاث / بيروت في العدد (الجزء الأول) من السنة السابعة / ص : ٧٠ ـ ٨٢ ، آذار ١٩٥٤م) ثم أعاد نشرها في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥م ، ج ٤ م٣٠ ،

ص ٥٤٦ ـ ٥٦٠) وهي مثل سابقتها الأرجوزة تفصح عن رفض نسبتها الىٰ ابن قتيبة (راجع : مقدمة السيد صقر لتأويل مشكل القرآن ص ٣٢ ـ ٣٥) .

٦ ـ تلقين المتعلّم في النحو

ومنه نسخة مخطوطة تحتفظ بها المكتبة الوطنية في باريس برقم (٤٧١٥) ، رآه الدكتور عبدالحميد سند الجندي ، فأنكر نسبته الىٰ ابن قتيبة ، وساق أدلة يعتمدها رفضه بهذه النسبة . (راجع كتابه ابن قتيبة / ص: ١٧٤ ـ ١٧٥) وينظر (الحسيني : ابن قتيبة / ٧٩) .

كما ذكر بعض مترجميه أسماء كتب منسوبة اليه ، وهي أبواب (أقسام) من كتبه ، أو هي أسماء أخرىٰ لما عرف من آثاره ، ومنها :

١ ـ معاني القرآن .

ذكره الجلال السيوطي (البغية ٢/٦٣) والقاضي عياض (ترتيب المدارك ٣/٢٩٣) والداوودي (طبقات المفسرين ٢/٤٥) وابن فرحون (الديباج المذهب / ٣٥) وهو نفسه كتاب « تفسير غريب القرآن » .

٢ ـ الرد علىٰ المشبهة :

وهو كتاب (الاختلاف في اللفظ والرد علىٰ الجهمية والمشبهة) راجع (ابن النديم ، والقفطي ، والسيوطي ، وابن قاضي شهبة ، والداوودي) .

٣ ـ تقويم اللسان :

أشار اليه ياقوت الحموي في « معجم الأدباء ٦/٤٨٩ » في أثناء

الحديث على كتب ابن دريد .

قال : « ... كتاب تقويم اللسان ، على مثال ابن قتيبة ولم يجرده من المسودة » ، وكان قبل هذا الموضوع قد ذكر كتاب (أدب الكاتب) .

وساق ذكره حاجي خليفة (كشف الظنون / ٤٧٠) وهو نفسه المذكور في (فهرس دار الكتب المصرية ٢/٨ برقم ٣٣٠ ـ لغة) وهو قسم من (أدب الكاتب) . وقد نشره المستشرق (Memze) في مجلة (الاسلام ، المجلد / ١٧ ص ٩٤) وينظر : (أدب الكاتب ص / ٢٢٧ ط / القاهرة ـ ١٩٢٧م) ، وتاريخ الأدب العربي / (بروكلمان ٢ / ٢٢٦) .

٤ ـ كتاب الأبنية :

جاء ذكره عند القاضي عياض (ترتيب المدارك ٢٩٣/٣) وابن حجر العسقلاني (رفع الأصر ٧٢/١) وابن فرحون (الديباج المذهب / ٣٥) وهو جزء من / أدب الكاتب . (ص / ٣١٠) .

٥ ـ ونسب اليه بروكلمان كتابين (بروكلمان ٢٢٩/٢) وهما ليسا له :

أ ـ تفسير سورة النور ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

ب ـ الألفاظ المغربة في الألقاب المعربة ، وقال ان نسخة منه في فاس / المغرب برقم ١٢٦٢) .

٦ ـ كتاب في مناقب الخلفاء الراشدين .

في (الآصفية / الهند / ٦٥٨/٣ برقم ١٢١) .

أقول : وهو جزء من كتاب « المعارف » .

٧ ـ منتخب اللغة وتواريخ العرب .

(بروكلمان / تاريخ الأدب العربي ٢ /٢٢٨) ، وفهرس دار الكتب المصرية (٢ / ٤١) وهو قسم من / أدب الكاتب . ويقع ضمن مجموع برقم (٤٩٩ مجاميع / كتب اللغة) .

٨ ـ كتاب الخط .

ذكره ابن خير الأشبيلي (الفهرس / ٣٧٨) وهو فصلة من أدب الكاتب ٢ /١٦٤ تقويم اليد) .

٩ ـ الإبل .

ذكره لكونت (ابن قتيبة / ١٦٥ النص الفرنسي) وهو جزء من (المعاني الكبير / ١٤ ، ٨١ ، ١٥٣ ، ٧٥٠) وأورد ذكره من قبل / ابن قاضي شهبة (الطبقات / ٣٤٦) والذهبي ، والصفدي .

١٠ ـ أدب القاضي :

هو عند (ابن قاضي شهبة / ٣٤٦) ، والذهبي والصفدي ، كما ذكروا له أيضاً الكتب الآتية أسماؤها :

١ ـ ماقيل في الخيل من الشعر .

وربما هو نفسه كتاب / الخيل / المذكور من قبل .

٢ ـ ملح الأخبار

٣ ـ ذكر النبي (ﷺ) ومولده ووفاته

٤ ـ الضواري والبزاة

٥ ـ كتاب / البزاة

٦ ـ كتاب الكلاب

٧ ـ كتاب الساعة (السماحة)

٨ ـ المطر والرواد (ولعله : المطر والرذاذ)

٩ ـ كتاب الحجامة

١٠ ـ الفهـود

١١ ـ خلق الانسان

١٢ ـ الرد علىٰ من قال بخلْق القرآن

١٣ ـ الوحوش والرؤيا (الصفدي) .

هوامش الفصل الثالث

١ - تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٨١ .

٢ - ينظر : مروج الذهب ٣/٤٤٢ ط / باريس ، والآثار الباقية ٢٣٩ و٣٣٦ ، وعلم الفلك ١٣٠ - ١٣٥ ، ومقدمة الأنواء (ص / ينج) .

٣ - راجع : الفصل الأول / حياة ابن قتيبة / عقيدته .

٤ - ينظر :

التعريفات / ٧١ ، وجهم بن صفوان للدكتور خالد العسلي ، والمغرب ١/١٠١ ، وميزان الاعتدال ١/١٩٧ ، والغلو والفرق الغالية للدكتور عبدالله سلّوم ص / ٧١ ، ١٩١ - ٢٤٢ والزينة ٣/٢٦٨ والرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل / ٢٨ والتبصير في الدين / ٦٣ والفرق بين الفرق / ٥٢ - ٥٣ والحور العين / ٢٥٦ .

٥ - ينظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية / علوم اللغة العربية ص ٨١ - ٨٢ ، وكتاب النعم / ٢ - ٣ .

٦ - اللسان (١٠ / ٤٩٧) .

٧ - ينظر عنه : طبقات الزبيدي ٢٢٧ ونزهة الألباء ١٦٤ وإنباه الرواة ٢/٢٩٢ وكتاب ابن درستويه ٤٣ .

٨ - ابن قتيبة / ١٦٦ .

٩ - ينظر : ابن درستويه / ١٧٢ .

١٠ - ابن قتيبة (ص / ٥٦ النص الانكليزي) .

١١ - راجع : الحسيني / ابن قتيبة ٧٥ والحاشية رقم ٢ ومقدمة / عيون الأخبار ج ١ / ٣٦ .

١٢ - ينظر : بلوغ الأدب ١/١٦٩ ، وبروكلمان ٢/٢٢٦ - ٢٢٧ ، وغريب الحديث ٢/٥٨٠ ، ومقدمة (المعارف) ٥٢ .

١٣ - غريب الحديث ١ / ٥٠ ومابعدها .

١٤ - مجلة المجمع العلمي العراقي (ج١ / ١٤٢ - ٢٣٢ / مواد تاريخ الطبري) و (لغة العرب ٩/٥٤٤) والجهشياري ص : ٤٠٥ .

بيروت ١٩٣٣ م .

١٥ - ابن عبد ربه وعقده ، ص / ٣٧ - ٤٠ ، بيروت ١٩٣٣ م .

١٦ - ينظر : (آداب الرافدين ، الموصل ع/٧ص : ٣٤٠ - ٣٤٢ ، ١٣٩٦ هـ) ، حازم عبدالله ، وتراث الانسانية (م ٢ ج ١ / ٣٣٠ - ٣٤٠) عيون الأخبار / للأستاذ ابراهيم الأبياري .
والمستشرقون ٧٤٤ ، ٧٧٩ ، ٧٨١ ، ومجلة المجمع العلمي العربي (م١٤ / ١١١) وتأويل مشكل القرآن : ٢١ ، وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان ٢ /٢٢٣ الطبعة العربية) ومعجم المطبوعات ٢١٢ ، والأنساب ٤٤٣ ومعجم الأدباء ٦/٤٩٣ ومجلة / الثقافة الاسلامية ، الهند (م/ ١٩٣٠ - ١٩٣١م) مبحث بقلم : جوزيف هوروفيتش (ت - ١٩٣١م) باللغة الانكليزية .

١٧ - ينظر : مقدمة الكتاب للمرحوم الشيخ المعلمي (ليز - لبح) .

١٨ - ينظر : ابن درستويه ، لعبدالله الجبوري ، ص / ٥٩ - ٦٠ -

١٩ - ينظر : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (م ١٦ / ٢٨٢ - ٢٨٥ ج ٢ / ١٩٥٦م - ١٣٧٠ هـ بقلم / شفيق جبري) .

٢٠ - تنظر ترجمته في : الأعلام ٣/٣٤٢ ومجلة (العرب ، س ١ / ٢٤٥) مبحث عنه للشيخ حمد الجاسر .

٢١ - ينظر : تأويل مشكل القرآن / ٧٨ والدكتور الجندي ١٣٦ - ١٣٧ .

٢٢ - تحتفظ بها مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وهي برقم (٦٦٦٧) .
ينظر : د / عبدالله الجبوري ، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ج ١ / ١٩٦ - ١٩٧ . ومجلة (الاسلام ، م ١٧ / ١٩٢٩ م ، ريتر) .

٢٣ - تنظر دراسة الأستاذ عبدالسلام محمد هارون « الميسر والأزلام » وهي أول دراسة من نوعها ، القاهرة ١٩٥٣م (مقدمة - الميسر) ومقدمة الأستاذ المرحوم محب الدين الخطيب (للميسر والقداح) .

٢٤ - ينظر عنه : د / عكاشة (مقدمة المعارف ٦٢ - ٧٢) ، وبروكلمان ٢/٢٢٣ ، ومقدمة / تأويل المشكل ١٩ - ٢٠ ، والدكتور الجندي ص / ١٥٧ ، وبلاشير في : (الى طه حسين / ٢٩ - ٣٧ ابن قتيبة والثقافة

العربية) وبراون / تاريخ فارس الأدبي ١ / ٣٨٧ (بالانكليزية) .
٢٥ ـ راجع مظان الهامش المتقدم .
٢٦ ـ راجع : بروكلمان / تاريخ الأدب العربي ٢ /٢٢٤ .
٢٧ ـ راجع : لحن العامة والتطور اللغوي / د . رمضان عبدالتواب ، ١٥٦ ـ ١٦٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
٢٨ ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٢ /٢٢٦ .
٢٩ ـ ابن السيد البطليوسي ، (رسالة ماجستير) للأستاذ خالد محسن (بالرونيو ص / ٤٦ و ٩٠) .
٣٠ ـ بروكلمان ٢ /٢٢٦ .
٣١ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، القسم الثاني ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥م .
٣٢ ـ ابن النديم ٨١ ونزهة الألباء ١٦٢ وياقوت ٦ /٢٨١ وانباه الرواة ٣ /٥٨ والوافي ٢ /٣٢ والبغية ١ /١٨ .
٣٣ ـ راجع : مقدمة /أدب الكاتب ، القاهرة ١٣٤٦ هـ للسيد المرحوم محب الدين الخطيب (ص / ج) .
٣٤ ـ راجع : مقدمة الأشربة ١٠ ـ ١١ لكرد علي . والعقد الفريد ٦ /٣٣٥ ، ومجلة (الرسالة / القاهرة س / ١٧ ، ١٩٤٩م) .
٣٥ ـ طبع أخيراً بتحقيق الأستاذ الدكتور احسان عباس في بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ولم أتمكن من الوقوف عليه .
٣٦ ـ مخطوط ، منه نسخة في (الرباط ـ أوقاف ١١٠) تنقص المجلد الأول . راجع : الأعلام ٦ /٢٨٣ .
٣٧ ـ تاريخ الأدب العربي ٢ /٢٢٩ ، ومقدمة / عيون الأخبار ١ / ٤٠ .
٣٨ ـ صدرت طبعة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ، في بيروت ، وترجمة الدكتور هاشم ياغي ، وذكر في أول الكتاب (أنه الطبعة الأولى) .
٣٩ ـ هذه الدراسة نال بها مؤلفها شهادة الدكتوراة في سنة ١٩٥٤م . راجع (ص : ٥) من الدراسة .

٤ ـ محمد جبار المعيبد / كتب الضاد والظاء عند الدارسين العرب (مجلة / معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثلاثون ، الجزء الثاني : ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م ص : ٥٩٧ ـ ٥٩٨) .



الفصل الرابع

جهوده في الدراسات اللغوية

- ١ -

ابن قتيبة والقراءات

للقراءات القرآنية خطر جليل في الدراسات اللغوية ، حيث أفادت منها العربية في معرفة كثير من دراسة ظواهر اللغة ، أمثال : التطور اللغوي ، والإبدال في الحروف والقلب ، والأضداد ، والتطور الدلالي للكلم ، أو اختفاء حرف أو صوت . فضلاً عن أهميتها في نشأة وتطور علم الأصوات . وهي بذلك قد حفظت للعربية علماً كثيراً يتصل بلغة السماء ، فلسفة وتاريخاً .

ومن هذا العلم ، حفظها ورعايتها للهجات العربية (مرتكز علم الصوت) ، حيث وجدت (اللهجات) مثابة في ظلال (القراءات) ومثلها : النحو والتصريف ومطالب لغوية أخرىٰ .

لذلك عني بها أهل العربية منذ أيام بروزها الأولىٰ ، فجمعوا عزمهم لمعرفة أصولها وتتبع مظانها ومسالكها . . ولعل من تنبه اليها والى أهميتها في الدراسات اللغوية ، علماء الكوفة الذين جعلوا مواردها معالم ثابتة لدراساتهم اللغوية والنحوية . .

حيث انهم أهل رواية وسماع ، فقرن مذهبهم بالرواية والسماع ، حتىٰ دفع بهم هذا النهج الىٰ القياس بالشاذ النادر ، وكانوا يميلون جاهدين الىٰ « ان لايغيروا الأصول لتكون وفق الأمثلة المستعملة المسموعة » ، وكانوا اذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً ، فجرهم هذا الصنيع الىٰ شيء مما يعرف بالقياس ، المستنبط من الشواذ والنوادر ، مما جعل المادة النحوية عندهم أكثر ملائمة للروح اللغوي

وأكثر مسامحة من المذهب البصري .

ولابد لنا ونحن نعرض لسمات هذا السَّمْت ، أن نعرف بالقياس اللغوي :

فأقول : هو محاكاة العرب في كلامهم ، والتزام طرائقهم في فنون القول ، ومن شروطه :

أ ـ معرفة العرب الذين نحاكيهم دون غيرهم .

ب ـ معرفة اللغة التي يقاس عليها .

وعلىٰ هذين الأساسين أفتىٰ (مجمع اللغة العربية في القاهرة) بجواز الأخذ بهذا القياس ، فقال : « ان العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم ، هم عرب الأمصار الىٰ نهاية القرن الرابع » .

وعلىٰ هذا الوجه ترخص الكوفيون بالأخذ عن الأعراب بدويهم وحضريهم علىٰ السواء (ابن درستوريه ص/ ١١٨ ـ ١٢٠ ، بغداد ١٩٧٤م) .

ومن هذا التمهيد يمكن أن نتعرف الىٰ أهمية علم القراءات عند الكوفيين بخاصة ، وفي الدراسات[1] اللغوية بعامة ، حيث جعلوا لصحة اعتماد القراءة شروطاً لايصح الخروج عليها ، وهي مؤسسة علىٰ أصول شرعية تتصل بالكتاب والسنّة الشريفة ، ومنها :

١ ـ أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو من وجه واحد .

٢ ـ أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية .

٣ ـ أن يصح سندها عن رسول الله محمد (ﷺ) .

فكل ماصح سنده واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الإمـام ، فهو من السبعـة المنصوصـة وعليـه بني قبـول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف ، ومتىٰ فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة فهو شاذ[٢] .

وعلىٰ هذا ، فـالقراءات اذن ، هي المـرآة التي تعكس الواقـع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام (اللهجات العربية / ٨٣) . لذلك يقول ابن خالويه : « فإني تدبـرت قراءة الأئمـة السبعة من أهـل الأمصار الخمسـة (البصرة ، الكـوفة ، الشام ، المدينة ، مكة المكرمة) . المعروفين بسعـة النقل واتقـان الحفظ ، المأمونين علىٰ تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ماانفرد به من حرفة / أي كل كلمة تقرأ علىٰ الوجوه الصحيحة من القرآن / مذهباً من مذاهب العربية لايدفع ، وقصد من القياس وجهاً لايمنع ، فوافق بـاللفظ والحكايـة طريق النقـل والرواية ، فهو مؤثر للاختيار علىٰ واجب الآثار / الحجة في القراءات السبع ص ٣٧» .

ولاختلاف (لغات / لهجات) العرب شأنها في حجيّة القياس الذي يوسّع لدارسي القراءات الأفق في درسه . وكلها حجة كما قال ابن جنّي (الخصـائص ١/٤٧) . وكل مـاكان لغـة قبيلة يقـاس عليه . (المزهر ١/١٥٣) . و (الحجة لابن خالويه ٣٧ ـ ٣٨) .

من خلال هذا العرض الذي بسطْته بين يدي جهود ابن قتيبة في القراءات ، حيث أريد أن تظهر مكـانته بـين العلماء الذين الفوا فيها ، وهي من أبرع العلوم التي خدمت (لغة الـوحي / القرآن

الكريم) ، وهل تضيف أبواب مباحثه فيها فوائد للعربية . . ؟

فأقول :

كتب ابن قتيبة كتاباً في القراءات ، سمّاه هو نفسه في (تأويل مشكل القرآن / ٦٤ : وجوه القراءات) حيث قال : « ولم يكن القصد في هذا الكتاب له (أي : لنقد حمزة) ، وستراه كله في كتابنا المؤلف في وجوه القراءات) . وراجع : (تفسير غريب القرآن / ١٦) .

وعرفه غيره من المؤرخين بعنوان : / إعراب القراءات أو / القراءات ، أو / مشكل القراءات .

كما نسب اليه كتاب آخر هو : « آداب / أدب القراءة » .

(راجع دراسة مؤلفات ابن قتيبة) .

* * *

من خلال دراسة مابقي من آراء ابن قتيبة في القراءات والتي حفظتها صحائف معدودات في كتابيه : « تأويل مشكل القرآن » و « تفسير غريب القرآن » ، تبيّن أن صاحبها من (أصحاب النظر من أهلها) ، واليك أنموذجات منها :

عرض لبعض وجوه القراءات / نقد وتوجيه :

١ ـ اختلاف القراءات :

من الموروث النافع أن في اختلاف وجوه القراءات نفعاً عظيماً يفيد منه الدرس اللغوي في معرفة التطور اللغوي ، وفي الأصوات ، وفي تطور الدلالة ، وغيرها من المطالب اللغوية .

فمن وجوه هذا الاختلاف ، قراءة بعض القَرأة لقوله تعالىٰ : « وادّكر بعد أمَهٍ / يوسف ٤٥ » . . وقرأها آخر : « بعد أُمَّة » .

ففي القراءة الأولىٰ (أمه) تعني : النسيان (اللسان أ/م/هـ ١٧/٣٦٣) .

وفي القراءة الثانية (أمّة / بعد حين) .

وهذا الاختلاف هو مايعرف باختلاف التغاير ، وهو جائز الوقوع ، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان لأنه ذكر أمر (يوسف) بعد حين وبعد نسيان له . (راجع : تأويل مشكل القرآن : ٢٥و٤٠ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه / ٦٤) .

وقرأ أحد القرّاء قوله تعالىٰ : « إذْ تلقَّوْنه / النور ١٥ » .

وقرأتِ السيدة / عائشة (رضي الله عنها) : « إنْ تَلِقُونه » .

فالمعنىٰ في القراءة الأولىٰ : تقبلونه وتقولونه . وفي الثانية : (تَلِقُونه) من الولق وهو الكذب ، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان ، لأنهم قبلوه وقالوه ، وهو كذب .

وقرأ ابن مسعود (رضي الله عنه) : « ان كانت إلاّ زَقْية واحدة / يس ، ٢٩و٥٣ » بدل « إن كانت إلاّ صَيْحة واحدة » .

وفي اللسان : (الزقية ، الصيحة ، ج١٩ / ٧٧) .

وقرأ أبوبكر الصّديق (رضي الله عنه) : « وجاءت سَكْرة الحق بالموت / سورة ق ١٩ » . والناس يقرأون : « وجاءت سكرة الموت بالحق » .

وهذا الاختلاف وقع في تقديم لفظ وأخّر آخر . . وهو وجه

مقبول من وجوه الاختلال المقبولة في القراءات[٣] .

هذا بعض ماعرض له ابن قتيبة من وجوه الخلاف في القراءات ، والتي حصرها في سبعة أوجه ، هي :

١ ـ الاختلاف في اعراب الكلمة ، أو في حركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها في الكتاب ولايغيّر معناها .

٢ ـ أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ، ولايزيلها عن صورتها في الكتاب .

٣ ـ والوجه الثالث : ان يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها ، بما يغير معناها ولايزيل صورتها .

٤ ـ والوجه الرابع : ان يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ، ولايغير معناها .

٥ ـ والوجه الخامس ، أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها .

٦ ـ والوجه السادس : ان يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير .

٧ ـ والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان[٤] .

وهذا الاختلاف قد وقع في القراءة ، تيسيراً ورحمة ، وإن هذه (الحروف / الكلمات / القراءات) هي كلام الله تعالىٰ ، نزل به الروح الأمين (عليه السلام) علىٰ رسوله (ﷺ) ، وكان أن أمره بأن يقرىء كل قوم بلغتهم وماجرت عليه عادتهم (راجع المشكل : ٣٨ ـ ٣٩) .

وهذا يفسّر قوله (ﷺ) : « نَزَل القرآن علىٰ سبعة أحرف فاقرؤا

كيف شئتم / أو : فاقرأوا منه ماتيسَّر » .

وهذه الأحرف السبعة هي أوجه من اللغات متفرقة في القرآن . وهي الأصل للقراءات السبع[٥] .

وكان لبعض الطاعنين في اعتبار هذه الوجوه موضع نقد ورد شديدين عند ابن قتيبة ، فأفرد لها باباً في (الرد عليهم في وجوه القراءات / المشكل : ٣٣-٣٦) . . وكانت آراؤه مجالاً لإثارة شيء من النقد عليه ، حيث تولّىٰ ردَّها عليه بعض علماء القراءات ، أمثال : ابن عبدالبر حيث قال : « أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنىٰ الأحرف : اللغات ، لما تقدم من اختلاف هشام وعمر ولغتهما واحدة . / لطائف الإشارات ج ١ / ٣٦ » .

وقال[٦] : « قالوا : وإنما المعنىٰ سبعة أوجه من المعاني المتفقة ، بالألفاظ المختلفة ، نحو : أقبل ، وهلم ، وتعال وقال ابن حجر[٧] : « ويمكن الجمع بين القولين بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ ، مع اتفاق المعنىٰ ، مع انحصار ذلك في سبع لغات » .

وأفتىٰ ابن قتيبة[٨] بجواز القراءة بهذه الوجوه بشرط موافقتها للمصحف (الإمام) غير خارج عن رسم كتابته . لأن شرط الرسم (خط المصحف) توقيف من النبي (ﷺ) وهو أحد أركان صحة اعتماد القراءة[٩] . ولاتصح بمخالفة هذا الركن ، [١٠]«لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين ، قرأوا بلغاتهم ، وجروا علىٰ عادتهم ، وخلّوا أنفسهم وسوْم طبائعهم ، فكان ذلك جائزاً لهم ، ولقوم من القُرّاء بعدهم مأمونين علىٰ التنزيل ، عارفين بالتأويل » .

ثم شرع في الرد على[11] (ما ادّعى على القرآن من اللحن) ، وأشار الى أن النحويين تكلموا في الحروف التي توهم قوم أن بها لحناً ، واعتلّوا لكل حرف منها[12] .

ومن هذا النمط قراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى : « ان هَذَيْن لساحران / طه ٦٣ » .

في قراءة متواترة لجمهرة من القراء « إن هذان لساحران » .

وذهب أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الى « أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة / المشكل ٥١ » . توجيه القراءة المشهورة ، أنها جاءت بلغة بلحرث بن كعب ، فيقولون : « مررت برجلان ، وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يداه » .

وهي كذلك لغة : خثعم ، وزبيد ، وبني كنانة ، « إذ هم يجعلون الإثنين في رفعهما ونصبهما أو خفضهما بالألف »[14] . . وهذه اللغات حكاها الأخفش والكسائي والفرّاء وأبوزيد الأنصاري[15] . .

وأبو عمرو بن العلاء يقول[16] : « إني لأستحي من الله تعالى أن أقرأ » « إن هذان لساحران » . . ذاهباً إلى قول الخليفة الشهيد عثمان بن عفّان[17] (رضي الله عنه) : « إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها » .

ومثلها كذلك قراءة من قرأ : « إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون / المائدة ٦٩ » . برفع قوله تعالى : « والصابئين »[18] .

قالوا : إنها ردٌّ على موضع : « إن الذين آمنوا » وموضعه رفع ، لأنَّ « إن » مبتدأة ، وليست تحدث في الكلام معنى كما تحدث

أخواتها[١٩] .

ومثل هذه القـراءة[٢٠] : « والمقيمون الصـلاة / النساء ١٥٢ » وقوله تعالىٰ : « والصابـرون في البأسـاء والضرّاء / البقـرة ١٧٧ » . كانت تكتب « الصابرين » .

والقـراء جميعـاً جـروا عـلىٰ نصب (الصـابـرين) إلاّ عـاصمـاً الجحدري ، فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه ، وينصبه اذا كتبه ، وأنها كذلك هي مصحفه[٢١] .

وتوجيه النحاة لهذه القراءة ، أنهم قالوا : هو نصب علىٰ المدح ، والعرب تنصب علىٰ المدح والذم[٢٢] .

وبعضهم[٢٣] رأىٰ أن وجه القراءة هو ، أنه أراد : « وآتىٰ المالَ علىٰ حبه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل والسائلين والصابرين في البأساء والضرّاء » .

وكذلك عرض لقراءة أخرىٰ من قراءات (عاصم) ، وهي قوله تعالىٰ[٢٤] : « كذلك نُجّي المؤمنين / الأنبياء ٨٨ » .

قال : كتبت (ننجي) في المصاحف بنون واحدة ، وقرأها القرّاء جميعاً (نُنْجي) بنونين إلاّ عاصم بن أبي النجود ، فإنه كان يقرؤها بنون واحدة ويخالف القرّاء جميعاً ، وهي كذلك في المصحف الإمام[٢٥] وفي مصاحف الأمصار وتوجيه هذه القراءة[٢٦] :

١ ـ ان من قرأها بنونين ، فإنه اعتبر أن النون تخفىٰ عند الجيم ، لذلك أسقطها كاتب المصحف لخفائها .

٢ ـ وبعض النحـاة الذين احتجـوا لعـاصم ، ومنهم[٢٧] : الفـرّاء ،

أبوعبيد ، وثعلب . قالوا : أضمر المصدر كأنه قال : نُجّي النجاء المؤمنين . كما تقول : ضُرِبَ الضرب زيداً . ثم تضمر / الضرب ، فتقول : ضرب زيداً .

وخطأها أبو علي النحوي والزجّاج ، وقالا : إنها لحن ، لأنه نصب اسم مالم يسم فاعله .

ومنها : قراءة ابي عمرو بن العلاء في قوله تعالىٰ : ﴿ فأصَّدّق وأكنْ من الصالحين / المنافقين ١٠ ﴾ ، فانه قرأها هكذا : « فأصّدق وأكونَ » بالنصب ، ويذهب الىٰ أن الكاتب أسقط الواو ، كما تسقط حروف المد واللين في : « كلمون » وأشباه ذلك .

وأكثر القرّاء[٢٩] يقرأون « فأصدّق أكن » بغير واو ، وتوجيه هذه القراءة : أنها محمولة علىٰ (موضع) فأصَّدّقَ لو لم يكن فيه الفاء ، وموضعه جزم .

وتوجيه ابن قتيبة لها :

قال[٣٠] : إنها لاتخلوا من أن تكون علىٰ مذهب من مذاهب أهل النحو ، أو أن تكون خطأ من الكاتب .

وبعد أن بيّن شيئاً من اعتلال النحاة لوجوه القراءات التي أثبتها ، عرج الىٰ ايضاح خطر رسم[٣١] المصحف ، وأبدىٰ أنموذجات من الرسم في بعض المصاحف ، تأييداً لتوجيه صحة قراءة « إن هذان لساحران » حيث وردت هذه الآية مكتوبة في (الإمام) « إنْ هذَنِ لساحران » بحذف ألف التثنية ، فقال : « وكذلك ألف الثنية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان ، مثل : « قال رجُلَن /

المائدة ٢٣ » ، و « آخَرَنِ يقومان مقامهما / المائدة ١٠٧ » .

وكتبت كتّاب المصحف : الصلوة والزكوة والحيوة ، بالواو » .

ثم قال : « واتبعناهم في هذه الحروف خاصة علىٰ التيمّن بهم / المشكل ٥٧ » .

وربما يكون هذا الفصل الذي قدّم فيه وجوه الخلاف في القراءات من أنفع موارد القراءات عنده في (المشكل) .

ومن أخطر مافيه ، أن ختمه بنقد شديد توجه به الىٰ « اللاجئين من القـرّاء المتـأخـريـن » ورأىٰ أن لحن هؤلاء لاينهض حجـة عـلىٰ الكِتاب ، لأن الناس قديماً كانوا يقرأون بلغاتهم .

ثم تناول أحد قراء الكوفة ، ومن القرّاء السبعة بالنقد العنيف ، وهذا القارىء هو : حمزة[٣٢] بن حبيب الزيّات ، الكوفي ، المتوفىٰ في سنة/ ١٥٦هـ .

فأول مابسط من بداية نقده ، نبزه بالعجمة ، وبُعْد طبعه عن فهم اللغة .

حيث قال : « ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم / ليس لهم طبع في اللغة ، ولاعلم التكلف فهَفوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرأوا بالشان وأخلّوا / المشكل ٥٨ » .

وراح يبينّ وجوه تخليطه في قراءته ، وبدأ نقده بقوله[٣٣] : « منهم رجلٌ ستر الله عليه عند العوام بالصلاح ، وقرّبه من القلوب بالدين » .

ثم قال : « لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً ، ولاأشد اضطراباً منه ، لأنه يستعمل في الحرف مايدعه في نظيره ، ثم يؤصل

أصلاً ويخالف الىٰ غيره لغير ماعلّة . ويختار في كثير من الحروف مالامخرج له إلاّ علىٰ طلب الحيلة الضعيفة » .

وبما أخذه عليه ، أنه كان يطرح في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز ، في مسألة المد والهمز والإشباع وإفراطه في الإسجاع والإدغام .

وهذا المورد هو الذي جعل العكبري[٣٤] ابن المعلم (ت ـ ٥١٦ هـ) يؤلف «الانتصار» للرد عليه ، وينتصر لحمزة ، وذلك بكتابه : « الانتصار لحمزة فيما نسبه اليه ابن قتيبة من / مشكل القرآن » .

وبعد أن فرغ من نقد حمزة ، تتبع بعض وجوه قراءة الحسن البصري بالنقد ، وكنىٰ به بقوله : « بعض المتقدمين » فأخذ عليه قراءة لقوله تعالىٰ : « ماتلوْته عليكم ولاأدرأتكم به / يونس ١٦ » فهمز ، قال[٣٥] : « وإنما هو من دريْت بكذا وكذا » .

وخطأه في قراءته الأخرىٰ : « وماتَنزَّلَت به الشياطون / الشعراء ٢١٠ » . فقال[٣٦] : « توهم أنه جمع بالواو والنون » .

وأورد بعد هذا النقد ، قراءة لابن محيصن ، في قوله تعالىٰ : « فلا تَشْمِتْ بي الأعداء / الأعراف ١٥٠ » .

وقال[٣٧] قرأها : « بفتح التاء وكسر الميم ، ونصب الأعداء ، وإنما هو من : أشمت الله العدو فهو يشمته ، ولايقال : شَمِت الله العدو » .

ومن نقداته في هذا الفصل ، نقده لقراءات وردت عند :

الأعمش ، ويحيىٰ بن وثـاب ونافـع ، وخص قراءات أخـرىٰ لحمزة أيضاً .

وبعد أن أنهىٰ مادة هذا الفصل ، صرَّح أن هذا النقد موجود في كتابه المؤلف في « وجوه القراءات » ، كما تناول قرّاءَ آخرين بالنقد ، أمثال : ابن عامر (راجع المشكل / ٢٠٧ ـ ٢٠٨) . وقال « وقد كان بعض القَرأَة يقرأ . . » .

هذه مواد القراءات التي احتجنها كتاب « تأويل مشكل القرآن » وهي من أصول كتابه في القراءات ، أما في كتابه الآخر « تفسير غريب القرآن » فقد ضم إشارات الىٰ بعض القراءات ، ثم ألمح الىٰ اسم كتابه فيه (راجع / ١٦ مثلاً) .

ومن ألوان القراءات التي عرض لها فيه ، منها مايتصل بالهمز ، مثل « البرية » التي وردت في تفسير قوله (البارىء / ١٥ ـ ١٦) .

وقـراءة لقـولـه تعـالىٰ : « ألاّ يـسطوّف بهـما / البقــرة ١٥٨ » (ص/٦٦ ـ ٦٧ تفسير الغريب) .

وقراءة « أكاد أخفيها / طه ١٥ ص / ٢٧٧ » ، وقراءة مشهورة للسيـدة عائشـة (رضي الله عنها) أوردهـا في (التفسير / ٣٠١ وفي المشكل أيضاً ١٩ ، للآية / ١٥ من سورة / النور) .

وكذلك قراءة لقوله تعالىٰ : « فرهين / الشعراء : ١٤٩ » . . قال : ومن قرأ «فارهين» فهي لغة أخرىٰ (ص / ٣١٩) .

هذه النقول هي أظهر موارد القراءات التي أودعها ابن قتيبة في كتـابيه : « تـأويل مشكـل القرآن و / تفسـير غريب القـرآن » وهي

بلاشك منتزعة من أصول كتابه « في القراءات / وجوه القراءات » . .
وربما تكون آراؤه في معرفة (وجوه الخلاف في القراءات) هي من
الأصول المهمة في مادتها ، حيث كانت موارد لمن كتب في « اختلاف
القراءات » من بعده . . وهي تؤلف مادة جليلة من مواد الدرس
اللغوي فضلاً عن أهميتها ونفعها للقراءات . .

- ٢ -

ابن قتيبة وغريب الحديث

ومن بارع الجهود التي عُرِفَ بها ابن قتيبة معالجته لفن : « غريب
الحديث » وهو فن عظيم ، أفادت العربية منه كثيراً ، كما خَدَمَ السنَّة
الشريفة ، وكذلك انتفع به أهل الفقاهة والتفسير . .

وقد عرَّف علماء المصطلح هذا الفن بقولهم[٣٨] :

« هو ماوقع في متن الحديث من الألفاظ الغامضة ، البعيدة من
الفهم لقلة استعمالها ، أو لدقّة معناها ، وأصول هذا التعريف يرجع
الىٰ معنىٰ « الغرابة » في الناس والقول .

فالغريب من الناس هو البعيد عن الوطن ، المنقطع عن الأهل .
والغريب من القول ، إنما هو الغامض البعيد من الفهم[٣٩] . ومتن
الحديث : ألفاظُه التي تقوم بها المعاني[٤٠] .

فعلم (غريب الحديث) من العلوم المهمة المتعلقة بفهم الحديث
والعلم والعمل به ، لابمعرفة صناعة الإسناد ومايتعلق به[٤١] .
ولخطره قال المحدّثون : الخوض فيه صعب ، فليتحر

خائضه[٤٢] . وهذا يفسّر أهميته كما أثر عن الإمام أحمد بن حنبل حينما سئل عن حرف منه حيث قال : « سلوا أصحاب الغريب ، فإني أكره أن أتكلم في قول رسول (ﷺ) بالظن فأخطىء »[٤٣] .

وقد ألّف فيه أكثر علماء العربيـة الأُول ، وقيل : إن أول من ألّف[٤٤] فيه : النضير بن شميل (ت ـ ٢٠٣ هـ) أو أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ (ت ٢٠٩ هـ) .

ثم صنّف فيه أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت ـ ٢٢٤ هـ) وقفّىٰ عليه ابن قتيبة ، الذي تتبع في (غريبه) مافات أبا عبيد .

وجاء من بعده الخطّابي أبوسليمان (ت ـ ٣٨٨ هـ) الذي تتبع في « غريبه » مافات أبـا عبيد وابن قتيبـة ، . . . وختم التأليف فيـه بجهـود ابن الأثير مجد الدين المبـارك (ت ـ ٦٠٦ هـ) ممثّلة بكتابـه الجليل[٤٥] « النهاية في غريب الحديث والأثر » الذي جمع فأوعىٰ ، وتتبع فاستقصىٰ ، وكان ـ بحق ـ نهاية لمادته .

وتضم مادة « غريب الحديث » ثروة عظيمة من فنون العربية ، متناً ونحواً وتصريفاً . . إذ هو جماع كلام رسول الله (ﷺ) والذي هو يأتي في الذروة من البلاغة والصحة والسلامة بعد كلام الله ـ (القرآن الكريم) وكلاهما وحي من الله ـ سبحانه ـ .

والحديث « وحيٌ مرويٌّ ، منقول غير مؤلّف ولامعجز النظام ، ولامتلو ، لكنه مقروء » كما قال ابن حزم[٤٦] .

لذلك حفلت لغتُه بمادة لغوية غزيرة ، كما احتفظت بجمهرة من لهجات العرب التي من أسس دراسة التطور اللغوي ، وركن مهم من

أركان فهم وتوجيه القراءات ، والرافد الأعظم لعلم الصوت . .

ولاغرو في ذلك ، لأنَّ الرسول محمد (ﷺ) قال[47] : « أُوتيت جوامع الكلم » .

من هنا كانت لغته أُنموذجاً يحتذىٰ في فن القول ، وحجّة في الفصاحة ، والمفزع الذي يستظل به أهل التفسير ، وإليه يعرج أهل العربية لدعم مايذهبون اليه من وجوه لغوية أو نحوية .

ومن هنا اشتد حرص صنّاع المعاجم لتتبع مادته .

إذ أن في كتب « الغريب » ثروة عظيمة لهم . وفي رحابها يتلمس « فقهاء اللغة » ضالّتهم ، ويجد النحاة إشراق وجوه توجيه نكات النحو التي تنبهم عليهم .

جهود ابن قتيبة في : غريب الحديث

وضع ابن قتيبة ثلاثة أعمال في « غريب الحديث » هي :

١ ـ غريب الحديث .

٢ ـ إصلاح غلط أبي عبيد .

٣ ـ المسائل والأجوبة .

وأنا أحاول التعرف الىٰ أهميّة هذه الآثار لبيان خطرها في الدرس اللغوي . . فأقول :

لقد تتبع ابن قتيبة جهود أبي عبيد القاسم بن سلاّم في « غريبه » وتعقّبه بالنظر والتفتيش ، والمذاكرة والنقد والإضافة . فوجد ماترك نحواً مما ذكره ابن سلاّم ، أو أكثر منه ، فتتبع ما أغفل وفسّر علىٰ نحو مافسّر بالإسناد لما عرف إسناده ، والقطع لما لم يعرفه ، وكان يرىٰ من

قبل أن (غريب أبي عبيد) قد جمع تفسير غريب الحديث ، وأن النّاظر فيه مستغنٍ به ، ورأىٰ جملة من الأحاديث مفسّرة فيه علىٰ نحو مجانب للصواب ، مخالفه في تفسيرها وردها عليه في كتابه « إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث » .

ثم رأىٰ أن يكمل جهود شيخه أبي عبيد ، فوضع كتاباً في (غريب الحديث) يصفه هو نفسه بقوله : « وكنت حين ابتدأت في عمل الكتاب / غريب الحديث / أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه والحرص علىٰ تدوينه ، عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل مايرتفع في كل أسبوع ، ففعلت حتىٰ تمَّ لهم الكتاب ، وسمعوه وحمله قوم إلىٰ الأمصار ، ثم عرضت بعد ذلك أحاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً ، يدعىٰ كتاب : الزوائد في غريب الحديث »[٤٨] .

ثم تدبّر الكتابين : (الزوائد) و (غريب الحديث) فرأىٰ الأصوب في الرأي أن يجمع بينهما ويؤلّف منهما كتاباً واحداً ، فكان من ثمرة هذا الصنيع كتاب : « غريب الحديث » فانتهج نهج أبي عبيد ، وتتبع ماأغفله من مواد . .

ومنهجه فيه يقوم علىٰ تفسير متن الحديث ، معتمداً الاسناد لما عرف إسناده ، والقطع لما لم يعرفه . وتفسيره يأخذ بذكر المصادر والاشتقاق ويسوق الشواهد من كلام العرب ، مثلاً ، وخطباً وشعراً ، ثم إنه كره أن يكون كتابه وَقْفاً علىٰ الغريب ، مقصوراً علىٰ تفسيره ، فأودعه من قصار أخبار العرب وأمثالها وأحاديث السلف وألفاظهم

مايشاكل الحديث ، أو يوافق لفظَه لفظُه ، لتكثر فائدته ويمتع قارئه[٤٩] .
وأقام منهجه علىٰ هذه الأصول :

١ ـ ابتدأ بتفسير غريب ألفاظ أحاديث الرسول محمد (ﷺ) ، وضمن ذلك بذكر الأحاديث التي يدعي بها علىٰ حَمَلَة العلم حمل التناقض ، وابتدأها بذكر غريب ألفاظ العبادات والأحكام الشرعية الأخرىٰ .
٢ ـ أحاديث الصحابة (رضي الله عنهم) .
٣ ـ أحاديث التابعين ، وتابع التابعين وبعض الخلفاء من بني أميّة ، ونفر من ولاتهم .
٤ ـ أفرد باباً لأحاديث النساء .
٥ ـ وختم الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة ، سمع أهل اللغة يذكرونها ولايعرف أصحابها ولاطرقها ، حسنة الألفاظ لطاف المعاني .

ومن أجل هذه الأصول ، وقع « غريب الحديث » موقع الرضا والقبول عند أهل اللغة والأدب ، فكان من مظان جمهرة من كتب : اللغة (ومنها المعاجم) وكتب الأدب ، والتفسير ، وكتب الغريب ، فنقلت منه واعتزت بما نقلت . . وعدد دواوين اللغة نيّف علىٰ الثلاثين ديواناً ، وبلغ عدد كتب الغريب التي تأثرت به واعتمدته سبعة كتب ، ونال حظاً من النقد والتتبع .

وإني أرىٰ أن « غريب الحديث » من أهم آثار ابن قتيبة ، ويأتي في مقدمة نتاجه الزاهر . . لما ضمَّ من فوائد علمية ، ومادة بارعة في فنون العربية والتاريخ[٥٠] . .

٢ - إصلاح غلط أبي عبيد :

وهو الأثر الثاني من آثار ابن قتيبة في : « غريب الحديث »

ذكر فيه الأحاديث التي وقع فيها زلل ، أو جاء تفسيرها علىٰ غير وجه من وجوه الصحة والسلامة ، فنبّه عليها ابن قتيبة ، وذكر تفسيرها[٥١] « علىٰ قلّتها في جنب صوابه » ، والإصلاح ، من كتب النقد اللغوي التي يعتز بها موروثنا اللغوي .

وقد أثار هذا الكتاب حفيظة عالمين عليه ، هما :

ابن فارس (ت - ٣٩٥ هـ) وابن الأنباري ، ت ـ ٣٢٨ هـ فتصديا لرد أقواله في نقد فيه شيء من العُنْف والعنجهية . .

فأودع الأول نقداته وردوده عليه كتابه [٥٢]« الصاحبي » ونشر الثاني ردوده عليه في كتبه : [٥٣]« غريب الحديث والأضداد ، والزاهر » .

وأفاد منه أبو منصور الأزهري في : [٥٤]« تهذيب اللغة » حيث أشار اليه بقوله : « فأمّا الحروف التي غلط فيها ، فإني أثبتها في موقعها من كتابي . . ودللت علىٰ موضع الصواب فيما غلط فيه » .

وأفاد منه أيضاً ، الهروي أبو عبيد (ت - ٤٠١ هـ) في كتابه[٥٥] « الغريبين » وأبو منصور الجواليقي (ت - ٥٣٩ هـ) في[٥٦] : « المعرّب من الكلام الأعجمي » وجار الله الزمخشري[٥٧] (ت - ٥٣٨ هـ) ، وابن منظور محمد بن مكرم (ت - ٧١١ هـ) .

وشرحه أبو المظفر محمد بن آدم الهروي[٥٨] (ت - ٤١٤ هـ) .

ونقده أربعة من أهل اللغة والأدب والفقه والحديث وهم :

١ - ابن عبدون ، عبدالمجيد الفهري الأندلسي[٥٩] (ت - ٥٢٧ هـ) .

. (ت ـ ٣٦٦ هـ) .[٦٠] القفصي ، عبدالله بن يوسف ـ ٢
. (ت ـ ٣٢٨ هـ)[٦١] ٣ ـ أبوبكر الأنباري محمد بن القاسم
. (ت ـ ٢٩٤ هـ)[٦٢] ٤ ـ أبو عبدالله المروزي محمدبن نصر

* * *

٣ ـ المسائل والأجوبة في الحديث واللغة

وهـذا الأثـر الثـالث من مؤلفـات ابن قتيبـة في « غـريب الحديث » . . وسمّاه ابن خير الأشبيلي[٦٣] : « المسائل في معاني غريب القرآن والحديث مما لم يقع في كتاب الغريب » ونعته غيره بـ[٦٤]« المسائل والجوابات » .

وتعنىٰ هذه (المسائل) بتوجيه طائفة من الأحاديث والآيـات والأخبار ، فسَّرها ابن قتيبة علىٰ جهة (السؤال والجواب) وهي تضيف مادة جديدة الىٰ جهوده في علم (غريب الحديث) . وفيها شيء طريف من المادة اللغوية ، ونكات في التفسير وأطراف أدبية[٦٥] .

ـ ٣ ـ

ابن قتيبة والمدرسة البغدادية

ذكر مترجمو ابن قتيبة أنه تعانى التأليف في النحو ، ونسبوا اليه كتابين فيه ، هما :

١ ـ جامع النحو .

٢ ـ جامع النحو الصغير .

وعـرفنا أنـه أخذ عن الـريـاشي ، وأبي حـاتم السجستـاني ،

والزيّادي وغيرهم من أهل اللغة والعربية .

ويؤثر عن أبي حاتم أنه كان يروي « علم سيبويه عن الأخفش عن سيبويه ، وكانت تقرأ علىٰ أبي حاتم كتب الأخفش »[٦٦] .

وهو أحد الثلاثة الذين أثّروا في ثقافة ابن قتيبة ، فأفاد منه في فهم (النصوص) وفك مبهم المعاني ، حيث أن أبا حاتم كان من رواة العربية وصاحب لغة[٦٧] ورواية ، وله جهود في (القراءات) والأدب .

ولعل لطول مجالسته أعلام الرواية واللغة . أثراً في ثقافته ، ومنهم : الأصمعي ، وأبوزيد الأنصاري ، وأبوعبيدة[٦٨] .

وابن قتيبة يروي عنه بعض أخبار النحاة وأهل العربية ، وبعض وجوه فيها ، ومطالب في الشعر والرواية في كتبه[٦٩] .

ثم تأتي أهمية الشيخ الثاني في تكوين الحصيلة العلمية لابن قتيبة . وهو أبوالفضل الرياشي الذي قتله[٧٠] (الزنج) في البصرة وهو قائم يصلي في مسجده . . وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين . وكان الرياشي من أعلم لداته في عصره بالنحو ، ومن أحذق أهل العربية بكتاب سيبويه ، وبكتب الأخفش . قال ابن الغازي محمد بن عبدالله القرطبي[٧١] : « وكانت تقرأ علىٰ أبي حاتم كتب الأخفش . . ثم رأيتها تقرأ علىٰ أبي الفضل الرياشي ، فلاحول ولاقوة إلاّ بالله ، أي نَدْف كان يندفها ، فإن الرياشي كان أعلم بها » ولجلالة قدره في النحو والعربية ، أنه ناظر المازني في كتاب سيبويه حتىٰ أتىٰ علىٰ آخره ، وأنه قرأه عليه ، وكان هو (الرياشي) أعلم منه به[٧٢] .

وقال الخشني[٧٣] : « وكان المازني في الإعراب ، وأبو حاتم في

الشعر والرواية ، وكان الرياشي في الجميع » .

هذه طُرَفٌ من أخبار أبي الفضل الرياشي تبين مكانه في دائرة العربية[٧٤] .

لأجل هذه المنزلة الرفيعة في العربية ، تعلّق ابن قتيبة به . ولازمه ، وأكثر النقل عنه .

فثقافته النحوية قَبَسٌ من أشعة معارف الرياشي . . ثم تأتي سبل أخرىٰ لتصب في روافد علمه (في العربية) ومنها رافد شيخه الزيادي[٧٥] الذي كان من أصحاب سيبويه ، وله باع طويل في (اللغة والرواية) .

وربما كان لبصرية هذه المشيخة لابن قتيبة سبٌ في ترجمة الزبيدي (ت ـ ٣٧٩ هـ) له في (طبقات النحويين) ضمن الطبقة السادسة من علماء اللغة البصريين .

ولم تذكر كتب التاريخ أو تراجم الرجال من الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن قتيبة واحداً من الكوفيين .

وقد نقل عن بعض أعلامهم ، أمثال : الفرّاء ، والكسائي بالواسطة أو من كتبهم ، أو عبر طلّابهم في أكثر مؤلفاته[٧٦] . كما نجد أمثلة لذلك في : « أدب الكاتب »[٧٧] و « تأويل مشكل القرآن » و « غريب الحديث » ونجده يروي في آثاره عن رجال المدرستين (الكوفية والبصرية) أو عن (البغداديين) .

ولذا تعرّض لحملة انتقاد شديدة من بعض رجال المدرسة البصرية[٧٨] ، ويرون أن في صنيعه هذا مطعناً عليه ومعرّة ، مما رغّب الدارسين عنه وعن آثاره ، كما ذهب الىٰ هذا أبوالطيّب اللغوي[٧٩] ،

حيث قال : « وكان أبومحمد / عبدالله بن مسلم بن قتيبة . . أخذ عن أبي حاتم والرياشي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي ، وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشناندانى ، إلاّ أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يتسرع في أشياء لايقوم بها ، نحو تعرّضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في « تعبير الرؤيا » ، وكتابه في « معجزات » النبي (ﷺ) وعلىٰ آله » و « عيون الأخبار » و « المعارف » و « الشعراء » ونحو ذلك مما أزرىٰ به عند العلماء ، وإن كان نَفَق بها عند العامة ومن لابصيرة له » .

وكذلك شنّع عليه الزجاجي أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحق المتوفىٰ سنة / ٣٣٧ هـ وهو أحد شرّاح (أدب الكاتب) ورماه بقلّة البضاعة في النحو ، غير أنه يبدي إكباره ببسطة بيانه وتملكه ناصية[٨٠] الأدب ، وممن عرض عليه سهام نقده تحاملاً وبغضاً لأجل الباطل وكره الحق « وأكثرهم للحق كارهون » . . أبومنصور الأزهري (ت ـ ٣٧٠ هـ) في (تهذيب اللغة)[٨١] حيث نسبه الىٰ الجهل في مسائل العلل والتصريف بقوله : « ومارأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن أبي حاتم . . والرياشي ، وأبي سعيد المكفوف البغدادي ، فأمّا مايستبد فيه برأيه من معنىً غامض أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فإنه ربما زلَّ فيما لايخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ معرفة ، وألفيتُه يحدس بالظَّن فيما لايعرفه ولايحسبه » .

وكان أبوبكر ابن الأنباري محمدبن القاسم[٨٢] ، المتوفىٰ سنة / ٣٢٨ هـ ، يهجّن من مذهبه في النحو أشياء نسبه الىٰ الخطأ

والغفلة والغباوة فيها . . فعرض له بالنقد الوجيع في رسالة تناول عثراته وعثرات شيخه أبي حاتم السبحستاني[٨٣] « وتقصىٰ لقولهما » في « تأويل مشكل القرآن » . . قالوا : بلغ بهذه (الرسالة) ربع (المشكل / الىٰ سورة طه) .

وأبـوبكر هـذا ، كان[٨٤] « من أعلم النـاس وأفضلهم في نحو الكوفيين ، وأكبرهم (أكثرهم) حفظاً للغة ، وكان زاهداً متواضعاً ، وكان ثقة ، صدوقاً من أهل السنة » .

فلا أدري كيف يجتمع الضدان في النفس (الزهـد والمجازفـة باتهام الناس ؟) .

كما تواصل نقده لابن قتيبة ، حيث ردَّ عليه حروفاً في « غريب الحديث » وفي : [٨٥]« إصلاح غلط أبي عبيد » . . وتجد أمثلة من هذا النقد في كتاب الأنباري « الزاهر »[٨٦] وكان يذهب في نقده لـه ، ان ابن قتيبة (لا إمام له)[٨٧] وأنه كان يتعسف في حمل القرآن علىٰ مايأثره عن إمام .

وإن كـانت حمـلات الأنبـاري إجـابـة للدفـاع عن أبي عبيـد القاسم بن سلّام ونُصَفةً له في ظاهرها ، إلّا أنها تخطت ابن قتيبـة ، فتناولت شيخه معـه أباحـاتم[٨٨] السجستاني ، ثم تعـدت الىٰ تجهيل الرجل ورشقه بسهام الغفلة . .

وهذه المطاعن في الرجل ، يقف عندها الـدارس بتأمـل وربما لايجد مسوّغاً . . و « أن كانت الاشراف تهجىٰ وتمدح » . .

إلّا أن أحد الباحثين[٨٩] تمحل لها وجهاً من الصواب حينما ذهب

الىٰ أن سببها كان من أن ابن قتيبة حكىٰ في كتبه حكايات عن الكوفيين ، فنقده الدارسون من أصحاب المذهب البصري . . ولكن مانقول في أحد أعلام المذهب الكوفي « أبو بكر الأنباري » ؟

وفي الحقيقة ، أن في رأي[٩٠] بعض الباحثين العصريين شيئاً من الحق . إلاّ أن هَوس النفوس وجمرات الحقد لهما مالهما من أثر في سبب تلك المطاعن .

أريد من وضع ماتقدم ، لأخلص الىٰ دفع مظلمة وقعت لابن قتيبة ، بغير الحق ، أولاً ، ثم محاكمة رأي من ذَهَب من الدّارسين الىٰ أنه[٩١] « مؤسس المدرسة البغدادية » .

ولاأريد أن أقف عند هذه المسألة طويلاً ، لأنها قتلت بحثاً ودرساً ، وفرغ منها الدّارسون[٩٢] منذ حين .

* * *

ذكر ابن النديم[٩٣] - لأول مرة - ان ابن قتيبة « كان يغلو في البصريين ، إلاّ أنه خلط المذهبين وحكىٰ في كتبه عن الكوفيين » . وهذه قولة ابن النديم تلقفها باحث من المستشرقين ، وجعل منها أصلاً يبني عليه مادة علمية تتصل بالمذاهب النحوية ، وبتاريخ النحو العربي .

ثم إن بعضهم أخطأ في فهمها ، وذهب آخرون الىٰ أنها صدىٰ لقولة أبي الطيب[٩٤] اللغوي في ابن قتيبة ، وقد مرت في أول هذا الفصل . . والخلاف بين القولين بعيد وواضح[٩٥] .

وخصائص «المدرسة البغدادية»[٩٦] عند هؤلاء تقوم على الانتخاب من المذهبين البصري والكوفي» .. وحجة هؤلاء - كما أشرت - ماذكره ابن النديم في «الفهرست» وصنّف النحاة وعيّن أخبارهم في ثلاثة فنون من المقالة الثانية .

وفهموا من حكاية أبي الطيب أيضاً - من قبل - ان ابن قتيبة / خلط عليه بحكايات عن الكوفيين / أنه يريد به : أن مذهباً في النحو قام على خلط وانتخاب حكايات (البصريين والكوفيين) ، ورجاله كانوا في بغداد ومنهم : ابن قتيبة وغيره .

وقد انخدع بهذا القول غير باحث[٩٧] ، فجعلوا من ابن قتيبة ممثلاً أو رأساً لهذا المذهب الجديد . ورائد فكرة «المدرسة البغدادية» في النحو[٩٨] ، هو : «فلوجل Flugel ت - ١٨٧٠م» الذي كتب مبحثاً / المدارس النحوية ، سنة / ١٨٦٢م ، ثم تبعه مستشرقان آخران هما :

١ - (فايل Gotthold Wail ت - ١٨٨٩م) ، الذي كتب مقدمة لكتاب (الانصاف) لأبي البركات الأنباري ونشر ١٩١٣م - ليدن .

٢ - كارل بروكلمان (ت - ١٩٥٦م) حيث ذكر في : «تاريخ الأدب العربي ٢/٢٢١» : مدرسة بغداد وترجم لأعلامها مبتدئاً لها بابن قتيبة الذي عدّه «أول ممثّل لها» ..

وتابع هؤلاء باحثون[٩٩] من العرب ، منهم : أحمد أمين ، وأحمد مكي الأنصاري ، وشوقي ضيف ، وآخرون .

وماحقيقة أمر «المذهب البغدادي» إلاّ أنها امتداد للمذهب الكوفي[١٠٠] ، حيث انتقل رجاله الى بغداد فسادت حكاياتهم في أروقة

المعاهد العلمية ، وذاعت مؤلفاتهم فيها . . ومنهم : الكسائي والفرّاء .

أمّا ابن قتيبة ، فإنه كان يصدر في حكايات النحوية عن كتب أصول العربية (النحو والتصريف) التي ألفها نحاة البصرة والكوفة وغيرهما . . ولم نجد فيها اثارة من عصبية لمذهب أو رجل منهم . . إنما كان وكده قول الحق ، والدفاع عن حرمات الله ، وقدس كلامه الكريم (القرآن) ويناضل عن طهارة سنّة نبيّه محمد (ﷺ) ويرد علىٰ الملاحدة والشعوبيين سهام طعنهم الىٰ نحورهم . . وجعل من (العربية) سبيلاً أميناً لما ذهب في جلّ مؤلفاته .

وقد تجنب الخوض في[101] الخلاف النحوي الذي عرفه تاريخ العربية ، وبلغ أشده في أيامه الأولىٰ ، وبخاصة ماخبرناه عند أبي زكريا الفرّاء .

فانه كان يروي حكايات هؤلاء بغير عصبية ظاهرة أو باطنة . .

فمن ذلك ، قوله[102] : « قال البصريون » و « قال[103] بعض البغداديين » ، أو : « هذا مذهب البصريين » هذا مادرج عليه الرجل في أكثر آثاره ، ويجدر بنا أن نلحظ بتأمل أنه لم يذكر اسم « المذهب الكوفي » أو « الكوفيين » أبداً . . إنما كان يذكر الكسائي ، أو الفرّاء ، وذلك لأن رجال المذهب الكوفي قد انتقلوا الىٰ بغداد في مطالع القرن الثاني[104] .

ففي كتابه « أدب الكاتب » مثلاً حكىٰ كثيراً عن الفرّاء ، والكسائي ، كما حكىٰ عن الأصمعي وأبي حاتم السجستاني[105] .

وفي « أدب الكاتب » و « المشكل » و « غريب الحديث » طائفة من الآراء النحوية .

ولم يكن ممثلاً لمدرسة بغداد (الخلط بين المدرستين) كما ذهب الىٰ هذا باحث[١٠٦] عصري ، حيث قال : « ويغلب علىٰ اتجاه ابن قتيبة في هذا الكتاب ـ أدب الكاتب ـ الخلط بين مذاهب الكوفيين والبصريين ، فهو يحكم القياس أحياناً ويرتضيه ، وهو لا يأخذ به مرة أخرىٰ ، مما أدّىٰ الىٰ اتهامه بالخلط » .

ثم إني وجدته يقول في[١٠٧] (أدب الكاتب) : « قال الفرّاء ، قال الكسائي وغيره من أصحابنا . . » ألم تكن هذه الحكاية إشارة خفيّة إلىٰ[١٠٨] (المذهب الكوفي) .

ولعل قول أبي البركات الأنباري[١٠٩] في ترجمته : « كان كوفياً ، ومولده بها ، وكان فاضلاً في اللغة والنحو » . كان المراد منه الاشارة الىٰ البلد وليس الىٰ المذهب . .

ومن الثابت أن رواياته في النحو وفي أخبار النحاة صدرت عنده عن : أبي حاتم والرياشي والزيادي ، ويتضح ذلك في[١١٠] : « غريب الحديث » حيث أكثر من الحكاية والرواية عن : أبي حاتم ، والرياشي » والزيادي كما نقل فيه عن : الفرّاء ، والكسائي ، ويونس بن حبيب ، أي : انه حكىٰ آراء علماء (المذهبين ـ البصري والكوفي) . . ولم يبد منهم شيء من (التعصب) لأحد أو لمذهب . .

ومن آثار التحرر العقلي عند ابن قتيبة الذي امتد في كل مؤلفاته وتوزع علىٰ آفاق نتاجه العلمي . . مانجده يحكي (مصطلحات

نحوية) عن أصحاب المدرستين دون أن يتعصب لأحد منها . . ومثال هـذا : ذكره في « المشكـل / ٥٦٥ » بـاب / دخـول بعض حـروف الصفـات مكـان بعض . و(حـروف الصفـات)[١١١] من حكـايـات الكوفيين .

وكذلك ذكر (باب حروف المعاني وماشاكلها من الأفعال التي لاتنصـرف ص / ٥١٧) . و (حـروف المعـاني) من مصـطلحـات البصريين .

و (ماينصرف) مصطلح بصري أيضـاً ، وهو عنـد الكوفيـين (مايجري ومالايجري) . . ولكن اذا رجعنا الى سيبويه[١١٢] نجد فيـه (ماينصرف ومالاينصرف) . . وهذا يفسر صحة ماذهبنا اليه من أن ابن قتيبـة يعتمد (عقليتـه المتحررة) في كـل مـاكتب في (المسـائـل العقلية) . .

- ٤ -

ابن قتيبة وحركة التصحيح اللغوي

(١)

كانت نهاية القرن الأول للهجرة بداية رحيبة لقيام نهضة علمية للأمة العربية .

وماذرّ قرن المائة الثانية إلاّ وكانت بغداد مثابة العلماء ، وفـدوا اليها من كل حَدَب وصَوْب ، فنشـطت الحركـة العلمية فيهـا ، وفي أفيائها كان أرباب المعرفة يرفدون الحضـارة العربيـة الاسلاميـة بكل طريف جليل من فنونها . . وقد كان لأهل اللغة نصيبهم العظيم في

ازدهارها ، إذ أن اللغة هي وعاء الفكر . . ولولاهم لما تمكن العلماء من نقل العلوم والمعارف الدخيلة الىٰ العربية . .

حيث أفادت الحضارة من جهودهم ، كما أفادت العربية أيضاً ، ونبغ في هذا العصر كبار اللغويين والنحاة والأدباء ، وفحولة الشعراء ، وحذّاق المؤرخين ، الذين مازالت مؤلفاتهم من أصول التراث العلمي للمسلمين . .

فدرج هذا الازدهار حتىٰ تلقاه الخليفة العباسي / المعتضد بالله ، أحمد بن طلحة (٢٤٢ ـ ٢٨٩ هـ) باليمين ، حيث نعمت الحياة العلمية في أيامه بالعون والتأييد ، فقد شجع علىٰ الترجمة ، وآزر أهل الفكر ، وأدنىٰ الى مجالسة العلماء والأدباء . . فعرف العرب نتاج العبقرية الاغريقية ، والهندية ، في أيامه ، معرفة متأصلة بعد أن نقلت اليهم عيونها زمن المأمون . . وربما يكون عصره من أزهىٰ عصور الدولة العباسية بعد عصر الرشيد . .

ومن البديهي أن ينشط علماء اللغة لدعم مسيرة النهضة ، تمكيناً لأرباب الدواوين والقَوَمَة علىٰ شؤون الدولة من أداء أعمالهم . . فهبّوا لمدافعة الطارىء الدخيل عن حياض العربية ، والتصدي لتسرب أفانين العجمة وضروب الضعف اللغوي .

فظهرت ألوان جديدة من التأليف اللغوي في هذين القرنين (الثاني والثالث) وماأعقبهما ، وهو مايعرف بـ (لحن العامة) و (أدب الكتّاب) .

ولحن العامة / نمط طريف من أنماط التأليف اللغوي ، وكان من

ولعل أوائل كتب هذا اللون ، كتاب (ماتلحن فيه العوام) لعلي بن حمزة الكسائي ، الذي كتبه لهارون الرشيد[13] ، ثم أخذت هذه الحركة بالنمو والتطور ، فتعهدها علماء أجلاء[14] ، أمثال : الفراء (ت - ٢٠٧ هـ) ومعمر بن المثنى أبو عبيدة (ت - ٢١٠ هـ) والأصمعي (ت - ٢١٦ هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلّام (ت - ٢٢٤ هـ) وابن السكيت (ت - ٢٤٤ هـ) والمازني (ت - ٢٤٨ هـ) وأبو حاتم السجستاني (ت - ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة .. وثعلب (ت - ٢٩١ هـ) .

وقد تسرب اللحن الى حرم العربية في مطالع العصر الاسلامي[15] ، وكان أول مابدأ في كلام الموالي والمستعربين[16] الذي خالطوا العرب وجمعهم سلطان الدين الجديد .

قال الزبيدي : « لم تزل العرب في جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع في نطقها بالسجيّة وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ، ومصّرت الأمصار ، ودوّنت الدواوين ، فاختلط العربي بالنبطي ، والتقى الحجازي بالفارسي ، ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان ، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في ألسنة العوام »[17] .

وكان من ألوان اللحن[18] ، ماينصرف الى الخطأ في الأصوات والصيغ والأبنية ، وهو الخطأ في اللغة ، في أصواتها ونحوها وصرفها أو في معاني مفرداتها[19] .. ومنه ماينصرف الى تركيب الكلام ونسج الأساليب ، واللحن عندهم هو : « إمالة الكلام عن جهته الصحيحة أو ازالة الإعراب عن جهته ، وهو مولّد ، لأن اللحن محدث »[20] .

والمقصود بالعامّة[١٢١] عندهم ، (طبقة) المثقفين الذين تنزلق ألسنتهم في اللحن بمتابعة أولئك الدهماء .

وكان اللغويون الأولون ينظرون الىٰ التطور اللغوي ، علىٰ أنّه مولّد ولحن ، لذا ظهر هذا التطور في (كتب لحن العامة) .

وماكان عندهم خطأ ولحناً هو لهجة (لغة) من لهجات العرب[١٢٢] ، وقد تم الكشف عنها بعد تدوين اللغة وصنع المعجمات التي استمدت مادتها من أفواه الأعراب » ومن هنا حملت هذه الدواوين اللغوية أمانة التطور اللغوي ، الذي له خطره في الدراسات اللغوية . ومساانتداب جلّة العلماء واللغويين الغُير أنفسَهم للنهوض بهذه (المهمة) الجليلة ، إلّا إجابة لمطالب حضارية جديدة ، وهو عندهم لونٌ من ألوان الجهاد والعبادة ، ولأجل هذا كلّه سعوا الىٰ وضع المؤلفات اللغوية التي تأخذ بالمنهج النقدي والتصحيحي في سَمْتها ، وهي من شأنها تقصد الىٰ تقويم ألْسنة (العامة والخاصة) وتنزيه أقلامهم عن مزالق الخطأ . . حيث أن الحضارة الاسلامية قد انفتحت على ثقافات جديدة لاعهد للعرب بها من قبل ، وهو أمر يتطلّب نمطاً جديداً من المصطلحات والمسمّيات الحضارية ، مع استعمالات وصيغ أخرىٰ في كتابه الدواوين ، لذلك انطلق جمهور من اللغويين والنحاة والأدباء الىٰ إعانة العربية علىٰ تقبل الوافد الطريف ، لكي تزدهر حضارة جديدة في مرابع الأمة .

وهذه بادرة جليلة من لدن هؤلاء العلماء ، لأنهم آمنوا أن حيوية اللغة ودوام شبابها ينطلقان من قوة الأمة وحركة نشاطها في الحياة .

وهذا العصر ، يمكن أن يطلق عليه / عصر النهوض اللغوي ، إذ أن حركة التصحيح اللغوي ، والنقد ، وصنع المصطلحات الحضارية ، كانت من نتاجاته ، فهو - بحق - عصر الازدهار اللغوي للعربية .

(٢)

ومن أنماط التصحيح اللغوي ، كتبٌ تناولت أدب الكتّاب ، عكف علىٰ تأليفها لغويون وكتّاب ونحاة . . لإرشاد الشداة والمتأدبين الىٰ الصواب ولتوسع دائرة المعرفة اللغوية عند موظفي الدواوين ، ولإفادة المشتغلين بالعلوم العربية والاسلامية ، حيث أنها عنيت برسم الخط العربي ، وأصول الكتابة وضوابط النحو ، وأحكام الاستعمالات اللغوية ، ولولاها لعسر علىٰ أهل العربية في تعاقب عصورها معرفة كثير من وجوه الدرس اللغوي . . ولضاعت مادة عظيمة من مواد النقد اللغوي ، الذي هو أظهر معارفنا اللغوية .

و (أدب الكاتب) أول مؤلّف يصل الينا من تلك الكتب المؤلَّفة في عصره (القرن الثاني) . . وإذا أردنا ان نتعرف أهميته وتبيان مكانه بين نظائره وأشباهه ، علينا أن نتفحص ثبتاً تضمن بعض ماعرفناه من أسماء كتب « أدب الكتاب / الكاتب » ، عبر قرنين من الزمن ، أي في القرنين الثالث والرابع للهجرة .

١ - آلة الكتّاب ،

للفرّاء أبي زكريا يحيىٰ بن زياد[١٢٣] (ت - ٢٠٧ هـ) .

٢ - كتاب الكتّاب .

لعمر بن شبة البصري[١٢٤] (ت ـ ٢٦٢ هـ) .

٣ ـ مايحتاج اليه الكاتب .

للمفضّل بن سلمة بن عاصم[١٢٥] الكوفي (ت ـ ٢٩٠ هـ على رواية) .

٤ ـ أدب الكاتب

لابن دريد ، محمد بن الحسن الأزدي (ت ـ ٣٢١ هـ) .

قالوا فيه[١٢٦] : (إنه على مثال كتاب ابن قتيبة) .

٥ ـ كتاب الكتّاب ،

لمحمد بن أحمد بن الحسين المعروف بابن الحرون[١٢٧] .

٦ ـ أدب الكتّاب ،

لأبي بكر محمد بن القاسم[١٢٨] / ابن الأنباري (ت ـ ٣٢٨ هـ) .

٧ ـ كتاب / الكتاب والصناعة ،

لمحمد بن اسماعيل بن زنجي[١٢٩] (ت ـ ٣٣٤ هـ) .

٨ ـ الكتاب وصفة الدواة والقلم وتعريفهما

للحافظ ، أبي موسىٰ عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي[١٣٠] .

نشره (دومينيا سورديل) في دمشق ١٩٥٢م ، من مطبوعات / المعهد الثقافي الفرنسي بدمشق .

٩ ـ أدب الكتاب ،

لأحمد بن محمد بن يوسف[١٣١] الكاتب ؟

١٠ ـ صناعة الكتّاب ،

لأبي جعفر النحاس ، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ) . وقد نهض الدكتور أحمد نصيف الجنابي الى جمع نصوص هذا الكتاب ونشرها بعنوان : « نصوص باقية من صناعة الكتاب » في مجلة (المورد ٢ / ٤ ص ١٨٥ - ٢٠٨) وعقب عليه بنصوص أخرى / الدكتور أحمد مطلوب مرة في (م ٣ / ع ٢ ص ٣٢٧ - ٣٢٨) نصوص أخرى من صناعة الكتاب .

١١ - أدب الكتاب .

لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) ، مطبوع . .

١٢ - الخراج وصناعة الكتابة .

لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) .

١٣ - كتاب الكتاب[١] .

لابن درستويه ، عبدالله بن جعفر (ت ٣٤٧ هـ) وهو على طريقة ابن قتيبة .

وكتابه / مطبوع في بيروت[٢] ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، نشره الدكتوران : إبراهيم السامرائي ، وعبدالحسين الفتلي . .

* * *

هذه الكتب هي جزء من نتاج علماء العربية في القرنين الثاني والثالث في (أدب الكاتب) ولاشك أن كثيراً من أسماء كتب أخرى فاتني ذكرها . . انما قصدت الإشارة الى ماعرفته . . . « على سبيل المثال » .

وإني لأزعم أن كتاب ابن قتيبة هو ديوان عظيم في مادته ، وأصل أصيل في بابته . . ولتبيان مكانته في دائرة هذا اللون من التـأليف ، عقدت موازنة بينه وبين كتابي الصولي (أدب الكتاب) وابن درستويه (الكتاب) وهما صدىً لصوت القتبي ، علىٰ الرغم من تباين مناهجها وأسلوب معالجتها لمادتها .

أدب الكاتـــب

(١)

(أدب الكاتب) من أجل مؤلفات ابن قتيبة ، ومن أجود ماتركه عصره في مادته . فيه تظهر عبقـرية المؤلفَ في فهم (حقيقـة اللغة ، وتصنيف أبوابها وفق مطالب الحياة الثقافية ، ضم فيه كل مايحتاج اليه (المثقّف) في عصره ، وهو أيضاً أنموذج لعقلية ابن قتيبة في التـأليف والبحث ، فيه ترتيب واتساق وحدة موضوعية ، جمع فيـه فنونـاً من مسائل اللغة ، وضروباً من أفانين الآلة والأداة للأديب . . فإنَّك تجد فيه النحو والتصريف والبلاغة كما تجد فيه المعارف العامة في البلدان والأدب والتاريخ والمعرّبات وغيرها .

لذلك عدَّة أهل الأدب[١٣٥] : أصلاً من أصول دواوين الأدب ، فـذكروا أربعـة منها ، كـان (أدب الكاتب) واحـداً منها ، والأدب عندهم يعني كلمة (الثقافة) عندنا الآن ، أي : الأخذ من كل فن بطرف ، كما أثر عن الجاحظ .

وقد مرَّ ـ في فصل[136] دراسة في مؤلفات ابن قتيبة / أمر عناية العلماء والنحاة واللغويين به ، قديماً وحديثاً . . فتناوله غير واحد منهم بالشرح والتفسير أو النقد والتلخيص ، وذلك لاشتداد حاجة المتعلّمين والأدباء اليه في كل زمان ، وحق للناس حينما كانوا يستظهرونه[137] . . ويمكن أن نتعرف الىٰ فصوله من خلال معرفة أبوابه (كتبه) والتي احتجنت :

١ ـ المقدمة (خطبة الكتاب) .

٢ ـ كتاب المعرفة وفيه الفصول الآتية :

أ ـ باب معرفة مايضعه الناس في غير موضعه ، وذكر فيه الألفاظ التي يستعملها الناس في غير موضعها ، وهو مايطلق عليه أحياناً اسم « الفروق اللغوية » . . وهو يفيد الدارس للدلالة اللغوية والتطور اللغوي . .

ب ـ باب تأويل ماجاء مثنىٰ في مستعمل الكلام .

جـ ـ باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام . . ويعني به ، الكلمات التي وردت عند العرب مزدوجة مثال قولهم : العلم والدم (البحر والتراب) والضيح والريح ، ودبَّ ودرج ، والساقة والعامة . .

وهذه الألفاظ يكثر استعمالها عند الأدباء ، وتدور عندهم وعند غيرهم .

جـ ـ باب مايستعمل من الدعاء في الكلام .

د ـ باب تأويل كلام من كلام الناس مستعمل .

وهذا الباب ، يعالج الفِصَل والجمل التي ترد عند الناس ، أمثال : حلب فلان الدهر أشطره . . و / لئيم راضع ، ودفع عقيرته . . وهكذا .

هـ ـ باب أصول أسماء الناس ، وجمع فيه : المسمّين بأسماء النبات ، والمسمّين بأسماء الطير ، المسمّين بأسماء السباع ، والمسمّين بأسماء الهوام ، والمسمّين بالصفات وغيرها ، وختمه بذكر / صفات الناس .

و ـ باب معرفة مافي السماء والنجوم والأزمان والرياح .

ز ـ باب النبات .

ح ـ باب القطنية .

ط ـ باب النخل .

ي ـ باب ذكور ماشهر منه الإناث ، /وإناث ماشهر منه الذكور .

ك ـ باب مايعرف واحده ويشكل جمعه ، ومايعرف جمعه ويشكل واحده .

ل ـ باب معرفة مافي الخيل ومايستحب من خلقها .

م ـ باب عيوب الخيل ، والعيوب الحادثة فيها ، وخلقها ، وشياتها ، وألوانها ، والدوائر في الخيل ومايكره من شياتها ، والسوابق منها .

ن ـ باب معرفة مافي خلق الإنسان من عيوب الخَلْق .

وضم فيه : الفروق في خلق الانسان ، والفروق في الأسنان ، والأفواه ، ثم باباً في فروق ريش الجناح ، كما أفرد لفروق الأطفال باباً منه للانسان والحيوان ، وكذلك جمع باباً للسفاد (أي للنكاح) وباباً في

فروق الحمل ، والولادة ، وباباً في فروق الأصوات ، وباباً في معرفة الطعام والشراب ، و (باب الأشربة) ومعرفة اللبن والطعام ، وقوائم الحيوان والضروع والرحم ، والوحوش ، و / الفرق في أسماء الجماعات ، ومعرفة الشاة ومايتصل بها ، و / معرفة الآلات، والثياب واللباس ، والسلاح ، وأسماء الصناع ، واختلاف الأسماء في الشيء الواحد لاختلاف الجهات ، ثم ضم أبواباً أخرىٰ لمعرفة الطير ، والحيّة والعقرب ، كما أورد فيه باباً للأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنىٰ ، وباباً لنوادر من الكلام المشتبهة ، أمثال : التأبين ، التقريظ ، وباباً للتضاد (الأضداد) .

٣ ـ كتاب تقويم اليد ، وضم فيه خمسة وأربعين باباً ، ويدخل فيها كل ماله صلة بالخط (الكتابة) أمثال : زيادة الحروف ونقصها في الكلمة ، والهمز ، والمقصور والممدود وماينصرف ومالاينصرف ، والياء والألف ونحو ذلك .

٤ ـ كتاب تقويم اللسان ،

وهو كتاب متمم لكتاب تقويم اليد ، إذ أن الخطأ يقع في اليد (الخط) وفي اللسان (النطق) . . وفيه خمسة وثلاثون باباً .

وهذا الكتاب يدخل في مادة التصحيح اللغوي ونقد الخطأ ، وتتفق أبواب هذا الكتاب مع بعض مواد كتاب(١٣٨) « اصلاح المنطق » لابن السكيت المتوفىٰ سنة / ٢٤٤ هـ ، وهما من أوائل الكتب التي وصلت الينا في بابة / لحن(١٣٩) العامة بعد كتاب الكسائي « ماتلحن فيه العامة » .

وإليك بعضاً من أبواب كتاب / تقويم اللسان : باب الأفعال ، مايهمز والعوام تهمزه ، وماتصحف فيه العوام ، وماجاء مكسوراً أو مفتوحاً ، وماورد بالسين أو بالصاد ، وباب المصادر ، ومايغير من أسماء الناس .

٥ ـ كتاب الابنية :

وهو من موضوعات التصريف ، ومادته تشبه بعض مواد « إصلاح المنطق » أيضاً . . وقد ضم ستة عشر باباً ، ثم فصّل القول في بابة جديدة : معاني أبنية الأفعال وفيه أربعة وعشرون باباً .

٦ ـ ماتكلّم به العامة من الكلام الأعجمي ،

وفيه طائفة من الألفاظ الدخيلة والمعرّبة .

٧ ـ ومن الأبواب المهمة التي دخلت في كتاب الأبنية ،

باب دخول بعض الصفات علىٰ بعض ، مثلاً : تدخل من علىٰ (عندك) فتقول : جئت من عندك . . وهكذا وأكثره منقول عن الكسائي .

وباب دخول بعض الصفات مكان بعض ، مثلاً : دخول (في) مكان (علىٰ) في الكلام ، كما ورد في قوله تعالىٰ : ﴿ لاصلبنّكم في جذوع النخل / طه ٧١ ﴾ ، أي : علىٰ جذوع النخل . . ويدخل هذا الباب في مادة مايعرف بحروف المعاني والمباني .

وباب / زيادة الصفات ، مثل قوله تعالىٰ : ﴿ اقرأ باسم ربّك / العلق ١ ﴾ أي : اقرأ اسم ربّك وباب / ادخال الصفات وإخراجها ، كقولهم : شكرتك ، وشكرت لك ، ونصحتك ،

ونصحت لك ، ومكنتك ومكنت لك . . وهكذا .

وعضد هذه الأبواب بباب كبير ، تناول فيه أبنية الأسماء ، أمثال (فعل وفعل) بسكون العين وفتحها أو كسرها وسكونها ، أو فتحها وضمّها .

ثم اتبعه بباب / ماجاء علىٰ (فعلة) بفتح الفاء وكسرها أي : ماجاء فيه لغتان في الحرف . . ثم أودعه أبواباً أخرىٰ في معرفة الآلة والأداة ، ومايقال بالتاء ، وبالهمز ، وماورد فيه ثلاث لغات أو أربع لغات . . وباب / معاني أبنية الاسماء ،وباب في / شواذ البناء ، وجملة مادته جاءت من (الكتاب) لسيبويه ، أو عن الأخفش والسجستاني ، والكسائي ، والفرّاء ، والأصمعي . . وهذا الباب يدخل فيما يعرف بباب / ليس في كلام العرب . الذي اختصه ابن خالويه (ت ـ ٣٧٠ هـ) بكتاب : « ليس في كلام العرب »[١٤٠] . . وهو مطبوع مشهور . . وختم هذا الباب ، بذكر شواذ التصريف . . مثل قولهم : العشايا والغدايا ، مأزورات ومأجورات كما ورد في الحديث النبوي الشريف . .

وجعل مادته أخذها ابن قتيبة من : الفرّاء ، حيث أكثر من النقل عنه فيه ، وفي هذا الباب ، أورد ابن قتيبة شيئاً من حكايات النحاة من / البصريين ، وبعض البغداديين ، والكوفيين ولم يذكرهم بالاسم ، إنما كنىٰ عنهم بالبغداديين ، ومنهم : الكسائي والفرّاء ، الذي ذكره اثنتي عشرة مرة فيه ، وذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي ثلاث مرات وأربع مرات ذكر فيها الكسائي ، ومثله ذكر سيبويه . .

وجعل خاتمة الكتاب تتحدث عن أبواب متناثرة في مواد متفرقة من شواذ التصريف ، والأسماء والجموع الشاذّة التي تتفق وواحدها ، وكذلك ألمع الىٰ / أبنية نعوت المؤنث ، وأبنية المصادر وماضمته من أبواب .

هذه مواد / أدب الكاتب ، وهي أمشاجج متفرقة متفقة . . متفرقة في مواردها وفصولها اللغوية ، متفقة في مقصد واحد هو : عصمة الكاتب والأديب (المثقف) من الوقوع في اللحن والخطأ / نطقاً وكتابة . . أما خطبته (المقدمة) فقد أبان فيها ابن قتيبة عن أسباب وضعه له ، فذكر أنه كتبه ليكون عوناً للأديب ، ومرشداً للشداة ، وهادياً لطلاب المعرفة بعد أن لمس في عصره أفول نجم الخير ، وكساد سوق البر « وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا علىٰ صاحبه ، والفضل نقصاً ، وأموال الملوك وقفاً علىٰ شهوات النفوس ، والجاه الذي هو زكاة الشرف يباع بيع الخَلَق [البالي] وآضت المروءات في زخارف النجد ، وتشييد البنيان ، ولذات النقوش في اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان ، ونبذت الصنائع ، وجهل قدر المعروف ، وماتت الخواطر ، وسقطت همم النفوس ، وزهد في لسان الصدق ، وعقد الملكوت ، فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف ، وأعلىٰ منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة أو وصف كأس » . .

وراح يعدد معايب بعض المشتغلين بالأدب من أبناء عصره وأوانه ، ويعيب عليهم جهلهم بما لايسعهم جهله ، بهذا الأسلوب

الأخّاذ الذي يصور ثقافة صاحبه ، ومدىٰ انبساطها في حقول المعرفة ، وفيها شيء غير يسير من آثار ثقافة عصره ، من علوم : الكلام والفلسفة ، والتاريخ ، والهندسة ، فضلاً عن علوم الشريعة الاسلامية الأخرىٰ .

والذي حمله علىٰ تأليف / أدب الكاتب ، هو الوزير عبيدالله بن يحيىٰ بن خاقان أبوالحسن (ت ـ ٢٦٣ هـ) أحد وزراء المتوكل . . وكان من أهل الفضل ، و« حباه الله بخيم السلف الصالح ، ورداه رداء الإيمان وغشّاه بنوره ، وجعله هدىً من الضلالات » .

ومن أسباب تأليفه ، ماوجده ابن قتيبة من ألوان العجز والدعة عند كتّاب زمانه الذين « أعفوا أنفسهم من كدّ النظر وقلوبهم من تعب التفكر ، حيث نالوا الدَّرَك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة » وساق أمثلة من جهلهم وألواناً من حماقاتهم وحين رأىٰ أمرهم كل يوم الىٰ نقصان ، وخاف أن يذهب رسمه ، ويعفو إثره ، شمّر عن ساعد العزم ، وصرف له الهمة ، وجعل له خطأ من عنايته . فعمل لمغفل التأديب / أدب الكاتب . . وضمنه ـ كما مر قبل قليل ـ كتباً خفافاً في / المعرفة ، وفي تقويم اللسان واليد .

والكتاب عند علمائنا المتقدمين يعني : الباب الكبير ، الذي ينطوي علىٰ فصول (أبواب صغيرة) وأراده أن يكون عوناً « لمن شدا شيئاً من الإعراب . . وشيئاً من التصاريف والأبنية » .

ولم يقطع ابن قتيبة بأهمية كتابه ، ولم يقل بتفرده في مجال المعرفة ، إنما طلب الىٰ من يتدارسه أن يجمع معه علوم / الهندسة والحساب

والفلك والبلدان (الجغرافية) والفقه والحديث وأخبار الناس والتاريخ . . وأشباه لهذا « إذا هو حفظها وتفهم معانيها وتدبرها أغنته باذن الله تعالىٰ عن كثير من إطالة أهل العلم . . ورأىٰ أن مدار الفهم كله هو العقل وجودة القريحة . . ولم ينس ابن قتيبة ، وهو يعدد أركان (الثقافة) لكتّاب الدواوين ، أن يشير عليهم بضرورة تأديب النفس وتهذيبها ، ورأىٰ أن يجتمع « أدب الدرس وأدب النفس » في حيّز واحد . . ليصون صاحبه نفسه عن دناءة الرذائل ، ومرديات المروءة . . ولمحاته هذه . . (تعليمات) حلوة في الدرس التربوي لطالب العلم . . ولما انتهىٰ من هذه المطالب انقلب يقدّم لأهل الصناعة ـ كتّاب الدواوين ـ أصولاً يجب عليهم تتبعها والعمل بها ، أمثال : « إنزال ألفاظه في كتبه علىٰ قدر الكاتب والمكتوب اليه » . . أي : مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم ، وأن يبتعدوا عن حوشي الكلام وغريبه ، و « يستحب له ـ ان استطاع ـ ان يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الإعراب ، ليسلم من اللحن وقباحة التقعير » .

كما أشار عليه ـ أن يوجز في موضع الايجاز ، وأن يسهب في مكان الإسهاب ، ثم ختمه بما هذه نسخته : « هذا منتهىٰ القول فيما نختاره للكاتب ، فمن تكاملت له هذه الأدوات ، وأمّده الله بآداب النفس ، من العفاف ، والحلم ، والصبر والتواضع للحق ، وسكون الطائر ، وخفض الجناح ، فهذا المتناهي في الفضل ، العالي في ذرىٰ المجد » .

وقد أراد أحدهم أن يتنقص من قدر هذا الكتاب ، أطلق عليه قوله فيها جنَفٌ ومجازفة ، وابتعد عن الحق كثيراً حينما قال[١٤٤] : « إن

أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ، وإصلاح المنطق ، كتاب بلا خطبة » .

وردّ ابن خلكان[١٤١] هذا القول علىٰ صاحبه بقوله : « وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فإن / أدب الكاتب ، قد حوىٰ من كل شيء وهو مفننٌ ، وماأظن حملهم علىٰ هذا القول إلاّ أن الخطبة طويلة » .

وطول هذه الخطبة لايعد شيئاً ذا بال إذا ماووزنت بطول الكتاب ، فهي في سبع عشرة صفحة ، والكتاب في سبع وسبعين وأربعمائة صفحة[١٤٢] .

ثم إن من محامد ابن قتيبة ، أنه أول مؤلف في تراثنا العربي القديم ، كان يضع (مقدمات) لمؤلفاته ، وإنه كان يبوّب آثاره وفق قواعد البحث والتأليف التي وضعها أهل الصناعة . . وهو بذلك قد خطا بالتأليف خطوات[١٤٣] بارعة جيدة ، تذكر له فيشكر عليها .

(٢)
أدب الكتاب للصولي

لأبي بكر الصولي جهود محمودة في الأدب والتاريخ والشطرنج ، وقد صرفها في وجوه شتىٰ من ضروب التأليف ، ومن هذه الوجوه تأليفه في أدب الكتابة التي كان من ثمارها كتابه : (أدب الكاتب) أو (أدب الكتاب) كما يسمّيه بعض الناس .

وأدب الكتاب مطبوع في القاهرة ، سنة ١٣٤١ هـ ، في المطبعة السلفية ، بتحقيق الشيخ محمد بهجة الأثري ، قوامه (٣٧٠) صفحة متوسطة ، يتجلىٰ منهج الصولي في الأدب ومعرفة فنون الكتابة فيه

بوضوح تام ، فقد صرفه في ثلاثة أجزاء وفي كل جزء منها جعل له أبواباً ، وذلك (ليقرب علىٰ طالبه مايريده منه) كما قال في مقدمته .

ففي الجزء الأول منه ، نراه قد أجمل القول في فضل الكتابة والحث علىٰ تعلّمها ، وأورد مأثور الكلام في ذلك ، ثم عرّض في تأليفه ، وفي أصل كتابة (البسملة) وضرورة افتتاح الكلام بها وتصدير الكتب ومايقع فيها .

ولم يستطع الخلاص من أثر التاريخ والأخبار في نهجه ، حيث انه سرد جملة من الاراء التي قيلت في بدء الكتابة بالعربيّة ، علىٰ نمط أهل السير والأخبار .

ثم عرّج علىٰ الخط وصناعته ، وماقيل فيها نظماً ونثراً ، ثم مادبجته براعة أهل الفن في حسنها ، وفي قبحها وكذلك في وصف القلم (آلة الكتابة) نظماً ونثراً ، وبه يختم الجزء الأول من كتابه .

أما الجزء الثاني ، فهو عرض للدواة وماقيل فيها ، لغة واصطلاحاً ، وماورَدَ من أقوال في صناعتها ، كالأحبار ونحوها .

وكذلك يفصّل القول في كل مايتصل بصناعة الكاتب ، كالقرطاس ومايكتب فيه ، ومعنىٰ الكتابة والكتب في اللغة ، وآلات الكتابة كالسكين ونحوها .

ثم يعرض فيها لآفاق الكتابة كاللحن وماأشبه ، وللتوقيع وللخاتم وماقيل فيهما ومااصطلح عليه الكتبة في الدعاء ، والمكاتبة في كتب الدواوين ومكاتبة ذوي السلطان والوزراء .

أما الجزء الثالث منه ، فقد بسط القول فيه في الأموال واصنافها

وهذا الباب يدخل في أبواب (الخراج) ويمت إلىٰ الحسبة أكثر مما يمت الىٰ (أدب الكتاب) الا انه كتبه لكتاب الدواوين وعمال الخراج ، ثم عرض لأسنان الابل وتعريفها والغنم والبقر والخيل وأحكام الأرضين والقطائع ، ثم لجزية أهل الذمة ، وبعدها عرض لذكر الأمصار التي فرضت فيها الجزية عند فتحها ، أمثال : بلاد مصر ، وبلاد السواد ، ثم للأطعمة ومايتصل بها .

ويختم كتابه في الكلام علىٰ إيجاز الكتابة ، والحساب وتعلمه وفي هـذا العرض السـريع ، تبـين إجمال أبـواب كتـاب الصـولي (أدب الكتاب) ، ونقف علىٰ ماضمنه من فنون تتصل بالكتابة والقلم والخط بوجه عام .

وقد أبان عن منهجه في تأليفه له وعن الوازع الذي دفع به الىٰ وضعه فقال : « هذا كتاب ألّفناه فيما يحتاج اليه أعلىٰ الكتّاب درجة ، وأقلهم فيه منزلة ، وجعلته جـامعاً لكـل مايحتـاج الكاتب إليـه حتىٰ لايعول في جميعه إلاّ عليه » هـ .

ثم قـال : « هـو المستحق أن يسمّىٰ : أدب الكتـاب ، عـلىٰ الايجاب لاعلىٰ الاستعارة ، وعلىٰ التحصيـل لا علىٰ التمثيـل » وهذا الإعتذار بـ (أدب الكتاب) جعله يعرّض بمن سبقه في التأليف بهذا الضرب ، غافراً له بأسلوب فيه شيء من السخرية والاستهجـان ، حيث قال : « فاني رأيت من صنف مثل هذا الكتاب ، ونسبه هـذه النسبة ولم يحصل له منه إلاّ تسميته دون تجسيمه » هـ .

وقد مرّ بنا قبل قليل ثبت تضمن أسماء الذين كتبوا في : أدب

الكتاب ، فمن العسير ـ اذن ـ تحديد اسم الذي غمزه الصولي[١٤٥] من هؤلاء .

(٣)

كتاب الكتّاب لابن درستويه

أراد ابن درستويه لكتابه أن يكون نمطاً متميزاً بين نظائره من كتب صناعة الكتّاب ، وقد ضم فيه ألواناً من الوجوه اللغوية والنحوية والرسم والتصريف . مما جعله ضالّة يسعىٰ اليها أهل الفن ، والشداة في الأدب ومطالب العربية .

وقد أشار الىٰ منهجه بقوله : « وهو كتاب الكتّاب الجاري بين الخاصة والعامة في كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم الذي لايستغني متأدب عن معرفته ولايجمل بذي مروءة جهله . وفيه اختلاف بين العلماء ، فمنهم المقتفي خط المصحف ، والمكتفي بما نشأ عليه »[١٤٦] .

ويعقب علىٰ هذا الكلام بذكر سبب تسميته / كتاب الكتّاب بقوله : « إذا كان قصدنا فيه لما يكتب من تهج وقراءة دون غيره . ولأن الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب أيضاً ، وأن الخط قد يكون تصويراً ونقشاً ، ولم ننسبه الىٰ الكتابة لأنها صناعة الكاتب ، وهي تجمع أسباباً غير الكتاب » .

وضع ابن درستويه كتابه هذا في مطالع حياته العلمية ، وهو أثر واضح من تأثره بشيخه ابن قتيبة ، وترسّم لخطاه في (أدب الكاتب) .

وكتبه مرتين ، عرفنا زمن الأولىٰ ، وكانت في أيام / الخليفة المعتضد بالله أحمد بن طلحة (٢٤٢ ـ ٢٨٩ هـ) الذي ولي الخلافة في

سنة / ٢٧٩ هـ . وكان عصره عصراً تميز بالنشاط الثقافي ، وقـويت الحركة العلمية فيه ، مما شجع العلماء علىٰ التأليف والنهوض بالفكـر العلمي .

أمّا المرة الثانية ، فنجهل زمنها ، وهو يشير الىٰ سبب هذه العودة بتأليفه ، حيث قال : « وبثثناه بالعراق وغيره ، ثم تعقبناه بما وصفنا ، وغيّرنا منه بعض ماألّفنا ، فمن جمعهما وتأمل الاختلاف منهما ، فيعلم سبب تصنيفهما والغرض من تأليفهما ليعذر علىٰ الخلاف فيهما ، ونأمن انتحال مدعيهما » .

وقد حصر مواد كتابه في / اثنىٰ عشر باباً ، كل باب يضم فصولاً وعدتها مائة وثلاثة عشر فصلاً ، مع ماألحق بها وليس منها . وتكفلت هذه الأبواب بدراسة (فلسفة الرسم العربي ومايتصـل به) أمثـال : الهمز والمد والوصل والقصر والزيـادة في الحروف وحـذفها والشكـل والنقط والقوافي والفواصل ورسم خطوط الكتب ، وفي هذه الأبواب مطالب نافعـة في النحو والتصـريف ، ويتضح من مـادة (الكتّاب) الفرق بين نهجه ونهج أبي بكر الصولي في (أدب الكتاب) .

فالصولي ، أديب يتتبع شذرات الأخبار ، ويتسقط لُقط النكات التي تنفع في المنادمة والسمر ، وهي من عدة أهل الأدب . . وهـذا ماجعل كتابه منسجماً وهذه السمات ، مع فرق صغير في معالجة فنون الرسم وماقيل فيه ، وذكر القلم وايراد الشواهد الشعرية فيه .

أما كتاب / الكتّاب ، فانه صورة من صور ثقافة عالم تعانى اللغة وباشر وجوه الإعراب وعالج مطالب العلل والتصريف . . فهو يستأثر جهده اللغوي والنحوي بهذا المنهج ، ليهذب أسلات الأقلام ويعصم

اللسان من معرّة اللحن وشوب الخطأ .

ومن هنا ، لانرىٰ اتفاقاً بين المنهجين في وضع (أدب الكتّاب) ، و (كتاب الكتّاب) . اللهم إلاّ في مواضع جداً قليلة ، مثل اتفاقهما في بحث مسألتين هما :

١ ـ مسألة رسم الألف في (ابن) التي تقع بين علمين .

٢ ـ مسألة كلمة (التاريخ) .

وعلىٰ هذا ، فكتاب الصولي ، إضمامة أدب وشعر ، وطرائف ، وفيه مختارات من شعراء عصر مؤلفه ، بينما نجد كتاب ابن درستويه ، يعتصم بكلام اللغة اللغة وآراء النحاة ، ويستأثر بكلام أهل الفصاحة وأرباب البلاغة ممن يحتج بكلامهم . ومن هذه المواد كلام الفصحاء من الصحابة (رضي الله عنهم) وغرر من كلام الله ـ سبحانه ـ ودرر من أقوال النبي (ﷺ) .

كما لم يغفل ابن درستويه سمة منهج مذهبه[١٤٦] البصري ومعاناته لمسألة (القياس) في بعض أبواب كتابه ، وكذلك نفوره من (الرواية) ونبذ السماع . .

وهذه المزايا له ، جعلته مورداً لأهل اللغة وطلاب صناعة الكتابة .

بقي شيء يتعلق باسمه ، فهو (الكتّاب) كما صرّح به مؤلفه ، وبعضهم يطلق عليه : « الكتاب المتمم » ومن عجب أني وجدت المرحوم الأستاذ أحمد تيمور[١٤٧] ، يميل إلىٰ : أنه (متمم لكتاب سيبويه) وقد سمّاه (متمم الكتاب) .

هوامش الفصل الرابع

١ ـ ينظر : المواهب الفتحية ٢/٨٧ ، والاتقان١/١٤ ، ١٥ ، وغاية النهاية ١/١٣١ ، ولطائف الاشارات ١/٧٢ ، والتبصرة : ٤٥و٤٩ ، والبرهان ١/٣١٨ ، وراجع :

القراءات القرآنية د / عبدالهادي الفضلي : ٤٧ ، ٥٥ ومحاضرات في فقه اللغة/ عبدالله الجبوري / ٦٧ ـ ٦٩ ، والقراءات القرآنية (مجلة كلية آداب ـ جامعة فؤاد الأول ٢/١٠ ج١ مايو ١٩٤٨م ص ١٠٥) المرحوم الدكتور عبدالحليم النجار ، ومن وحي القرآن ، الدكتور ابراهيم السامرائي : ٣٥ ، والقرآن وأصول اللغة له أيضاً (الثقافة / تونس ع/٢ س١ ص : ١٦ ـ ١٩ ، ١٩٦٣م) .

ودراسات للأجيال (العدد الثالث / أيلول ١٩٨٧م ص : ١٧٨ ـ ١٧٩، الضاد وتطورها في العربية ، عبدالله الجبوري) .

٢ ـ الاتقان ١/٢٧ ، التبصرة ٤٥ و٤٩ ، ولطائف الاشارات ١/٦٧ ومنجد القراء / ١٦ والنشر ١/٩ .

٣ ـ راجع : تأويل المشكل : ٢٤ و٣٧ ، والقراءات الشاذة / ١٤٤ .

٤ ـ راجع : تأويل مشكل القرآن : ٣٦ ـ ٣٨ .

٥ ـ ينظر : المشكل ٣٣ ، وراجع في أهمية هذا الحديث (صحة سند أو قول العلماء فيه)البخاري (الجامع الصحيح) ٦/١٨٥ والاتقان ١/٤٥ ، والنشر ١/١٩ و٢٧ ـ ٢٨ والمحتسب ١/٢٩٦ و٢/٣٦٧ ، لطائف الاشارات ١/٢٥ و٣١ ـ ٤٥ والبرهان ١/٢١٩ ، والخصائص ٢/١٠ ومعجم الطبراني ج٣ (الرقم ٣٠١٩) وسنن أبي داود ٢/٧٥ ومسند أحمد ١/٢٧٤ ، وأفرده أبو شامة المقدسي (ت ـ ٦٦٥ هـ) بكتابه « المرشد الوجيز » وطبع في بيروت ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

٦ ـ راجع : لطائف الاشارات ١/٣٦ ـ ٤٥ ، وفتح الباري ٩/٢٣ والقرطبي ١٧/١٢ ، ومعجم القراءات القرآنية ١/٧٢ ـ ٧٦ والخصائص ٢/١٠ والمحتسب ١/٢٩٦ و٢/٣٦٧ .

٧ ـ لطائف الاشارات .

٨ ـ المشكل : ٣٤ و٤٢ .
٩ ـ المشكل ٤٢ ، والنشر ١ / ٤٤ ، وراجع : لطائف الاشارات ١/٧٢ ومنجد القراء / ١٦ والابريز / ١٠٣ و ١٢١ ـ ١٢٨ ، وانظر الدراسة الطيبة التي كتبها الدكتور / غانم قدوري الحمد (رسم المصحف ، دراسة لغوية تاريخية) بيروت ١٤٠٢ هـ .
١٠ ـ المشكل ٤٢ .
١١ ـ المشكل ٥٠ وراجع : معاني القرآن ٢/١٨٢ .
١٢ ـ المشكل ٢٥ ومابعدها .
١٣ ـ المشكل / ٥٠ ـ ٥٢ ، والصاحبي / ٢٠ ، واللسان ١٦/١٧١ .
١٤ ـ معاني القرآن ٢/١٨٢ ـ ١٨٣ .
١٥ ـ معاني القرآن ٢/١٨٤ .
١٦ ـ تفسير القرطبي ١١/٢١٦ والبحر المحيط ٦/٢٥٥ .
١٧ ـ المشكل ٢٦ . (وهي رواية موضوعة) . .
١٨ ـ المشكل ٥٠ ـ ٥٢ ، وراجع : الصاحبي ٢٠ ، واللسان ١٦/١٧١ ، ومعاني القرآن ٢/١٨٢ .
١٩ ـ المشكل ٥٢ .
٢٠ ـ المشكل : ٥١ ، و٥٣ وراجع : المصاحف ٥٣ .
٢١ ـ المشكل ٥١ .
٢٢ ـ المشكل ٥٤ .
٢٣ ـ المشكل ٥٤ .
٢٤ ـ المشكل / ٥٤ والسبعة / ٤٣٠ .
٢٥ ـ البحر المحيط ٦/٣٣٥ .
٢٦ ـ التيسير / ١٥٥ ، واتحاف فضلاء البشر / ٣١١ ، والبحر المحيط ٦/٣٣٥ .
٢٧ ـ راجع / البحر المحيط ٦/٣٣٥ ، والقرطبي ١١/٣٢٥ .
٢٨ ـ البحر المحيط ٦/٣٣٥ .
٢٩ ـ المشكل / ٥٦ والخصائص ١/١٧٦ ومجاز القرآن ٢/٢٥٩ .
٣٠ ـ المشكل / ٥٦ وراجع : الخصائص والبحر المحيط ٨/٢٧٥ والقراءات

الشاذة / ١٥٧ .

٣١ ـ المشكل ٥٧ ـ ٥٨ .

٣٢ ـ تنظر ترجمته في : المعارف ٥٢٩ والسبعة ٧٢ ومعرفة القراء الكبار ١/٩٣ ـ ٩٩ وتاريخ التراث العربي (م / ١ ج ١ / ٣١) .

٣٣ ـ راجع : تعليقات الأستاذ صقر في حاشية / ٥٩ من المشكل ، وينظر : القرطين ٢/١٥ .

٣٤ ـ طبقات الإسنوي ٢/٤٢٥ ، وكشف الظنون ١/١٧٥ .

٣٥ ـ المشكل ٦١ ، وينظر / القراءات الشاذة ٤٦ ، والبحر المحيط ٥/١٢٣ والكشاف ٢/١٨٤ .

٣٦ ـ المشكل ٦١ وراجع : القراءات الشاذة ١٠٨ والبحر المحيط ٧/ ٤٦ والكشاف ٣/١٢٩ .

٣٧ ـ المشكل ٦١ والبحر المحيط ٤/ ٢٩٦ .

٣٨ ـ ينظر : معرفة علوم الحديث ٨٨ ، ومقدمة ابن الصلاح ٢٤٥ ، والخلاصة ٦٢ والباعث الحثيث : ١٦٧ وتدريب الراوي ٢/١٨٤ .

٣٩ ـ لسان العرب ١/٦٤٠ وتاج العروس ١/٤٨ وأساس البلاغة ٤٤٧ وغريب الحديث ١/٢٢ .

٤٠ ـ الخلاصة ٣٠ وتدريب الراوي ٢/١٨٤ .

٤١ ـ الباعث الحثيث : ١٦٧ .

٤٢ ـ تدريب الراوي ٢/١٨٤ والخلاصة ٦٢ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/٢٢ .

٤٣ ـ تدريب الراوي ٢/١٨٤ .

٤٤ ـ غريب ابن قتيبة ١/٢٣ .

٤٥ ـ ينظر : غريب ابن قتيبة ١/٢٢ .

٤٦ ـ الأحكام في أصول الاحكام ١/٩٧ .

٤٧ ـ الفائق ١/١١ وغريب ابن قتيبة ١/٢٧ .

٤٨ ـ غريب الحديث ١/٣٦ و ١٤٧ ـ ١٤٨ .

٤٩ ـ غريب الحديث ١/٣٧ و ١٤٧ .

٥٠ ـ ينظر : ج١ / ٤٩ ـ ٧٢ (المقدمة) .

٥١ ـ اصلاح الغلط : ٤١ ـ ٤٢ .

٥٢ ـ الصاحبي : ١٩٩ ـ ٢٠٠ (طبعة بيروت) .

٥٣ ـ ينظر : غريب ابن قتيبة ١/٧٣ والأضداد ٩٢، ٩٤ ، والزاهر ٢/٦٧ ، ٦٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

٥٤ ـ تهذيب اللغة ١/٣٠ ـ ٣١ .

٥٥ ـ طبع الجزء الأول منه فقط ، وفيه شيء من نقوله ، وكذلك القسم المخطوط .

٥٦ ـ المعرب : ٤٨ و٦٣ و٢٢١ .

٥٧ ـ ينظر : غريب ابن قتيبة ١/٨٢ ـ ٨٦ .

٥٨ ـ لسان العرب ، مادة (ج / ذ / م) .

٥٩ ـ اصلاح الغلط ١٦ والصلة ٣٨٢ والفوات ٢/١٩ .

٦٠ ـ ترتيب المدارك ٣/٣٥٦ .

٦١ ـ الزاهر ٢/٢٩ ، ٣٠١ ـ ٣٠٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٣ ، وغريب الحديث ١/٥٠ والأضداد (فهرس الأعلام) .

٦٢ ـ اصلاح الغلط : ١٧ .

٦٣ ـ فهرس ابن خير ١٩٥ .

٦٤ ـ غريب الحديث ١/٧٨ .

٦٥ ـ غريب الحديث ج ١ / ٧٨ .

٦٦ ـ الزبيدي / طبقات النحويين ١٠٠ .

٦٧ ـ الأزهري / مقدمة تهذيب اللغة ١/٢٢ .

٦٨ ـ تهذيب اللغة ١/٢٢ .

٦٩ ـ ينظر : المشكل (فهرس الأعلام) وأدب الكاتب ، ٤٥٨ .

٧٠ ـ طبقات النحويين ١٠٦ .

٧١ ـ طبقات النحويين ١٠٠ .

٧٢ ـ طبقات النحويين ١٠٦ .

٧٣ ـ طبقات النحويين ١٠٥ .

٧٤ ـ راجع عنه : الزبيدي ، طبقات النحويين ١٠٣ ونزهة الألباء / ١٥٢ ـ ١٥٤

(طبعة / السامرائي ، بيروت) وفيه مراجع كثيرة عرضت لترجمته .

٧٥ ـ تنظر ترجمته في : طبقات النحويين ١٠٦ ، ونزهة الألباء ١٥٧ ، وانباه الرواة ١٦٦/١ ومراتب النحويين ٧٥ .

٧٦ ـ طبقات النحويين ٢٠٠ .

٧٧ ـ ينظر : أدب الكاتب / ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، ٤٠٠ ـ ٤٠٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٠ ، والمشكل (فهرس الأعلام ٦٣٩ ـ ٦٤٠) .

٧٨ ـ الدرس النحوي في بغداد ٢٠٢ ، وراجع : ٢٠٤ .

٧٩ ـ مراتب النحويين ٨٤ ـ ٨٥ .

٨٠ ـ شرح أدب الكاتب (الورقة ٤١ نسخة المتحف البريطاني) .

٨١ ـ تهذيب اللغة ج ١ / ٣١ .

٨٢ ـ راجع : تهذيب اللغة ٣١/١ ، ونزهة الألباء ١٩٨ ، ولسان الميزان ٣٥٧/٣ ، وغريب الحديث ١ / ٥٠ .

٨٣ ـ نزهة الألباء ١٩٨ وتاريخ بغداد ١٨٤/٣ وإنباه الرواة ٢٠٤/٣ .

٨٤ ـ نزهة الألباء ١٩٧ .

٨٥ ـ راجع : اصلاح الغلط لابن قتيبة (ط / الجبوري ، بيروت ، ١٩٨٢م) ص : ١٧ .

٨٦ ـ راجع : الزاهر ج ٢ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩ و ٤٠٢ و الصفحات : ٦٧ ، ٦٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ـ ٣١٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ .

٨٧ ـ الزاهر ٣٨٨/٢ .

٨٨ ـ جاء في : نزهة الألباء ١٩٨ : ومن كتبه (أي الأنباري) : المشكل وغريب الحديث . . أقول : المشكل نقد فيه ابن قتيبة ، وغريب الحديث له ، كما تناوله فيه فنقد كتابه / غريب الحديث أيضاً . . وراجع أيضاً : الزاهر ٢٤/١ « المقدمة » .

٨٩ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٨٤ والدرس النحوي في بغداد لمهدي المخزومي : ٢٠٤ و٢٣٢ .

٩٠ ـ الدرس النحوي / ٢٣٢ .

٩١ ـ ورد عند زلهايم (أول ممثّل لمدرسة بغداد العلمية) ـ راجع : الأمثال العربية ١٦٥ .

٩٢ ـ راجع : المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، والدرس النحوي في بغداد ؛ ٥٢ ، ١٨٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ .

٩٣ ـ الفهرست / ٨٦ .

٩٤ ـ مراتب النحويين : ٨٤ ـ ٨٥ .

٩٥ ـ راجع الحسيني / ابن قتيبة ٨٣ .

٩٦ ـ الدرس النحوي في بغداد ١٨٦ .

٩٧ ـ راجع : بروكلمان ٢/٢٢١ ، وضحىٰ الاسلام ٢/٢٩٨ (ط / ٢) ومقدمة / الميسر ١٤ والأمثال العربية القديمة / زلهايم ١٦٥ .

٩٨ ـ الدرس النحوي في بغداد : ١٨٨ ، وتاريخ الأدب العربي / بروكلمان ٢ / ٢٢١ .

٩٩ ـ ضحىٰ الاسلام ٢/٢٩٨ ، وأبو زكريا الفراء للدكتور أحمد مكي الأنصاري ٣٦٤ ، والمدارس النحوية / لشوقي ضيف ٢٤٥ .

١٠٠ ـ الدرس النحوي في بغداد ٢٤٣ .

١٠١ ـ راجع : مجالس العلماء ، والإنصاف في مسائل الخلاف .

١٠٢ ـ أدب الكاتب ٤٧٩ ، ٤٨٢ .

١٠٣ ـ أدب الكاتب ٢٨٠ .

١٠٤ ـ الحسيني / ابن قتيبة ٨٥ والدرس النحوي في بغداد ٢٤٣ .

١٠٥ ـ أدب الكاتب ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

١٠٦ ـ محمد زغلول سلام ، في كتابه / ابن قتيبة ص : ٥٦ وراجع : الحسيني / ابن قتيبة ٨٦ ومقدمة / المشكل ٨٧ .

١٠٧ ـ أدب الكاتب ٤٨٢ وراجع ص : ٤٥٨ (في القياس) و ص : ٤٦٨ (في شواذ التصريف) و ٣٨٢ .

١٠٨ ـ راجع : نزهة الألباء ١٥٩ و / ١٥٣ .

١٠٩ ـ نزهة الألباء ١٥٩ و١٥٣ .

١١٠ - غريب الحديث (تحقيق الجبوري) ج ٣ / ٩٠٨ - ٩٤١ (فهرس الأعلام).

وراجع: تأويل مشكل القرآن (فهرس الأعلام ٦٠٧ - ٦٤٢).

١١١ - راجع: همع الهوامع ٢ / ١٩.

١١٢ - الكتاب ٢ / ٢ وراجع: المصطلح النحوي، / عوض حمد القوزي، الرياض ١٤٠١ هـ ص / ١٦٦.

١١٣ - مقدمة / ما تلحن فيه العوام ص / ٢٣.

١١٤ - راجع: لحن العامة، والتطور اللغوي: ١٦٥، وكتاب / لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٥٧ - ٧٠، والمعجم العربي ١ / ٩٦

١١٥ - الخصائص ٣ / ٢٤٥.

١١٦ - العربية / يوهان فك ١٠ / ١٢ / ٢٤٥.

١١٧ - الزبيدي / لحن العامة: ٤ (ط / رمضان عبد التواب).

١١٨ - لحن العامة / د. مطر ٣٠ و ١٩.

١١٩ - لحن العامة: ١٩.

١٢٠ - مقاييس اللغة ٥ / ٢٣٩ والموصل (ق ٣٢٠ - ب).

١٢١ - الزبيدي / لحن العامة ٧ ومقدمة المحقق / ٣٧.

١٢٢ - لحن العامة الزبيدي: ٣ - ٤ (المقدمة).

١٢٣ - راجع عنه: الدكتور أحمد مكي الأنصاري / أبو زكريا الفراء ص ١٧٠.

١٢٤ - معجم الأدباء ٦ / ٨١ وبغية الوعاة ٢ / ٢١٨.

١٢٥ - الفهرست ٧٤ وياقوت ٧ / ١٧٠، بغية الوعاة ٢ / ٢٩٧.

١٢٦ - ياقوت ٦ / ١٩٩ وراجع: نزهة الألباء ١٩٢.

١٢٧ - الفهرست ٨٤ وياقوت ٦ / ٢٧٩.

١٢٨ - الفهرست ٧٥.

١٢٩ - ياقوت ٦ / ٤١٧.

١٣٠ - ابن خلكان ٢ / ٢٣٣.

١٣١ - ياقوت ١ / ٦٢.

١٣٢ - راجع / ابن درستويه ص: ٧٤ - ٧٦.

١٣٣ ـ طبع مرتين قبل هذه الطبعة .

١٣٤ ـ قصدت في هذا الثبت على الكتب المؤلفة في / صناعة الكتاب ، وأبعدت عنها الكتب التي اختصت بالخط وماإليه .

١٣٥ ـ ابن خلدون / المقدمة : ٦٤٧ .

١٣٦ ـ دراسة في مؤلفات ابن قتيبة .

١٣٧ ـ ابن أبي أصيبعة / طبقات الأطباء / ٦٨٤ .

١٣٨ ـ راجع : المعجم العربي ١/١٠٢ ، وابن درستويه ١٤٥ .

١٣٩ ـ ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي ، / رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٧٧م ، وبخاصة : ١٥٦ ـ ١٦٢ .

١٤٠ ـ نشره بالطبع الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، وهي طبعة متقنة موثقة .

١٤١ ـ ابن خلكان ٣/٤٣ .

١٤٢ ـ المصدر نفسه .

١٤٣ ـ هذا في طبعة واحدة ، مثلاً / طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ .

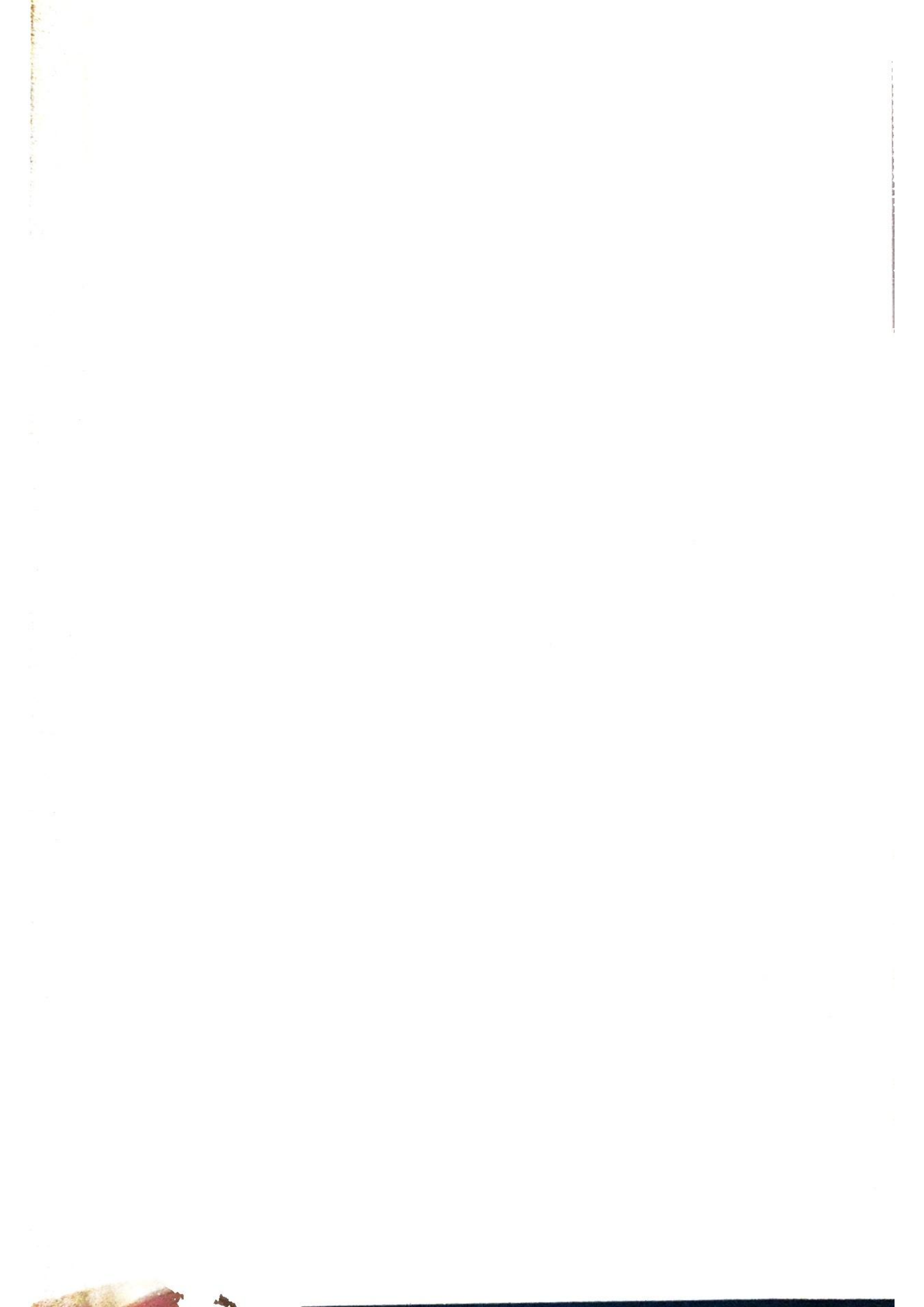
١٤٤ ـ الحسيني / ابن قتيبة : ٦٧ و٦٩ .

١٤٥ ـ يميل ناشره الى ان تعريضه بوجه نحو : ابن قتيبة ص / ٢٠ ـ الهامش ولم أجد دليلاً يؤيد ذلك .

١٤٦ ـ الكتاب ١٥ ـ ١٦ .

١٤٧ ـ ينظر : ابن درستويه ١١٧ و١٢٣ .

١٤٨ ـ مجلة (الهلال ، السنة الثامنة والعشرون / ج ١ ـ ٢ ص ٤٩ ، ١٩١٩م) .



الفصل الخامس

ابن قتيبة والشعوبية



ابن قتيبة والشعوبيّة

(١)

من المعروف أن حركات سياسية هدّامة ، ظهرت في المجتمع الإسلامي في مطالع الحكم الأموي ، وقصدها التخريب وغرس الدمار في بنية المجتمع ، تمهيداً للانقضاض عليه ومدافعة سلطانه العربي ، وذلك : لأنها وجدت في الدين الإسلامي ثورة قوّضت صياصي عروش ملوك فارس ، وثلّت أركان الطغيان القيصري .

ومن هذه الحركات اللئيمة ، حركة الشعوبية ، وهي كما اصطلح عليها الدارسون : حركة فارسية عنصرية ذهبت الىٰ محاربة الدين الجديد من خلال توهين السلطان العربي الذي هو عضْبٌ أخيذ في صحائف الفتوح والتحرير . . لذلك راحت تعمل علىٰ[1] ، « تصغير شأن العرب » .

وسمّوا بذلك : لدعواهم بالانتصار للشعوب التي هي مغايرة « للقومية » . . وذلك[2] بفرط حسدها وحقدها المستكن ونَغَل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة » .

ومن العجب أن أخبث أفاعيل هذه الحركة هو ماكان يتعاهدها (العنصر الفارسي ـ المجوسي) ، وتسترها بالدين ؟ . .

لذلك يتلمس الباحث آثار هذا الحقد الشعوبي عند « جماعة من علماء العجم وكتابهم ، جعلوا همهم محاربة العقيدة التي تثبت التفوق المطلق للعرب ، متوسلين الىٰ ذلك بالإشارة بفضائل شعوب الحضارة القديمة ، وماتميزت به من علوم وفنون وعمارة ، الىٰ جانب تقهقر عرب

الجاهلية . . وماأثر عنهم من الغلظة . . والبعد عن مقومات الحضارة والمدنية . .

وهذا القول ـ علىٰ مافي بعضه من مجافاة[٣] لمنطق الحقيقة ـ يفصح عن سر انغماس جمهرة من هؤلاء (العلماء والكتّاب) في تشويه الوجه المشرق للعبقرية العربية وذلك بنشرها المطاعن وتوزيعها المشاتم في شوارق المجد العربي . ومنهم جمهرة غادرة تولّت تلفيق الأخبار وتصيد الحكايات المبهرجة في لفائف سود ، دعوها بكتب التاريخ أو الأدب ، زوراً وبهتاناً .

ومنهم من سلك طرائق الفقه ، وولج محاريب التفسير وأقداس السنّة المطهّرة ، لدس سمومها من خلل هذه المعارف الشرعيّة المقدسة .

ولعل الدارس يروز أخبار المجّان وأهل الخلاعة وطلاب الإباحيّة من الأدباء والشعراء الذين أظلتهم الحضارة العربية في العصور العباسيّة ، فهم قد أيقنوا أن أحابيل الشيطان الشعوبي تترامىٰ في بهارج كلام هؤلاء . . وهذا مايفسّر كثرة الخلّاع وأرباب المجانات من شعراء العصر العباسية ، ومن الثابت أيضاً أن عيصهم يرجع الىٰ « مزدك » . . اللهم إلاّ قلّة قليلة منهم كانوا من أصول (عربية) أو رومية ، أو أدعياء . . !

وإليك أنموذجات من شعراء المجد القومي ، صناع التاريخ الثقافي والأدبي للعرب ، هم من العرب صليبة ، أمثال : أبي تمام ، البحتري ، المتنبي ، وغيرهم . .

ثم عليك أن تتفحص كلام الآخرين من رواية الأخبار وتعاطي علم اللغة سبيلاً الىٰ بلوغ مقاصدهم ، ونوال مآربهم ، ومنهم كوكبة نابهة آمنت بفضل العرب والعربية ، فكتبت بصدق الإيمان ، ونافحت عن حياض العرب والعربية ، نزوعاً منها الىٰ أن هذا الصنيع نوع عبادة خالصة ، وضرب من ضروب النسك في خدمة الدين الإسلامي .

لذلك لم يكن في هذه الشعوبية من هو « أرسخ عداوة ، ولا أشد نصباً للعرب ، من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرىٰ »[٤] .

أمّا أهل الديانة الحقّة « وأرباب الشرف ، فيعرفون مالهم وماعليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً » .

ومـاأصدق قولة بديع[٥] الزمان الهمداني فيهم حينما قال : « لاأدري أحداً يفضل العجم علىٰ العرب إلاّ وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه » .

وتأسيساً علىٰ هذه النصوص ، تكون الشعوبية التي تزعم الديانة ـ كذباً وزوراً ـ منافقة ، ركبها شيطان الجَنَف صلفاً وغروراً . . والحديث النبوي الشريف يقول[٦] : « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » .

« ومن أتعبَ قلباً وأنصب فكراً ممن أراد أن يجعل الحسنة سيئة ، والمنقبة مثلبة ، ويحتاج لإخراج الباطل في صورة الحق ، فيقصد من المناقب . . »[٧] .

وتتفق كلمة الباطل علىٰ هدم ماآبتناه الحق ، فتنق ضفادع الشعوبية في ظلمائها ، تجاوبها نعقات غرابيب سود ، وتتفصد عروق

زرق بالذُعاف ، حقداً علىٰ فتيان المكارم الذين مـلأوا الأرض عدلاً ونُصَفة ، بعد أن غمرها طوفان المظالم ، فعدت خيولهم شرقاً وغرباً ، تسيـل بأعنـاق مطيّهم البـطاح ، وتُزْوىٰ بعـزمهم الآفـاق ، فعبـروا البحـار ، وتشامخـوا علىٰ قمم الشـواهق ، وفي عَذَبـات تيجـانهم أرَجُ الإيمان ، مدافاً بنفحات الحق والعدل . . هؤلاء جند الفتـح ، حملة رايات الرسالة السماوية الىٰ بني الأرض . . تزهو قلوبهم بنور الوحي ، مشرقة قسماتهم بالعزم . .

فمن آمن بالدين الجديد ، صدقاً وحقاً ، أحبّهم وأجلَّ عظيم قدرهم ، عرفاناً بالفضل والسَّابقة ، ومن ران الكفر علىٰ قلبه ، فأسلم لسانه وبقي جنانه كافراً ، طوىٰ كشحيه ترات علىٰ بغضهم .

ومن شواهد صدق الإيمان عند أمم الأرض من غير ـ الفرس ـ التي تفيض بها مهارق الآثار قديماً وحديثاً ، إجلالهم للعرب وحنّوهم علىٰ مآثرهم ، فعرفوا مالهم وماعليهم . .

معترفين لهم بالتقدمة والسابقة وشرف النسب . .

غير أن هذه الفتنة الضالة الذين دخلوا في الإسلام بحدّ الظُّبا والأسنَّـة ، أضمروا الشـرك الحاقـد ، وأعلنوا الـطاعة ، لـذا بقيت حزازات نفوسهم كما هي ، يتعاهدها رسيس من (مجد مزدك) ، وكأن شـروق (الشمس) يَزيـد من تـذكـارهم (لنـارهم) التي أخمـدهـا الإسلام ، فيشب لُهاب التِّرات ويشتد نغَلُ الصدور ، متخـذين من شعار الانتصار للشعوب براقع هباء .

ولأجل هذا ، جمعـوا أمرهم عـلىٰ تمزيق رايـة السلطان العربي

المؤمن ، وذلك في مطالع العصر الأموي الذي تكاملت فيه الفتوحات ، وفي ظلّه امتدت أشعة الإسلام في أرجاء قصيّة من الأرض .

فأنشأوا[٨] (الجمعيات السريّة) وعملوا على نشر الفتن وإذاعة الأباطيل لإيغار القلوب على العرب . . وأعانوا أهل الأهواء على ضلالهم المتسعر . وقد مرَّ بك ـ قبل قليل ـ خبر وضع (المثالب والمناقب) في ذلك الزمن المبكّر . .

وماذرَّ قرن الحكم العباسيّ الأول ، إلاّ وتجد لهذه (الحركة) كلمة موحّدة ، وشوكة ثابتة قويّة ، أقلّتها أرض (فارس) ثم أظلّتها سماء العراق . . وكان عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) يكتب لأمراء الجيوش أن لايجلبوا الى المدينة غلاماً من العلوج (العجم) دفعاً لوقوع الوباء الشعوبي في جزيرة العرب[٩] . . (فما تم له شيء حتى اغتاله أبولؤلؤة / المجوسي الفارسي / غلام المغيرة بن شعبة) .

وقد أفادت الحركة الشعوبية من (الدعوة العباسيّة) كثيراً ، وجعلت لها يداً ومنّةً عليها ، حيث انفسح المجال أمام العنصر الفارسي ، فدخلوا في كثير من أمور الحكم ، فأصهروا الى العرب ، ونكح العرب نساءهم . . فنسل جيلٌ مهجن غذاه (الدم الفارسي) فكان كثيراً من الأدباء والشعراء من هؤلاء . . وتسلّم كثير منهم دست الوزارة والإمارة ، فكانوا أشبه بالأفعى يضمّها الغافل في طيّات ثيابه . . لذلك كان منطلقهم « شبه انفجار بركاني من أفئدة الفرس »[١٠] .

فتمكن نفر من أدباء هذه الحركة أن يرفع كلمته مفاخراً بقومه (الفرس) متنقصاً من العرب . .

ومن هؤلاء : بشار بن برد (الفارسي المقتول في سنة ١٦٧ هـ) ، وابن الرومي ، ومهيار الديلمي . . وغيرهم . . وقد استظلت الحركة الشعوبية (الأدباء والشعراء وعلماء اللغة منهم) بالظل الفارسي الذي وجد له مثابة في الدولة العباسية ، أمثال : البرامكة ، وبني ماهان ، وبني خاقان ، وبني سهل ، وكان من هؤلاء القادة والوزراء وعيون الدولة ، والقَوَمَة علىٰ كتابة الدواوين . .

بل ، تجاوز أمر هؤلاء حد (السياسة) كما يقول المؤرخ المسعودي[١١] ، فطنعوا بالعرب جهاراً ، ومنهم رئيس الجيش في خلافة المعتصم بالله ، المعروف بالافشين التركي (ت ـ ٢٢٦ هـ) الذي صرَّح بقوله[١٢] : « إذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبّوس » .

ومثله ابن غرسيه (جارسيا ، أي[١٣] : الماكر أو ذو الحيلة) الذي قال[١٤] : « فلا فخر معشر العُربان ، الغِربان بالقديم المغري للأديم . . » .

كما يؤثر عن إسماعيل بن يسار (الفارسي المتوفىٰ سنة / ١١٠ هـ) قوله :

رب خال متوّج لي وعم ماجد مجتدىً كريم النصاب

إنما سمّي الفوارس بالفُرْ س مضاهاة رفعة الأنساب

فـاتـركـي الـفـخـر يـا أمـام عـلـيـنـا
واتـركـي الجـور وانـطـقـي بـالـصـواب
وسـألي إن جـهـلـت عـنـا وعـنـكـم
كـيـف كـنـا في سـالـف الاحـقـاب
إذ نـربّي بـنـاتـنـا وتـدسُّـو
ن سـفـاهـاً بـنـاتـكـم في الـتـراب[١٥]

وقد جرّأ هذا الشاعر أمثاله من الهالكين ممن عاصره أو جاء من بعده على ذم العرب ومشاتمتهم والطعن عليهم ، كما نجد أخبارهم في دراسة رائدة نهد بها باحث[١٦] عصري .

وفي منابت (الفكر الشعوبي) استزرع أهل الزندقة والباطنية أباطيلهم وضلالاتهم .

حيث نبتت الزندقة[١٧] ، وأشباهها ونظائرها من (الحركات الهدّامة) في ترابة الشعوبية . . ومنها افترعت الفرق الغالية في الإسلام منذ قيامها حتى أيام الناس[١٨] هذه . .

وهذا أمر ـ حق ـ عندهم ، إذ أن اتفاق (التعاليم الزرادشتية) التي هي من (قذر اليهودية) يبقى رسيسها متسعّراً في القلوب ، فهم يتوسلون بكل ماأتيح لهم من سبل لتحقيق مطالبهم : « ثم اعلم انك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولاأعدى على دينه ، ولاأشد

استهلاكاً لعرضه ، ولا أطول نصباً ، ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة ، وقد شفىٰ الصدور منهم طول جثوم الجسد علىٰ أكبادهم ، وتوقّد نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الغائرة ، وتسعّر تلك النيران المضطرمة . . »[19] .

لذلك ، كان يرىٰ الجاحظ ، أن الزنديق (ثنوياً فارسياً) يكون في بداية حاله شعوبياً ينصب العرب ، ثم يطعن في الدين الاسلامي ، لكونه جاء علىٰ يد العرب[20] .

إذن ، فالشعوبية تحارب الاسلام أولاً وآخراً ، وعليه فإنَّ من الفروض الشرعية محاربة الشعوبية[21] .

- ٢ -

إن حركة الشعوبية التي نبتت في أحضان المجوسية ، وجهدت للنَّيل من العرب والعمل علىٰ تقويض السلطان العربي ، ومحاولة زرع الفتن في المجتمعات التي تستظل بظلال حكمه ، تصدّىٰ لها أدباء وعلماء ، ومنهم فقهاء ، ومحدّثون ، وشعراء . . وكان ينزع هؤلاء عن حبهم للعرب من وحي إيمانهم بفضل العرب والعربية ، لأن رسول الله محمد (ﷺ) من العرب ، ومنهم الصحابة ، وهم حملة راية الإسلام ، وأحبوا العربية لأنها لغة الوحي ، وبها نزل القرآن الكريم .

ثم إن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم من أمة العرب ، لذلك توفر جمهور من المؤلفين علىٰ وضع رسائل وكتب في فضل العرب والحث علىٰ حبهم . . كما طفق آخرون علىٰ جمع ماورد في السُّنَّة المطهرة في العرب والعربية .

لذلك ، أحاول - هنا - ذكر ماوقفت عليه من أسماء كتب هؤلاء

ـ علىٰ سبيل المثال ـ لا الحصر .

* * *

وهذا اللون الذي تعاناه أهل الغيرة والفضل من العلماء ، يطلق عليه اسم : نقض المثالب ، . . . والمثالب هو المعنىٰ الذي يقابل (الشعوبية) . . لأن الذين كتبوا فيها ، كانوا يطلقون عليها اسم « مثالب العرب » ، فقد ذكر المؤرخون أن أوائل من كتب في (المثالب) هو : زياد بن أبيه (سفيان) . . وذلك[٢٢] : « حين كثر طعن الناس عليه وعلىٰ معاوية في استحقاقه عَمِل كتاباً في المثالب لولده وقال : من عيّركم فقرعوه بمنقصته ، ومن ندَّد عليكم فأبدعوه بمثلبته ، فإن الشر بالشر يتقىٰ ، والحديد بالحديد يفلح » .

ثم جاء أبوعبيدة[٢٣] معمر بن المثنىٰ (ت ـ ٢١٠ هـ) فأغرىٰ « الناس بمشاتم الناس ، وألهجهم بمثالب العرب ، وحاله في نسبه وأبيه الأقرب اليه حال نكره أن نذكرها » .

وهذه الحال التي يشير الىٰ كره ذكرها ابن قتيبة ، أن (المثنىٰ) والد أبي عبيدة كان يهودياً فارسياً فأسلم علىٰ يد أحد رجالات العرب من (تيم) فنسب اليه ، فهذا الرجل علىٰ جلال قدره وعظم مكانه في تاريخ الدراسات العربية وفي علوم القرآن وأخبار العرب ، كان هذا مذهبه في (مثالب العرب) .

و (مثالب) أبي عبيدة الذي وصفه المؤرخ المسعودي[٢٤] بقوله : « يذكر فيه أنساب العرب وفسادها ، ويرميهم بما ليس من السياسة

[الأدب] ذكره ولايحسن وصفه » .

كان في أصوله كتاب[٢٥] (حلبة المثالب) لهيثم بن عدي (ت - ٢٠٧ هـ) أخذه وزاد فيه (لأن أصله يهودياً من فارس) . .

وتشفياً لحقده الدفين على العرب ، فانه كان ينسب كل محمدة أو قول يجدها في أخبار العرب ، الى الفرس ويذهب إلى أن العرب قلّدوا الفرس بها[٢٦] .

واليه يرجع أصل ماتناثر في كتب الأخبار والتاريخ العربي من وجوه الخلاف والمشاتمة والمطاعن عند القبائل العربية في جاهليتها ، وعنه أخذ غير واحد من أهل التاريخ . . كل ذلك ليجعل نائرة الحقد متسعّرة في النفوس ، وأوار الضغائن متوقداً تمكيناً لأسباب الفتن والعداوات من البقاء . . ومأأصدق هذا القول النبوي : « العِرْق دسّاس . . » .

وذكروا أن له كتاباً في (مثالب العرب) أو في (مثالب باهلة)[٢٧] .

ولما مات لم يشهد جنازته أحد من أهل البصرة كرهاً منهم لما قدم من (مثالب العرب) أو[٢٨] « لأنه لم يكن يسلم من لسانه شريف ولاغيره » .

ولم يصل الينا شيء من أخبار شعوبيته عبر ماوصل من كتبه ، سوى بعض نقول عن كتابه « مثالب العرب » كما ورد عند ياقوت الحموي في « معجم الأدباء ٦ / ٢١٩ » وعبدالقادر البغدادي في « خزانة الأدب ٢ / ٢٢٢ و٥١٩ » وأبي علي القالي البغدادي في « الأمالي

٣/١٩٤ » .

وذكر الصلاح الصفدي في (الغيث المسجم) فصلاً في الذين رزقوا أشياء عرفت بهم ، فذكر منهم أبا عبيدة في الشعوبية .

وأبـوعبيدة ممن يحتـج بقولـه في القـرآن ، ومن علماء العـربيـة الكبار ، لكنه كان[٢٩] « يبغض العرب ، وألّف في مثالبهم كتاباً » .

وكان ابن الكلبي[٣٠] هشام بن محمد (ت ـ ٢٠٦ هـ علىٰ رواية) قد صنع مثل صنيع أبي عبيدة ، فجمع كتاباً في (مثالب العرب) .

وللأستاذ محمد بهجة[٣١] الأثري كتاب في نقضه ، وهو بعنوان « الـرد علىٰ الشعـوبية ونقض مثـالب العـرب لابن الكلبي » مـازال مخطوطاً .

كما كتب الهيثم بن عدي (ت ـ ٢٠٧ هـ علىٰ رواية) كتاباً في مثالب العرب ، وهو مخطوط مع كتاب ابن الكلبي في[٣٢] مجموع كان عند المستشرق (كرنكور سالم الكرنكوي ت ـ ١٩٥٣ م) .

ولعلان[٣٣] بن الحسن الشعوبي الفارسي كتاب « حلبة المثالب » وكـان عـلان يعمـل ورّاقـاً في « دار الحكمـة » ببغـداد ، ويقـال أن طاهر[٣٤] بن الحسين الفارسي / الخزاعي ولاء (ت ـ ٢٠٧ هـ) وزير المأمون وصله عليه بثلاثين ألف .

وعمل يونس بن هارون كتاباً لملك الروم ، جمع فيه (مثـالب العرب) وعيوب الاسلام بزعمه[٣٥] .

وكان هذا زنديقاً ثنوياً مثل صاحبه / علان الشعوبي ، وأمثالهما من الزنادقة :

حماد عجرد (ت ـ ١٦١ هـ علىٰ رواية) وحماد الراوية (ت ـ ١٥٥ هـ) ، وعمارة بن حربية ، ويونس وغيرهم[٣٦] .

ويقال إن كتاب (المثالب والمناقب) الذي وضعه النضر بن شميل الحميري وخالد بن سلمة المخزومي ، وكانا « أنسب أهل زمانهما ، أمرهما هشام بن عبدالملك أن بيّنا مثالب العرب ومناقبها . وقال لهما ولمن انضم اليهما : دعوا قريشاً بما لها وماعليها ، فليس لقرشي في ذلك الكتاب ذكر »[٣٧] .

ثم تواصل هذا الحقد الشعوبي (لاوصل الله أهله) وطاف في المغرب بعد أن رنّق في المشرق . . فنجم في سماء الأندلس ومْضٌ منه ، (والكفر مِلّة واحدة) . . حيث ذاع صيت أديب دعيّ ، هو أبوعامر / ابن غَرسية (جارسيا Garcia) الذي كان « من عجائب دهره ، وغرائب عصره[٣٨] » كما نعته علي بن سعيد (ت ـ ٦٨٥ هـ) في كتابه « المغرب » .

وانحدر من أصل[٣٩] رومي ، ونشأ في كنف أحد الموالي ، لذلك كان يعبّر بأنه « مولىٰ مولىٰ » وكان من الأدباء ، له شعر وتمكن من العربية ، إلاّ أنه كان « شعوبياً يفضل العجم علىٰ العرب » كما قال شمس الدين الذهبي .

ورسالته الشعوبية هذه ، ضمها الأستاذ عبدالسلام محمد هارون الىٰ مجموع رسائل نوادر ضمن كتاب « نوادر المخطوطات / المجموعة الثالثة ؛ ٢٤٦ ـ ٢٥٤ ومهَّد لها بدراسة (٢٢٩ ـ ٢٤٥) . .

وتصدىٰ للرد عليه أدباء من عصرييه ، وردودهم هذه في (نوادر

المخطوطات أيضاً / المجموعة الثالثة : ٢٥٦ - ٣٣٠) وأصحاب الردود هم :

١ - أبو يحيىٰ بن مسعدة ، وله ردّان (ص ٢٣٧) .

٢ - أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسي .

٣ - أبو الطّيب بن من الله القروي (ت - ٤٩٢ هـ) .

وعنوان رسالته : « حديقة البلاغة ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الاسلامية ، والرد علىٰ ابن غرسيه فيما ادعاه للأمم العجمية » .

كما رد عليه أدباء آخرون ، ولكن لم تصل الينا نصوص ماكتبوا[٤٠] .

وقد حفظت كتب الطبقات ومعاجم الكتب أسماء الكتب التي دافع أصحابها عن العرب ، وردّوا مطاعن الشعوبيين عليهم .. ومن هذه الكتب :

١ - فضل العرب ،

أبو العباس ، عبدالله بن جعفر الحميري .

٢ - فضل العرب[٤١] ،

علي بن بلال المهلّبي .

٣ - مسبوك الذهب في فضل العرب[٤٢] .

مرعي بن يوسف المقدسي (ت - ١٠٣٣ هـ) .

٤ - رسالة في فضل العرب .

٥ - غاية الطلب في إثبات كفْر مبغض العرب بغير سبب .

علي بن زايد الرشيدي (ت - ١١٧٠ هـ) . وهو مخطوط[٤٣] .

٦ - القرب في فضل[٤٤] العرب .

للحافظ المحدّث عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن الكردي الرازناني (٧٢٥ - ٧٩١ هـ) . .

وهذا الأثر من أهم ماكتب في موضعه ، وذلك لأن مؤلفه وهو (المحدّث الحافظ) جمع فيه الأحاديث النبوية التي تحث علىٰ حب العرب ، وعمد الىٰ تخريجها وبيان درجتها من حيث القوة والضعف . .

وهو مطبوع مشهور . . جدير بالنشر مرات أخرىٰ . .

٧ - القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل .

علي بن طاهر الحداد ، طبع في / سنغافورة ١٣٤٢ هـ (ج ١ ص : ٥٠٠) . .

٨ - أقرب القرب في حب العرب ،

للشيخ المرحوم محمد صالح السهروردي (ت - ١٩٥٧م) مخطوط في خزانة أسرة المؤلف في بغداد .

٩ - العرب في الكتاب والسنّة والتاريخ

جاسم الكلكاوي الكربلائي . . مطبوع[٤٥] .

١٠ - الإمام محمود شكري الألوسي البغدادي (ت - ١٩٢٣ م - ١٣٤٣ هـ) وكتب كتابه العظيم[٤٦] (بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب) وهو سفر جليل تكفل بالحديث عن فضل العرب ، وفيه فصل جليل بعنوان : (مذهب الشعوبية في العرب وابطاله ص : ١٥٩ - ١٧٥) .

١١ ـ أبو جعفر ، محمد بن أحمد الأشعري ،

له كتابان :

١ ـ فضل العرب .

٢ ـ فضل العربية (فهرست الطوسي ١٧١) .

١٢ ـ المقتضب في حديث : أحبّو العرب .

للشيخ عبدالحيّ الكتاني المغربي ، وهو مخطوط .

(٣)

وضع ابن قتيبة رسالة نقض بها أباطيل وترهات الشعوبية ، وهذه الرسالة هي أول أثر يصدر عن عالم من علماء الاسلام ، كتبها في رد الشعوبية تصل إلينا ، ولعلها الأنموذج الفذ في الدفاع عن العرب إذا ماوازنها الدارس مع نظائرها المؤلفة بعد زمنها ، وتبقىٰ لؤلؤة برّاقة في مجال (الجهاد الفكري للعرب) .

وقد سارت عبر القرون الخوالي سير الأمثال السوائر في المنتديات والمعاهد . . وهي تعبير صادق عن الإيمان الذي توهج سناؤه في ثنيات قلب منشئها ، وعكف علىٰ درسها والإفادة منها غير واحد من أهل الفضل والأدب قديماً وحديثاً .

ومن الخير أن أزيد علىٰ ماذكرته بشأنها في (فصل / مؤلفات ابن قتيبة) ، وأقدم مالقفته من فوائد بين يدي هذا الفصل . .

فأقول :

لقد تناقل المؤرخون وأصحاب كتب الطبقات اسم الرسالة بعنوانات متنوعة ، وهي .

١ ـ ذم الحسد

٢ ـ تفضيل العرب

٣ ـ التسوية بين العرب والعجم

٤ ـ تفضيل العرب علىٰ العجم

٥ ـ فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها .

٦ ـ العرب أو الرد علىٰ الشعوبية . . كما ارتضىٰ الأستاذ محمد كرد علي (رسائل البلغاء / ٢٦٩) عنواناً لها . .

ونشرت في مجلة « المقتبس (م ٢ ج ٤ / ٦٥٧ ومابعدها) ثم أعيد نشرها في (رسائل البلغاء) .

والنص المنشور منها جزء من الأصل ، وفي دار الكتب المصرية نسختان واحدة كتبت في سنة / ٢٨٣ هـ (١٨٦٤ ـ أدب) فيها نقص منها . وتضم (المجلد الثاني كاملاً وصفحات قليلة من الأول مع كثير من العيوب) وفي خزانة[٤٧] الدكتور إسحاق موسىٰ الحسيني نسخة تامة مع زيادات جمعت من مظان أخرىٰ . أما المؤلّف فقد ذكرها بعنوان : « فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها » .

ولعلها هي التي وردت في بعض الأثبات عند من ذكرها بعنوان : « التنبيه » .

قال ابن قتيبة[٤٨] : « والشعوبية تعيب العرب بالفَصْد والمجدوع والعلهـز والفظ والقد والحيـات . . وهذه أشيـاء كانـوا يفعلونها عند الضرورات وفي الأسفار والمجاعات . . وكذلك الحيّات ، إنما يأكلها نازلة القفار والفَلوات من الفقر أو من لايجد حيلة ، وإنما كان يكون هذا

عيباً لو كانت العرب مختارة له في حال الغنىٰ واليسر . وكانت تمدحه وتحمد آكليه . وقد ذكرت هذا وأشباهه في كتاب (فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها) واحتججت عنها بما فيه كفاية إن شاء الله » .

وكذلك أشار اليه في كتابيه « عيون الأخبار ج٢ / ١٨٥ » باسم « كتاب العرب » .

و « الشعر والشعراء ١ / ١١و٤٧ » باسم « كتاب العرب » أيضاً .

وعلىٰ هذا ، فان اسم هذه الرسالة هو : فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها ، وأورد ذكرها المؤلف باسم (العرب) حباً بالإيجاز ، كما أشار الىٰ كتبه الأخرىٰ بأجزاء من أسمائها ، مثل الماعه الىٰ « تأويل مشكل القرآن » أشار اليه بعنوان « المشكل » وهكذا .

- ٤ -

تُعد رسالة (العرب) أُنموذجاً رائعاً من أنموذجات الأدب الرفيع الذي كتب في القرن الثالث الهجري ، ومن ضروب الجهاد الفكري ، فضلاً عن كونها أثراً من آثار (الجدل) .

وإني لأزعم أنها وضعت مدخلاً بين يدَيْ معارف امتدت لها كتب ابن قتيبة : الأنواء ، الاختلاف ، وربما هناك آثار تدخل في دائرة المعرفة العلمية للمؤلف . ومهما يكن من أمر ، فإنها تعطي صورة من الفن الأدبي لابن قتيبة .

إذ يمكن معرفة نمط أسلوبه البياني منها ومن ، خطبتي كتابيه :

١ ـ الشعر والشعراء .

٢ ـ أدب الكاتب .

٣ ـ كتاب / العلم ، وبعض فصول أخرىٰ من عيون الأخبار .

لأن العصر الذي عاش فيه ابن قتيبة ، كان عصر جدل وجهاد فكري ، شاعت فيه مذاهب الكلاميين والمناطقة ، وأهل الفلسفة . . وفيه ـ كما مر قبل قليل ـ عظمت قوة الشعوبية ، واشتد أمرها . . لهذا وجه ابن قتيبة جهده للدفاع عن حميّة الدين والعربية ، متخذاً أسلوب النقد العلمي ، ذا العبارة المنطقية المحدّدة .

تتألف رسالة (العرب) من محاور ، ضمّها قسمان كبيران ، هما :

١ ـ العرب وماورد فيهم ، دفاعاً وتبيان حقيقة .

٢ ـ بعض علوم العرب .

ففي القسم الأول ، تحدث ابن قتيبة عن أسباب وضع الرسالة بمقدمة طواها علىٰ ذم رذيلة الحسد ، وماورد فيه من مأثور القول ، وذلك الشعوبية نصبت العرب حسداً وحقداً .

وأمامك هذا المطلع الذي يتوجب علىٰ الدارس المكث عنده غير قليل ، فهو وحده يفسّر عميق الألم المحض الذي راح يعتصر قلب المؤلف . . « جعلنا الله وإيّاك علىٰ النعم شاكرين ، وعند المحن والبلوىٰ صابرين ، وبالقسم من عطائه راضين ، وأعاذنا من فتنة العصبيّة ، وحميّة الجاهليّة ، وتحامل الشعوبية ، فإنها بفرط الحسد ونغل

الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة ، وتلحق بها كل رذيلة ، وتغلو في القول وتسرف في الذم ، وتبهت بالكذب ، وتكابر العيان ، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف ، وتغص من النبي (ﷺ) إذا ذكر بالشَّجا ، وتطرف منه على القذى ، وتبعد من الله بقدر بعدها ممن قرب واصطفى ، وفي الإفراط الهلكة ، وفي الغلو البوار ، والحسد هو الداء العياء . . » .

بهذا المدخل الجميل يأخذنا ابن قتيبة الى عالم الأدب الرفيع ، الذي بعد عن التكلّف في الأسلوب ، وإنك تتلمس (الفن) في ثنايا حروف مؤلّفة على نَسَق أخّاذ ، لاسجع فيه ولاتعمل ، إنما هو بدَوات نفثها قلب مؤمن بالحق ، فجرى على لسانه بياناً عذباً . .

وما التأنق باللفظ[49] ، وتخيّر الآلة والأداة في الأسلوب ، والاستعانة بالصور البيانية إلاّ فيْض قريحة مهذّبة .

وعليك ان ترجع الى أبي عثمان الجاحظ[50] ، ليحدثك عن طعن الشعوبية على الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ فطعنت على قضيب النبي (ﷺ) ، وعَنزَته ، وعلى عصاه ومخصرته ، وعلى عصا موسى (عليه السلام) . . أي : أنها أرادت أن تعر كل شرف للعرب ، حتى الأنبياء وهم من العرب .

والجاحظ ممن اكتوى بنار الحقد الشعوبي ، وتعانى من شرورهم كثيراً ، وكانوا يتصيدون السوانح للوقيعة به ، وله معهم جولات ، عرفنا منها ماسطّره بيانه في (العصا) وماورد فيها ، لأن الشعوبية عيّرت العرب باصطحابهم لها . .

كما أثر عنه أن له كتابين[٥١] في العرب ،

الأول : العرب والعجم ،

والثاني : العرب والموالي .

لأن العرب عنده ـ وهو الكناني ـ ليس[٥٢] لهم في الناس نظير .

غير أنك ـ تجد ولا شك ـ البَوْن واسعاً بين مذهب الرجلين في نقد الشعوبية[٥٣] . .

وبعد أن فرغ ابن قتيبة من تبيان رذيلة الحسد ، أعلمنا عن بداية التأليف في (مثالب العرب) ، فذكر أمر زياد بن أبي سفيان ، وأشار الىٰ أبي عبيدة وماقدّم للشعوبية من نفع ، علىٰ الرغم من اشتغاله بعلوم القرآن ، وتمكنه من ناحية الرواية والأخبار . . وهو رجل « يحمل عنه العلم ويحتج بقوله في القرآن » ، لكنه أغرىٰ الناس بمشاتم الناس ، وألهجهم بمثالب العرب ، . . . ولاتنسىٰ « فرسيته ويهودية أصله » فينقل ابن قتيبة مقطّعات من روايات أبي عبيدة في بعض أخبار العرب . . وعن مكانة الشعر عندهم .

ثم يبدهك بشيء من فوائد الفَرس وأهميته في حياة العرب ، لأن « الخيل حصون العرب ، ومنبت العز ، وسلّم المجد ، وثمال العيال ، وبها تدرك الثأر » ، ويسوق بين يدي هذه اللمحة بعض ماورد فيها من أحاديث نبوية أو أخبار . . ومنها ينتهي الىٰ ايراد أخبار عن عيص العرب وأصول الفرس . . فيرىٰ أن اشراف الناس من ولد سام بن نوح . . ومن ولده الملوك والأنبياء جميعاً بعد نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ومن بعده الىٰ نبينا محمد (ﷺ) .

ويفصل القول في فضائل العرب ، فيذكر بعض مالهم ، ومااللفرس وماعليهم . . والعرب يفضلون العجم « بأن قواعد ملكها نبوة ، وقواعد ملك فارس استلاب وغَلَبة . » . وعليه فان ملك العرب ناسخ وملك فارس منسوخ ، وملك العرب متصل بالساعة وملك محدود . . وان الأول واغل في أقاصي الأرض داخل في آفاقها ، وملك الثانية / شظية منه . . وأخرج منه / الشام ، والجزيرة العربية ، و « خراسان » .

ومن الأصول التي قررها في بابة اللغة ، وأوضح قاعدة باهرة في شأن « القومية واللغة والانتماء » بقوله :

« والدليل علىٰ أن أصل اللسان / اللغة / لليمن أنهم يقال لهم : العرب العاربة ، ويقال لغيرهم : العرب المتعربة ، يراد الداخلة في العرب المتعلّمة منهم ، . . ولو كان كل من تعلّم لساناً غير لسان قومه ونطق به خارجاً من نَسَبهم ، لوجب أن يكون كل من نطق بالعربية من العجم عربياً »[٥٤] .

ولايتعارض قول ابن قتيبة هذا والرأي الذي يذهب الىٰ أن « اللغة » هي سلّم الانتماء لأهلها . . وصحيح أن اللغة هي الوجه المشرق لقومية أصحابها ، إلاّ أن الانتماء هو « عقيدة وعمل » باللغة القومية أو بغيرها .

وإلاّ لوجب أن يكون كل من نطق بالعربية من العجم عربياً ، ومنهم جمهور كبير من الأدباء والشعراء والمؤلفون كتبوا نتاجهم بالعربية ، وأمثالهم (شعوبيون) في عصرنا هذا ، إلاّ أن « إيمانهم

بالأمة العربية والعرفان بفضلها لايعرف له محلاً في قلوبهم » وهذا أمر لايختلف فيه عاقلان في مسألة « شعوبية الثقافة والفكر » .

ومن سَمْت ابن قتيبة ، العدْل والنُّصَفة في حكومته بين العرب والعجم ، بيّنه في تقدمة ألمع فيها الىٰ أن أصل النـاس جميعاً إلىٰ آدم وحواء ، وهذا عنده «عدل القول في الشرف » وإنهم جلبوا من تراب ، ويعودون الى التراب « وجروا في مجرىٰ البول وطووا علىٰ الأقذار » . . وهذا مايردع العقلاء عن التعظيم والكبرياء . . وهذا الأمر ليس فيه تفاضل . . إنما التفاضل يقع في (النسب الأدنىٰ) أي : في الطبائع وأصول الغرائز وطرائق العمل وأنماط التعلّم . . لذا ، فانه أبان عن درس متفحص في « الطباع » كما نجده عند الفلاسفة قديماً وحديثاً ، وهذا أثر من آثار ثقافته المتعمقة في الدرس الفلسفي الذي أفاد منه في الجدل والمحاججة للرد علىٰ خصوم العقيدة أعداء الله والبشر . . وإن « هذه الطباع هي أسباب الشرف ، وأسباب الخمـول ، فذوا الهمّـة تسمو به نفسه الىٰ معالي الأمور ، وترغب به عن الشائنات ، فيخاطر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بكريمته ، ويركب الهول ، ويدّرع الليل » . .

ولما استفرغ جهده في أهمية « الشرف الأدنىٰ » بما أورد فيـه من محفوظة في شواهده من كلام العرب ، صرّح أن « الأمم فيها أمة كرم بلبانها ، كالعرب . . » ، لأنها اتصفت بمكارم الأخلاق ، والرسـول محمد (ﷺ) يقول : « إنّما بعثْت لأتمم مكارم الأخلاق » لذلك أبقىٰ الاسلام علىٰ كثير من عادات العرب في جاهليتهم ، أمثال : تواصيها

بالحلم والحياء والتذمم ، « وتتعاير بالبخل والغدر والسفـه وتتنزّه من الدناءة والمذمّة ، وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة ، وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ماتوجبه للحميم والشفيق » .

وفي الحق ، ان نزوع ابن قتيبة الىٰ هذا الدفاع الحق ، إنما هو ثمرة من ثمار إيمانه العميق بالله وبرسوله (ﷺ) وبالعرب ومالهم من فضل . . فأسبغ علىٰ العرب كل فضل ، ورد سهام الشعوبية ومطاعنها الىٰ نحورها . . وعنده أن أظهر أصول هذا الحب الذي وهبه للعرب ، هو :

١ ـ ان النبي محمداً (ﷺ) منهم .

٢ ـ وان قريشاً منهم .

٣ ـ والعـربيـة لغتهم وبهـا نـزل القـرآن الكـريم « كـلام الله ـ سبحانه ـ » ولسان أهل الجنة عربي . .

ومن المـلاحظ ، أنه مـاز (أهل خـراسـان) من العجم ، ولم يسلكهم في ربقة العجم ، ولأنهم من أصول عربية استقرت بعد الفتح في خراسان لأنهم[٥٥] « أهل الدعوة وأنصار الدولة » .

ويميل باحث عصري[٥٦] الىٰ أن ابن راهويه شيخ ابن قتيبة ، هو الذي حمله علىٰ تأليف « العرب » . .

وقد تناول علماء وأدباء ابن قتيبة بالنقد الجارح ، لأنه دافع عن العرب . . وربما يكون تشنيع بعض أهل (الفقه والحديث) عليه من جـرّاء هـذا الـدفـاع . . وممن عـرض لـه ، أبـو الـريحـان البيـروني (ت ـ ٤٤٠ هـ) حيث قال فيه : « مفرط فيما يخوض فيه ، غير خال

من الأخلاق الجبليَّة في الاستبداد بالرأي ، وكلامه في هذا الكتاب يدل علىٰ أحن وترات بينه وبين الفرس »[٥٧] . .

ومن هذه النقود ماأثبته ابن عبدربه في[٥٨] « العقد » .

ولاأدري كيف أساء ابن عبدربه[٥٩] الظن بابن قتيبة ورماه بما هو منه براء . . إذ قال : « ومارأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب / تفضيل العرب ، إنه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية ، نقض في آخره كل مابنىٰ في أوله » . .

وهذا العجب من ابن عبد ربه لامسوّغ له ، اذ ان مراد ابن قتيبة في بسطه ، أن الناس متساوون في « شرف النسب » وهو / الشرف الأعلىٰ ، وهم من آدم وحواء ، إنما تباينهم وخلافهم في « الشرف الأدنىٰ » أي : في طباعهم وغرائزهم ، وذلك من حيث التفاوت في الهمم والعزائم والنبل والدناءة والمكارم والرذائل وغيرها .

وهذا (النص) الذي أدرجه ابن عبد ربه في (العقد) هو من أصل رسالة (العرب) مع تغيير في بعض ألفاظه ، ومثله الكلام الذي أودعه في فصل (رد الشعوبية علىٰ ابن قتيبة) .

ولا أدري كيف تناهىٰ الىٰ فهم باحث[٦٠] عصري أن يرىٰ : أنه قطعة من رسالة أخرىٰ وضعها ابن قتيبة في الرد علىٰ الشعوبية كذلك ، « لأنها تغاير منهج الكتاب في أساس الجدل » .

أقول : هذا الذي وصفه بتغاير منهج الكتاب . . هو[٦١] نقل بالمعنىٰ وليس نقل نسخ (أي : بالنص) .

وبعد ،

فاليك نص كتاب / فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها . بصورته المطبوعة ، عسىٰ أن أظفر بنسخه المخطوطة الأخرىٰ من بعض دور الكتب لنشره كاملاً .

نقلاً عن طبعة الأستاذ المرحوم / محمد كرد علي ، التي نشرها في : « رسائل البلغاء ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤م ، ص : ٢٤٤ - ٣٧٧ » وجعل عنوانها : كتاب العرب أو الرد علىٰ الشعوبية . . وتأسيساً علىٰ الأمانة العلمية ، لم أغيّر منها شيئاً ، لافي الحواشي ولافي المتن . .

وأذكّر - هنا - أنها ناقصة ، بل هي جزء من الأصل المخطوط .

هوامش الفصل الخامس

١ ـ راجع : بلوغ الارب ١٦٢/١ ، والشعوبية / عبدالله سلوم السامرائي ، والجذور التاريخية للشعوبية / عبدالعزيز الدوري . فاروق عمر ، مباحث في الحركة الشعوبية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٢ ـ ابن قتيبة : العرب (ص / ٢٤٤) .

٣ ـ يكذب هذا الدس في التاريخ الحضاري العريق للعرب قبل الاسلام ، وأخبار ممالكهم ومدنياتهم يعرفها هذا المستشرق قبل غيره .

٤ ـ ابن قتيبة : العرب ٣٤٥ .

٥ ـ راجع : بلوغ الارب ١٦٢/١ .

٦ ـ بلوغ الارب ، وراجع : القرب في محبة العرب .

٧ ـ العرب : ٣٤٦ .

٨ ـ راجع / إحياء التراث العربي ، منهج وموقف / لعبدالله الجبوري ، بغداد ١٩٨٨م .

٩ ـ الشيخ عبدالحسين الحلي (الشعوبية في القرنين الثاني والثالث الهجري ـ الاعتدال ، س ٣ ص ٢٦١ ـ ٢٦٤) ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥م .

١٠ ـ المصدر السابق .

١١ ـ مروج الذهب ٣٦/٤ .

١٢ ـ البيان والتبيين ٥٨/٣ .

١٣ ـ هارون ، نوادر المخطوطات ٢٣١/٣ (الحاشية) .

١٤ ـ نوادر المخطوطات ٣/٢٥٢ .

١٥ ـ الأغاني ٤/٤١٢ (ط / دار الثقافة) .

١٦ ـ الدكتور محمد نبيه حجاب في دراسته : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ، القاهرة .

١٧ ـ ينظر : عبدالله سلوم السامرائي ، الشعوبية حركة مضادة للاسلام والأمة العربية ١١ ـ ١٧ و١٢٥ والغلو والفرق الغالية / ١٥ و ٢٠ ومابعدها ، والجذور التاريخية للشعوبية لعبدالعزيز الدوري ، والصراع بين الموالي والعرب ، لمحمد بديع شريف .

١٨ ـ يراجع بشأن الشعوبية المعاصرة ، أنور الجندي ، الشعوبية في الأدب المعاصر ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ومحمد جميل بيهم / العروبة والشعوبيات الحديثة ، بيروت ١٩٥٧م .

١٩ ـ الجاحظ / البيان والتبيين ٣/٢٩ ـ ٣٠ .

٢٠ ـ عبدالحسين الحلي (الاعتدال / السنة الثالثة ص : ٣١٣) ويرى هذا العالم الجليل : أن الخوارج وبعض فرق المعتزلة شعوبية ، لأنهم يفضلون النبط على العرب . (ص : ٥٧٤) .

٢١ ـ الدكتور محمد حامد الطائي (الشعوبية ـ مجلة التربية الاسلامية ـ بغداد / السنة السابعة ، ع / ١ شعبان ١٣٨٤ هـ ـ كانون الأول ١٩٦٤م ص : ٢٤ ـ ٢٩) ، والسامرائي / الشعوبية ١٢٥ ومابعدها .

٢٢ ـ ابن قتيبة / فضل العرب (٣٤٦ ـ رسائل البلغاء) .

٢٣ ـ ينظر : فضل العرب ، وبروكلمان ٢/١٤٣ (وفيه مراجع ترجمته) ومقدمة / مجاز القرآن ١/٩ ، وللدكتور محمد فؤاد سزگين دراسة عنه « أبو عبيدة » باللغة التركية مازالت مخطوطة ، والمعارف ٥٤٣ .

٢٤ ـ مروج الذهب ٤/٣٦ .

٢٥ ـ بلوغ الارب ١/١٦٠ وراجع عن الهيثم : الفهرس ٩٩ والنجوم الزاهرة ٢/١٨٤ .

٢٦ ـ الصراع بين العرب والموالي ٤٣ .

٢٧ ـ ابن خلكان ٥/٢٤٠ وكشف الظنون ١٥٨٦ .

٢٨ ـ ابن خلكان ٥/٢٤٠ وبروكلمان ٢/١٤٣ .

٢٩ ـ ابن قتيبة : العرب ٣٤٦ والمعارف ٥٤٣ .

٣٠ ـ بروكلمان ٣/٣٢ .

٣١ ـ شعراء العراق المعاصرون / غازي عبدالحميد ج ١ / ١٠٢ .

٣٢ ـ بروكلمان ٣/٣٤ .

٣٣ ـ بروكلمان / تاريخ الأدب العربي ٣/٣٥ ، وفي بلوغ الارب ١/١٦٠ (غليلان الشعوبي) وراجع : الأغاني ١١/٧١ .

٣٤ ـ راجع ترجمته في : الجهشياري ٣٠٥ ومابعدها ، وفي كتاب الدكتور الجندي / ابن قتيبة : ٢٨١ ؛ ان طاهراً هذا وصل أبا عبيدة بهذه الجائزة على مثالبه . . وهذا ليس بصحيح .

٣٥ ـ الجاحظ / الحيوان ٤/٤٤٨ .

٣٦ ـ راجع : الحيوان ٤/٤١٤ و٤٤٧ ـ ٤٤٨ وأمالي المرتضى ١ / ٩١ .

٣٧ ـ الألوسي / بلوغ الارب ١/١٦٠ نقلاً عن أبي عبيد البكري في (سمط اللآلى) .

٣٨ ـ نوادر المخطوطات ٣/٢٣١ .

٣٩ ـ راجع : (الشعوبية عند مسلمي أسبانيا) بحث ، كتبه المستشرق (اليهودي / جولد تسيهر) ونشر موجزه ، الأستاذ هارون في (نوادر المخطوطات م / ٣ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

٤٠ ـ هارون ، نوادر المخطوطات ٣/٢٣٩ ـ ٢٤٠ وزد عليه رداً آخر لأبي الحسن علي بن أبي قوة ، الذيل والتكملة (س ٥ ق ١ ص / ١٥٤) بيروت ١٩٦٥م .

٤١ ـ فهرست الطوسي : ١٢٨ و١٢٢ .

٤٢ ـ مخطوط (جامعة البصرة ـ مجموع برقم ٤٦٦) .

٤٣ ـ منه نسخة في خزانة قاضي السليمانية الشيخ المرحوم محمد الخال

(ت ـ ١٩٨٨م) برقم ٦٢٨ . راجع : مجلة المجمع العلمي الكردي (م / ٣ م ١ ، ١٩٧٥م ص ٦٩٢) . وأخرى في (قورشونلي ـ تركيا ـ برقم ١٤٣ / ٧ ضمن مجموع « ١٩١ ـ ١٩٨ » . راجع : د / رمضان شيشن . نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ج٢ / ٢٤٥ .

٤٤ ـ راجع عنه : الشيخ حمد الجاسر ، مجلة (العرب ـ ج ١ م ١ ص ٢٠٥ ـ ٢١٠ ، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م) / الحافظ العراقي وكتابه في فضل العرب .

٤٥ ـ راجع عنه /
الدكتور أحمد الربيعي ، مجلة (البلاغ ـ السنة /٧ العدد الثامن ص : ٤٣ ـ ٥٢ ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م) .

٤٦ ـ راجع عنه :
المسك الأذفر (طبعة / الجبوري ، بيروت ، ص : ٤٠ ـ ٤١) .

٤٧ ـ الحسيني / ابن قتيبة : ٧٥ (الحاشية الثانية) وراجع فصل : دراسة في مؤلفات ابن قتيبة .

٤٨ ـ غريب الحديث ٢ /٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

٤٩ ـ راجع : الجندي / ابن قتيبة ٢٩٣ .

٥٠ ـ البيان والتبيين ٣/٨٩ (كتاب العصا) .

٥١ ـ الحيوان ١ /٥ .

٥٢ ـ أمراء البيان ٢ / ٤٥٠ .

٥٣ ـ ينظر : الجندي / ابن قتيبة ٢٨٥ .

٥٤ ـ العرب : ٣٥٦ .

٥٥ ـ ابن قتيبة / العرب ، وراجع / نشأة ابن قتيبة / الفصل الأول من هذا الكتاب .

٥٦ ـ اسحق موسى الحسيني / ابن قتيبة ٢٨ .

٥٧ ـ الآثار الباقية : ٢٣٨ .

٥٨ ـ العقد الفريد ٣/ ٤١٠ ـ ٤١٢ ونقله عنه الألوسي في / بلوغ الارب ١٦٩/١ .

٥٩ ـ العقد الفريد ٣/ ٤١١ ـ ٤١٢ .

٦٠ ـ الدكتور عبدالحميد الجندي / ابن قتيبة ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، وراجع الدكتور الحسيني / ابن قتيبة : ١٣١ .

٦١ ـ راجع : العرب (نص / رسائل البلغاء ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤) ، وقارن (العقد الفريد ٤/ ٣١١ ـ ٣١٢) وبلوغ الأرب ١/ ١٦٩ ـ ١٧٢) .



كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها

تأليف

ابن قتيبة

كتاب العرب[1]

أو الرد على الشعوبية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم تسليماً ، قال أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : جعلنا الله وإياك علىٰ النِّعم شاكرين ، وعند المحن والبلوىٰ صابرين ، وبالقسم من عطائه راضين ؛ وأعاذنا من فتنة العصبية ، وحمية الجاهلية ، وتحامل الشُّعوبية ، فانها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة ، وتُلحق بها كُلَّ رذيلة ، وتغلو في القول ، وتُسرف في الذم ، وتبهت بالكذب ، وتُكابر العيان ، وتكاد تَكفر ثم يمنعها خوفُ السيف ؛ وتغص من النبي (ﷺ) إذا ذُكر بالشجا ، وتطرف منه علىٰ القذىٰ ، وتبعد من الله بقدر بعدها ممن قُرب واصطفىٰ . وفي الافراط الهلكة ، وفي الغلو البوار ، والحسد هو الداء العياء ، أول ذنب عصي الله به في الأرض والسماء . ومن تبين أمر الحسد بعدل النظر ، أوجب سخطه علىٰ واهب النعمة ، وعداوته لمؤتي الفضيلة ، لأن الله تعالىٰ يقول : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) . فهو تبارك وتعالىٰ باسط الرزق ، وقاسم الحظوظ ، والمبتدىء بالعطاء والمحسود ؛ آخذ ماأعطىٰ ، وجارِ الىٰ غاية ماأجرىٰ .

وقال ابن مسعود : لاتعادوا نِعَم الله ، قيل : ومن يُعادي نعم

الله ؟ قال : حاسد الناس . وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسد عدوّ لنعمتي متسخط لقضائي غيرُ راضٍ بقسمي .

وقال ابنُ المقفع : الحاسد لايبرح زارياً علىٰ نعمة الله لايجد لها مزالا ، ويكدّر علىٰ نفسه مابه فلا يجد لها طعماً ، ولايزال ساخطاً علىٰ من لايتراضاه ، ومتسخطا لما لاينال فوقه ، فهو مكظوم هلع ، جزوع ظالم ، أشبه شيء بمظلوم محروم الطلبة ، منغص المعيشة ، دائم السخطة ، لابما قسم له يقنع ، ولاعلىٰ مالم يقسم له يغلب . والمحسود ينقلب في فضل الله مباشراً للسرور ، ممهلاً فيه الىٰ مدة لايقدر الناس لها علىٰ قطع وانتقاص ، ولو صبر الحسود علىٰ مابه وضمر لحزنه ، كان خيراً له ، لأنه كلما هرَّ خسأه الله ، وكلما نبح قُذِفَ بحجره ، وكلما أراد أن يُطفىء نور الله أعلاه الله ، ويأبىٰ الله الا أن يتم الله نوره ولو كره الكافرون ، ولله دَرّ القائل :

وإذا أراد الله نشْر فضيلةٍ
يوماً أتاح لها لسانَ حسُودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت
ماكان يُعرف طيب عرف العُود

ولم أر في هذه الشعوبية أرسخَ عداوة ، ولاأشدَّ نصباً للعرب ، من السفلة والحشوة ، وأوباش النَّبط وأبناء أكرة القُرىٰ . فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهلُ الديانة ، فيعرفون مالهم وماعليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً .

وقال رجل منهم لرجل من العرب : إن الشرف نسب ،

والشريف من كُل قوم نسيب الشريف من كل قوم . وإنما لهجت السُّفلة منهم بذم العرب ، لأن منهم قوماً تحلوا بحلية الأدب ، فجالسوا الأشراف ، وقوماً اتسموا بميسم الكتابة ، فقربوا من السلطان ، فدخلتهم الأنفة لآدابهم ، والغضاضة لأقدارهم ، من لؤم مغارسهم ، وخبث عناصرهم . فمنهم من ألحق نفسه بأشراف العجم ، واعتزىٰ الىٰ ملوكهم وأساورتهم ، ودخل في باب فسيح لاحجاب عليه ، ونسب واسع لامدافع عنه . ومنهم من أقام علىٰ خساسة ينافح عن لُؤمه ، ويدّعي الشرف للعجم كلها ، ليكونَ من ذوي الشرف ، ويُظهر بغض العرب بتنقصها ، ويستفرغ مجهوده في مشاتمها ، وإظهار مثالبها ، وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق ، وبهمها أنف ، وبآدابها تسلح عليها . فان هو عرف خيراً ستره ، وان ظهر حقّره ، وان احتمل التأويلات صرفه الىٰ أقبحها ، وإن سمع سواءاً نشره، وان لم يسمعه نفر عنه ، وإن لم يجده تخرَّصه ، فهو كما قال القائل :

إن يعلموا الخير يخفوه وان علموا شرًّا أذيع وان لم يعلموا بهـ

ومن ذا رحمك الله صفا فلم يكن له عيب ، وخلص فلم يكن فيه شوب .

وقيل لبعض الحُكماء : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ فقال : لا ، لأن الذي ليس فيه عيب هو الذي لايموت .

وعائب الناس يَعيبهم بفضل عَيبه ، وينتقصهم بحسب نقصه ، ويُذيع عوراتهم ليكونوا شُركاءه في عورته . ولاشيٍ أحبُّ للفاسق من زلّة العالم ، ولا الىٰ الخامل من عثرة الشريف . قال الشاعر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه مُرادٌ لعمري إن أردتَ قـر

وقال آخر :

وأجـرأ مـن رأيـت بـظهـر غيـبِ

عـلىٰ عيب الـرِّجـال ذوو العُيـوبِ

وقد كان زياد بن أبي سفيان حين كثر طعن الناس عليه وعلىٰ معاويهٰ في استلحاقه عمل كتاباً في المثالب لـولده وقـال : من عيركم نقرعوه بمنقصته ، ومن ندَّد عليكم فابدهوه بمثلبته ، فان الشر بالشر يُتقىٰ ، والحديد بالحديد يُفلح .

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ أغرىٰ الناس بمشـاتم الناس ، وألهجهم بمثالب العرب ، وحاله في نسبه وأبيه الأقرب اليه حالٌ نكره أن نذكرها ، فنكون كمن أمر ولم يأتمر ، وزجر عن القبيح ولم يزدجـر ، وهي مشهورة ، ولكن كرهنا أن تدوّن في الكتب وتخلد علىٰ الدهر ، ولاسيما وهو رجل يُحمل عنه العمل ويُحتج بقوله في القرآن . ومن أتعب قلباً وأنصب فكراً ممن أراد أن يجعل الحسنة سيّئـة ، والمنقبة مثلبـة ، ويحتاج لإخراج الباطل في صورة الحق فيقصد من المناقب ، لمثل قوس حاجب ، يضحك منها ويُزرىٰ بهـا ، ويذهب في ذلـك الىٰ خساسـة العود ، وقلّة ثمنه . وهذا لو كـان علىٰ مـذاهب التجّار والسـوق في الرُّهون والمعاملات ، لرجع بالعيب علىٰ الآخذ لاعلىٰ الـدَّافع ، لأن الدافع لايألو أن يدفع أحقر مايجد في أكثر مايأخذ ، والمغبون من غُر بالصغير عن الكبير . وانما رهن عن العرب بما ضمنـه عنها من كف الأذىٰ عن مملكته ، حتىٰ يحيوا وتنكشف عنهم السنة ، ولو كان مكان القوس مائة ألف رأس من الغنم عن هذا السبب ماكان القـوس الا

احسن بالدافع والقابل ، لأن سلاح الرجل هي عزّه وشرفه ، واسلام المال أحسن من إسلام العزّ والشرف . وقد يدفع الرجل وخاتمه وبُرده أو رداءه عن الأمر العظيم ، فلا يسلمه خوفاً من السُبّة وأنفةً من العار .

قال أبو عبيدة : لما قتل وكيع بن أبي سود التميمي قتيبة بن مُسلم الباهلي بخراسان ، وبلغ ذلك سليمان وهو بمكة وهو حاجّ . خطب الناس بمسجد عرفات ، وذكر غَدر بني تميم ، وإسراعهم في الفتن ، وتوثبهم علىٰ السلطان ، وخلافهم له ، فقام الفرزدق ففتح رداءه وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ردائي رهناً بوفاء تميم ومقامها علىٰ طاعتك ، فلما جاءت بيعةُ وكيع قال الفرزدق :

فدىً لسيوف من تميم وفَى بها ... ردَاى وحلّت عن وُجوه الأهاتم

يريد الأهتم بن سُمى التميمي ورهطه .

وهذا سيّار بن عمرو بن جابر الفزاري ضمن لبعض الملوك ألف بعير دية أبيه ورهنه قوسه . فقبلها منه علىٰ ذلك وساقها اليه ، وفيه يقول القائل :

ونحن رَهَنا القوس ثم تخلّصت ... بألف علىٰ ظهر الفزاريّ أقرعا

وسيّار هذا هو جدّ هرم الذي تنافر اليه عامر وعلقمة . ومن هذا الباب قولُ جِرَان ، وذكر اجتماعه مع نساء كان يألفهن :

ذهبنَ بمسواكي وقد قلتُ إنه ... سيُوجد هذا عندكن فيُعرف

يظنّ من لايعرف هذا الخبر أنهن سلبنه المسواك ، فاعتدّ عليهن وأخبرهن أنه سيوجد عندهن ، ويعرف لقدر المسواك عندهن وعنده ، ولأن الاعراب أنظر قوم في التافه الحقير الذي لاخطر له ، وكيف يظنّ

به وبهنَّ هذا ، وبلد نجد مُستحلس بضروب من شجر المساويك لاتحصىٰ ، فكيف يبخل علىٰ نساء يهواهن بعود ، وهو يصطلي به ويختبز ويطبخ بشجره ، ومتىٰ احتاج الىٰ مسواك منه لم يتكلفه بثمن ، ولم يُبعد في طلبه . والمعنىٰ أن نجداً تختلف منابته ، فمنه ماينبت الأسحل ، ومنه ماينبت الأراك ، ومنه ماينبت البشام . فأهل كل ناحية منهم يستاكون بشجر بلدهم ، وكان جران العود معروفاً بهؤلاء النساء يزورهن علىٰ حذر من مزار بعيد ، وهو يستنّ من الشجر ماينبت في بلده ، ولاينبت في بلدهن ، فلما أخذنَ سواكه ليتذكرنه ويسترحْن اليه كما يفعل المُتحابون ، قال : إن هذا سيوجد عندكنَّ ، واذا وجد علم أنه مما ينبته البلد الذي أسكنه ، فاستدل به علىٰ زيارتي إياكن .

ويقصد لقول القائل :

أيابنة عبدالله وابنة مالك ويابنة ذي البردين والفرس الوردا

فيتضاحك بالشعر ، ويستهزىء بالبردين والفرس الورد ، ويُعارض ذلك بملوك فارس وأسرتها وتيجانها ، وبأن أبرويز ارتبط تسعمائة وخمسين فيلاً علىٰ مرابطه . وبلغت مخدَّته ، التي كان يُشرف بها علىٰ الداخل عليه ، ألف إناء من الذهب ، وخدمته ألف جارية ، وقد جهل هذا معنىٰ الشعر ، وأخطأ في المعارضة ، وفخر بما ليس له فيه حظٌ ولانصيب .

أما معنىٰ الشعر ، فان أبا عبيدة ذكر أن وفود العرب اجتمعت عند النُّعمان بن المنذر ، فأخرج بُردىٰ محرق ، وهو عمرو بن هند ، وقال : ليقم أعزُّ العرب قبيلة فيأخذهما . فقام عامر بن أحيمر بن

بهدلة ، فأخذهما ، فاتزر بواحد وارتدىٰ بآخر ، فقال له : بم أنت أعز العرب ؟ فقال : العزّ والعدد من العرب في معدّ ثم نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا من العرب فلينافرني فسكت الناس . فقال النعمان : هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في أهل بيتك وفي بدنك ؟ فقال : أنا أبوعشرة وعم عشرة وخال عشرة ، يغنيني الأكابر عن الأصاغر ، والأصاغر عن الأكابر ، فأما أنا في بدني فهذا شاهدي ، ثم وضع قدمه علىٰ الأرض وقال : من أزالها من مكانها فله مائة من الإبل . فلم يقم اليه أحد من الناس ، فذهب بالبردين فسمِّي ذا البردين ، قال الفرزدق :

فما تمَّ في سعد ولآل مالكٍ غلامٌ اذا ماقيل لم يتبهدل
لهم وهب النُعمان ثوبي محرِّق بمجد معدّ والعديد المحصل

وأما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب ، ومنبت العز ، وسلم المجد ، وثمال العيال ، وبها تدرك الثأر ، وعليها تصيد الوحش ، وكانوا يؤثرونها علىٰ الأولاد باللبن ، ويشدّونها بالأفنية للطلب والهرب ، وقد كنىٰ الله عنها في كتابه بالخير لما فيها من الخير ، فقال حكاية عن نبيه سليمان عليه السلام : (إني أحببتُ حُب الخير عن ذكر ربي حتىٰ توارت بالحجاب) يعني الخيل . وبها كان شغل سليمان عن الصلاة حتىٰ غربت الشمس . وقال طُفيل :

وللخيل أيامٌ فمن يصطبر لها ويعرف لها أيامها الخير يعقب

وقال آخــر :

ولقـد علمتُ علىٰ تـوقّي الردي — أن الحصون الخيلُ لامدر القــرى

إنّي وجـدتُ الخيل عـزاً ظاهـراً — تنجِي من الغُـمَّى ويكشفن الدُّجى

ويبتن بالثَّغر المخوف طلائعــا — وتبين للصُّعلوك جمـة ذي الغنــا

باتوا بصائرهم عـلىٰ أكتافهـــم — وبصيـرتي يعــدو بها عتـد وأى

والبصيرة : الدم . يريد أنهم لم يُدْركوا الثأر فثقل الدماء علىٰ أكتافهم ، وأنه قد أدرك ثأره علىٰ فرسه .

وحدّثني محمد بن عبيد قال : حدّثني سُفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقي قال : سمعت النبي (ﷺ) يقول : الخيلُ معقود في نواصيها الخير الىٰ يوم القيامة » .

قال أبو محمد : وليس لأحد مثل عتاق العرب ، ولاعند أحد من الناس من العلم بها ماعندهم . وسأذكر من ذلك شيئاً فيما بعد إن شاء الله . واذا كان للرجل منها جواد مبرّ كريم شهر به وعرف ؛ فقيل : العسجدي ولاحق وداحس والورد . وليس أعجب من سرير كسرىٰ وفخر العجم به ، وتصـويرهم اياه في الصخور الصُّم ، وفي رعـان الجبال ، واذا رأيت العرب تنسب الىٰ شيء خسيس في نفسـه فليس ذلـك الا لمعنىٰ شـريف فيـه ، كقـولهم لهنيـدة بنت صعصعـة عمـة الفرزدق : ذات الخمار . فمن لم يعرف سبب الخمار هاهنا يظُن أنها كانت تختمر دون نساء قومها فنُسبت الى الخمار لذلك .

قال أبو عبيدة : كانت هُنيدة بنت صعصعة تقول : من جاءت

من نساء العرب بأربعةٍ مثل أربعتي يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتي لها : أبي صعصعة ، وأخي غالب ، وخالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزبرقان بن بدر ، فسُميت ذات الخمار لذلك .

وقال : كان هند بن أبي هالة ربيب النبي (ﷺ) يقول : أنا أكرم الناس أربعة : أبي رسول الله ، وأمي خديجة ، وأختي فاطمة ، وأخي القاسم . فهؤلاء الأربعة لاأربعتها . وأما خطؤه في المعارضة فان صاحب البردين لم يكن ملك العرب فيعارضنا عنه بملك العجم ، ولم يدعَ أحدٌ أنه كان للعرب في دولة العجم مثل ملكها وأموالها ، وعددها وسلاحها ، وحريرها وديباجها ، فيحتاج ان يذكر فيلة أبرويز وجواريه وفرشه ، وقد كان هذا لأولئك كما ذكر ثم جعله الله لهؤلاء ، فابتزّوه واستلبوه ، والتحوهم كما يلتحي القضيب ، والناسخ أفضل من المنسوخ .

وأما فخره بما ليس فيه حظّ ولانصيب ، فإنما يفخر بملك فارس أبناء ملوكهم ، وأبناء عُمالهم وكتّابهم وحجّابهم وأساورتهم . فأما رجل من عرض العجم وعوامهم لايعرف له نسب ولايشهر له أب ، فما حظّه في سرير كسرىٰ وتاجه وحريره وديباجه ، وليس هو من ذلك في مَراح ولامغدىٰ ، ولامظل ولامأوىٰ . فان قال : لأني من العجم وكسرىٰ من العجم . فمرحباً بالمثل المُبتذل : ابن جار النجار . ولو قال أيضاً : لأني من الناس وكسرىٰ من الناس . كان هذا سواء ، وماهو بأولىٰ بهذا السبب من العرب ، لأن العرب أيضاً من الناس .

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فطلع منها فرس سابق ، فجعل

رجل من النظّارة يكبر ويثب من الفرح . فقال له رجل الىٰ جانبه : يافتىٰ ، أهذا السابق فرسك ؟ فقال : لا ، ولكن اللجام لي .

وقال المسعوديّ : قدم الينا أغراب ، وكانوا يأتـون ببضائعهم فأبيعها وأقوم بحوائجهم ، وكانوا يقولون : رحم الله أبـاك ديناراً ، فكنتُ لاآلوهم عناية ، فقلت لهم : أخبروني عن السبب بينكم وبين أبي ؟ قالوا : كان يساومنا مرة بأتان ، فقلت لهم : هل كان اشتراها منكم ؟ قالوا : لا . قلت : الله أكبر ! قالوا : وماذاك ؟ قلت : لـو اشتراها صارت رحماً ونسباً .

وقد كانت العجم رحمك الله في ذلك الزمان طبق الأرض شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً الا محال معدّ واليمن ، أفكل هؤلاء أشراف ؟ فأين الوضعاء والأدنياء والكسّاحـون والحجّامـون والدبـاغون والخمـارون والرعاع والمُهان ! وهل كان ذوو الشرف في جملة الناس إلا كاللمعة في جلد البعير . وأين ذاريهم وأعقابهم ؟ أدرجوا جميعاً فلم يبق منهم أحد وبقىٰ أبناء الملوك والأشراف ؟

وأعجب من هذا ادعاؤهم الىٰ اسحـاق بن ابراهيم صـلىٰ الله عليهما وسلم وفخرهم علىٰ العرب بأنه لسارة الحرة ، وأن اسمـاعيل أباالعرب لهاجر ، وهي أمة ، قال شاعرهم :

في بَلدة لم تصل عكل بها طنباً	ولاخبـاءً ولاعـكَ وهمـدانُ
ولاجـرم ولابهـراء من وطـن	لكنهـا لبني الأحـرار أوطـان
ارض تبنىٰ بها كِسْـرىٰ مناسكه	فـما بها من بنىٰ اللّخنـاء إنسـان

فبنوا الأحرار عندهم العجم من ولد إسحاق ، واسحاق لسارة وهي حرة ، وبنو اللّخناء عندهم العرب لأنهم من ولد اسماعيل ؛ واسماعيل لهاجر ، وهي أمة . قالوا : واللخناء ، عند العرب : الأمة . فالويل الطويل لهؤلاء ، والبعد والثبور من هذه العداوة لأولياء الله ، والأنباز القبيحة لصفوة الله . وقد غلطوا في التأويل على اللغة ، وليس كل أمة عند العرب لخناء ، أي اللخناءُ من الإماء الممتهنة في رعي الإبل وسقيها وجمع الحطب وحمله واستقاء الماء والحلب وأشباه ذلك من الخدمة ، كما يقال الأمة الوَكعاء ، وليس كل أمة وكعاء ، وإنما قيل لَخناء ، لنَتْن ريحها ، ويقال : لخن السقاء يلخن لخناً ، اذا تغير ريحهُ وأنتن .

وأما مثل هاجر التي طهّرها الله من كل دنس ، وطيبها من كل دفر ، وارتضاها للخليل فراشاً ، وللطيبين اسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام أُما . وجعلها لها سلالة ، فهل يجوز للملحد فضلاً عن مسلم أن يطلق عليها اللخن ، ولو لم يكن الا أن ملك القبط متع بها سارة ، وكانت أنفس إماثة عندهم وأحظاهن لديه ، لقد كان في ذلك دليل على أنها لم تكن من الإماء اللخن ، ولو جاز أن يطلق على كل أمة لخناء لجاز أن يُقال لكل شريف ولدته أمة : هذا ابن اللخناءِ ، كما يقال : هذا ابن الأمة . وقد ولدت الاماء الخلفاء والخيار والأبرار ، مثل عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب .

حدّثني سهل بن محمد قال : حدّثنا الأصمعي قال : كان أهل

المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتىٰ نشأ فيهم الثلاثة ، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً ، فرغب الناس في السراري . والنُساب لايعرفون لأهل فارس ولاللنّبيط في إسحاق بن ابراهيم حظاً ، لأن اسحاق تزوّج رفقاً بنت ناحور بن تارح ، وتارح هو آزر ، ورفقاً بنت عمه ، ولدت له عيصوا ويعقوب ، توأمين في بطن واحد ، فيعقوب هو إسرائيل الذي ولد الأسباط كلهم وكانوا اثني عشر رجلاً ، وأولادهم جميعاً يدعون بني اسرائيل ، وهم أهل الكتاب ليس لهؤلاء فيهم سبب ، ولانسب ، وعيصوا هو أبو الروم ، وكان الروم رجلاً أصفر شديد الصفرة في بياض ، ومن أجل ذلك سُميت الروم بني الأصفر . قالوا : وكانت أم الروم بنت اسماعيل بن ابراهيم ، وولد من الروم خمسة نفر . فكل من بأرض الروم من نسل هؤلاء الرهط ، قالوا : ولما سبقه يعقوب الىٰ دعوة اسحاق فصارت النبوة في ولده دعا لعيصوا بالنماءِ والكثرة ، فالروم كلها من ولده . وبعض الناس يزعم أيضاً أن الأشبان من ولده . وقالوا : النبط بن ساروح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ، ويقال : إنه ابن ماش بن سام بن نوح . قالوا : وأهل فارس من ولد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ، وكان كثير الولد فنزل أرض فارس ، فأجناس الفرس كلهم من ولده ، فليس بين هؤلاء وبين اسحاق بن ابراهيم ، علىٰ ماذكر النسابون ، نسب يجمعهم إلا سام بن نوح ، والناس يجتمعون في ولادة شيث بن آدم ثم في ولادة نوح ثم يتشعبون , فولد نوح أربعة نفر : سام وحام ويافث ويام . فأما يام فهلك بالطوفان فلا عقب له ، وهو الذي قال له

أبوه : (يابُني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين) وأما حام فإن أباه لعنه ودعا عليه بأن يكون عبداً لأخويه ، فخملت ذريته وسقطت فيه ، فهم النوبة وفزان والزغاوة وأجناس السودان والسند والقبط . وأما يافث فان أباه دعا له بالنماء والكثرة ، فولد الصقالب والترك ويأجوج ومأجوج وأمماً عدد الرمل والحصا في مشارق الأرض . فأما سام فبارك عليه ، فاشراف الناس من ولده منهم العماليق ومنهم الجبابرة وفراعنة مصر وملوك فارس ، ومن ولد سام الأنبياء جميعاً بعد نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ، ومن بعده إلىٰ نبينا محمد (ﷺ) ، فالعرب وفارس يتساوون في هذه الجملة وتفضلها العرب بعدها بأنها من ولد اسماعيل بن ابراهيم ، فهي أدنىٰ من خليل الله دناوَة وأمس به رحماً .

ثم تتساوىٰ العرب وفارس في أن الفريقين ملكوا ، وتفضلها العرب بأن قواعد ملكها نبوة ، وقواعد ملك فارس استلابٌ وغلبة ، وتفضلها العرب بأن ملكها ناسخ وملك فارس منسوخ ، وتفضلها بأن مُلكها متصل بالساعة وملك فارس محدود ، وتفضلها العرب بأن ملكها واغل في أقاصي البلاد داخل في آفاق الأرض ، وملك فارس شظية منه ، ليس فيه الشام ولا الجزيرة ولا خراسان ، في أكثر مددهم ، ولا اليمن إلا في أيام وهرز وسيف بن ذي يزن .

ومن عجب أمرهم أيضاً فخرهم علىٰ العرب بآدم ، يقول النبي (ﷺ) : لاتفضلوني عليه فانما أنا حسنة من حسناته ، ثم بالأنبياء ، وأنهم من العجم إلا أربعة نفر : هود وصالح وشعيب ومحمد صلىٰ الله عليه وعليهم وسلّم ، وفي هذا القول وضع الفخر علىٰ غير

أساس ، ومنه أسس بُنيانه علىٰ الباطل والغرور أوْشك أن يتداعىٰ وأن يخر ، وظُلم للعرب فاحش ؛ ومنه ادعاؤهم آدم ، كأنَّ العرب ليسوا من ولده . ومنه انتحالُهم موسىٰ وعيسىٰ وزكريا ويحيىٰ وأشباههم من بني اسرائيل ، وليس بين فارس وبين بني اسرائيل نسب علىٰ مابيَّنتُ لك ؛ ومنه دفعهم العرب عن قربهم بهؤلاء الأنبياء ، وهم بنو عمومتهم وعصبتهم ؛ لأن العرب بنو اسماعيل بن ابراهيم بإجماع الناس ، فهم بنو أخي إسحاق بن ابراهيم ، وأولىٰ به وأحقّ بشرفه ، وأوْلىٰ بموسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان وجميع الأنبياء من ولده ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ إن الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران علىٰ العالمين ﴾ ؛ فآلُ ابراهيم هم ولد اسحاق وولد اسماعيل ؛ ثم قال : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ فأعلمنا أن العرب وبني اسرائيل شيء واحد في النسب ، وفيما أوْحىٰ الله الىٰ موسىٰ : ﴿اني سأقيم لبني اسرائيل من إخوتهم مثلك أجعل كلامي علىٰ فيه ﴾ ، يريد أنه يقيم لهم من العرب نبياً مثل موسىٰ ، يعنىٰ نبيَّنا محمداً (ﷺ) ، وهذا علم من أعلامه وحجة من حججنا علىٰ أهل الكتاب من كتبهم .

فان قالوا في ذلك : إنه يقيم لهم من بني اسرائيل نبياً مثل موسىٰ ، وقالوا : إن بني اسرائيل بعضهم إخوة بعض . أكذبهم النظر ، لأنه لو أراد ذلك لقال لهم : من أنفسهم ومنهم . كما أن رجلاً لو أراد أن يبعث رسولاً من خندف لم يقل سأبعث رسولاً من إخوة خندف . فان كان دفعهم ولد اسماعيل عن تشابك نسبهم بولد اسحاق لنزول اسماعيل الحرم ونكاحه في جرهم ، فان الديار قد

تتناءى ، والمحالُّ قد تتباين ، والرجل قد ينكح في البعيد ، وقد يولد له من الإماء ، ولاتنقطع الأرحام والأنساب ، وان كان اسماعيل نطق بالعربية فليس اختلاف الناس في الألسنة يخرجهم عن نسب آبائهم وإخوانهم وعشائرهم . فهؤلاء أهل السريانية قد خالفوا في اللسان أهل العبرانية ، وهذه الروم كفرت بالله ولاشيءَ أنطع للعصمة من الكفر ، وتكلمت بالرُّومية ورغبت عن لسان آبائها ، وليس ذلك بمخرجها عن ولادة اسحق بن ابراهيم . علىٰ أن اسماعيل لم يكن أول من نطق بالعربية وإنما تعلمها ، وإنما أصل العربية لليمن ، لأنهم من ولد يعرب بن قحطان . وكان يعرب أول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الألسن ببابل ، وسار حتىٰ نزل الحجر .

حدَّثني أبو حاتم قال : حدثني الأصمعي قال : أخبرني أبو عمرو بن العلاء قال : تسع قبائل قديمة : طَسْم وجديس وعهينة وضجْم (بالجيم وبالحاء) وجعم والعماليق وقحطان وجرهم وثمود .

وحدثني أبو حاتم قال : حدَّثنا الأصمعي قال : حدّثنا ابن أبي الزناد عن رجل من جرهم قال : نحن بدء من الخلق لايشاركنا أحد في أنسابنا . يقول : من قدمنا فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان ، وكانت أنبياؤهم عرباً : هود وصالح وشعيب .

حدّثني عبدالرحمن عن عبدالمنعم عن أبيه عن وهب بن منبِّه أنه سُئل عن هود : أكان أبا اليمن الذي ولدهم ؟ قال : لا ، ولكنه أخو اليمن في التوراة ، فلما وقعت العصبيةُ بين العرب ، وفخرت مُضر بأبيها اسماعيل ، ادعت اليمن هوداً ليكون لهم والدٌ من الأنبياء .

قال : وأما شُعيب من ولد رهط من المؤمنين تبعوا إبراهيم لما هاجر الىٰ الشام ، ولم يكن يثبت لهم نسب في بني اسرائيل ولم تكن مدين نبيلةً ولكنها أمة بعث اليها . فلما بوَّأ الله اسماعيل الحرم ، وهو طفل ، وأنبط له زمزم ، مرَّت به جرهم رفقة ، فرأوا مالم يكونوا يعهدونه ، وأخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله ومامأمر الله أباه فيه وفيها ، فتبرَّكوا بالمكان ونزلوه وضمّوا اليهم اسماعيل ، فنشأ معهم ومع ولدانهم ، ثم أنكحوه ، فتكلم بلسانهم ، فقيل : نطق باليعربية ، إلا أن الياء زيدت في الاسم فحذفت في النسب ، كما تُحذف أشياء من الزوائد وغيرها ، كما تغير أشياء عن أصولها ، والدليل علىٰ أن أصل اللسان لليمن أنهم يقال لهم : العرب العاربة ؛ ويقال لغيرهم : العرب المتعربة ، يراد الداخلة في العرب المتعلّمة منهم . وكذلك معنىٰ التفعل في اللّغة ، يقال : تنزَّر الرجلُ : إذا دخل في نزار ، وتمضَّر ، إذا دخل في مُضر ، وتقيَّس اذا دخل في قيس ، وقال الشاعر :

* وقَيْس عَيلان ومَن تقيَّسا *

ولو كان كل من تعلم لساناً غير لسان قومه ونطق به خارجاً من نسبهم لوجب أن يكون كل من نطق بالعربية من العجم عربياً . وسأقول في الشرف بأعدل القول وأبين أسبابه ، ولاأبخس أحداً حقه ، ولاأتجاوز به حدّه ، فلايمنعني نسبي في العجم أن أدفعها عما تدّعيه لها جهلتُها ، وأثنىٰ أعنّتها عما تقدّم اليها سفلتها ، واختصر القول واقتصر علىٰ العيون والنُّكت ، ولاأعرض للأحاديث الطوال في خطب العرب وتعداد أيامها ، ووفدات أشرافها علىٰ ملوك العجم ومقاماتها ، فان هذا

وماأشبهه قد كَثُر في كُتب الناس حتىٰ أخلق ، ودرس حتىٰ مُلّ ، لاسيما وأكثرُ هذه الأخبار لاطريق لها ولانُقِلَت من الثقات والمعروفين أيضاً تخبر عن التكلّف ، وتدلّ علىٰ الصَّنعة ، وأرجو أن لايطلع ذوو العقول وأهلُ النظر مني علىٰ إيثار هوىً ، ولاتعمُّدٍ لتمويه ، وماأتبرأ بعده من العثرة والزلَّة ، إلا أن يوفقني الله وما التوفيق إلا به .

وعدلُ القول في الشرف أن الناس لأبٍ وأمٍّ ، خُلقوا من تراب وأعيدوا الىٰ التراب ، وجروا في مجرىٰ البول وطُووا علىٰ الأقذار . فهذا نسبهم الأعلىٰ الذي يردع أهلَ العقول عن التعظيم والكبرياء ، ثم الىٰ الله مرجعهم فتنقطع الأنساب ، وتبطل الأحساب ، إلا من كان حسبه تقوىٰ الله ، وكانت ماتّته طاعة الله .

وأما النسبُ الأدنىٰ الذي يقع فيه التفاضلُ بين الناس في حُكم الدنيا ، فان الله خلق آدم من قبضة جميع الأرض ، وفي الأرض السهل والحزن ، والأحمر والأسود ، والخبيث والطيب . يقول الله عز وجلّ : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لايخرج الا نكداً ﴾ فجرت طبائع الأرض في ولده ، فكان ذلك سبباً لاختلاف غرائزهم ، فمنهم الشجاعُ والجبان ، والبخيل والجواد ، والحي والوقاح ، والحليم والعجول ، والدمث والعبوس ، والشكور والكفور ، وسبباً لاختلاف ألوانهم وهيئاتهم ، فمنهم الأبيض والأسود ، والأسمر والأحمر ، والأقشر والوسيم ، والخفيف علىٰ القلوب والثقيل ، والمحبب الىٰ الناس من غير احسان ، والمبغض اليهم من غير ذنوب ، وسبباً لاختلاف الشهوات والارادات ، فمنهم من يميل

به الطبع الىٰ العلم ، ومن يميل به الىٰ المال ، ومن يميل به الىٰ اللهو ، ومن يميل به الىٰ النساء ، ومن يميل به الىٰ الفروسية . ثم يختلفون أيضاً في ذلك ، فمنهم من يسرع الىٰ فهمه الفقه ، ويبطىء عنه الحساب ، ومنهم من يعلق بفهمه الطب ، وينبو عنه النجوم ، ومنهم من يتيسر له الدقيق الخفيّ ، ويعتاص عليه الواضح الجلي ، ومنهم من يتعلم فنًّا من العلم فيرسخ في قلبه رسوخ النّقر في الحجر ، ويتعلّم ماهو أخفّ منه فيدرس دروس الرقم علىٰ الماء . ومن طلبة المال من يطلبه بالتجارة ، ومن يطلبه بالجراية ، ومن يطلبه بالسُّلطان ، ومن يطلبه بالكيمياء ، فيتلف بالطمع الكاذب والتماس المُحال أثلة المال . ومن طلبة النساء من يريد المهفهفة[1] ، ومن يريد الضِّناك[2] ، ومن يريد الغِرَّة الصغيرة ، ومن يريد النَّصف[3] الوثيرة . وأعجبُ من هذا من ربما حُبِّب اليه العجوز . قال الشاعر :

عجوزٌ علتها كبرةٌ وملاحة ... أقاتلتي يا للرّجال عجوزُ

عَجوز لو أن الماء مِلْك يمينها ... لما تركْتنا بالمياه نجوز

ومن لُؤم الغرائز أن من الناس من يحب الذمَّ كما يُحب غيره المدح ، ويرتاح للهجاء كما يرتاح غيره للثناء ، ومنهم من يُغرى بذم قومه ، وسب نفسه وآبائه ، وشتم عشيرته ، منهم عميرة بن جعيل التغلبي ، وهو القائل :

كسا الله حتىٰ تغلب بنة وائل ... من اللؤم اصغاراً[5] بطيئاً نصولُها

ومنهم الحرمازي[6] ، وهو القائل :

إن بني الحـرمـاز قـومٌ فيـهم　　عجـزٌ وتسليط علىٰ أخيهـم
فـابعث عليهم شاعـراً يُخـزيهم　　يعلم منهم مثـل علمي فيهـم

ومنهم القُحيف ، وهو القائل في أمه :

يـاليتـها أمنا شـالت نعـامتهـا　　إيمـا الىٰ جنَّـة إيمـا الىٰ نـارِ
ليست بشبعى ولو أسكنتها هجـراً　　ولابـريـاً ولـو حلت بـذي قـار
تلهم الوسق مشـدوداً أشظتـه　　كأنما وجهُها قد طلـي بـالقـار
خرقاء في الخير لاتهدىٰ لوجهتـه　　وهي صناع الأذىٰ في الأصل والجـار

ومنهم الحطيئة ، هجا أباه وأمه ونفسه فقال في أمه :

تنحّى فـاقعـدي مني بعيـداً　　أراحَ الله منـك العـالمينـا
ألم أوضـح لك البغضـاء منّي　　ولـكن لاإخـالـك تـعْقلينـا
إغـر بالاً اذا استـودعت سـراً　　وكـانـونـاً علىٰ المُتحـدثينـا

وقال لأبيه :

لحـاك الله ثـم لحـاك حقـاً　　أبـاً ولحـاك من عمٍّ وخـالِ
فبئس الشيخُ أنت علىٰ المخـازي　　وبئس الشيخُ انت لدى المعالـي
جمعت اللـؤم لاحيّـاك ربّـي　　وأبوابَ السَّفاهـة والضَّـلال

وقال لنفسه :

أبت شفتاي اليومَ ألا تكلمـا　　بشرٍّ فما أدري لمن أنـا قائلـه
أرىٰ لي وجهاً شـوّه الله خلقه　　فقُبِّح من وجه وقُبِّح حاملـه

وأتي عُيينة بن النَّهاس العجلى مادحـاً ، فقال عيينـةُ لوكيله : اذهب معه الىٰ السوق فلا يُشيرنَّ الىٰ شيء ولايسومنَّ به إلا اشتريته له . فلما انصرف عنه قال :

سُئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً فسيّان لاذمُّ عليك ولاحَمْدُ

ومن لُؤم الغرائز أيضاً في الناس أن منهم من يؤثر ريح الكرابيس[٧] علىٰ ريح اليلنجوج[٨] ، وريح الحشوش[٩] علىٰ نفحات الورد ، ويهتاج من النساء لذات القُبح والدفر[١٠] ، ويكسل عن الحسناء ذات العطر . ومنها أن الرجل يكون في رخاء بعد بؤس ، وسعة بعد ضيق ، فيسأم ماهو فيه ، ويرغب عنه الىٰ ماكان عليه ، وقال أعرابي قدم المصر فحُسنت حاله :

أقول بالمصر لما ساءني شبعي الا سبيل الىٰ أرض بها جُوعُ
الا سبيل الىٰ أرض بها غرث جوعٌ يصدِّع منه الرأس يرقوع[١١]

وهذا وأشباهه من لئيم الغرائز كثيرٌ في الأمم ، وهذه الطبائعُ هي أسباب الشرف وأسباب الخمول ، فذوا الهمّة تسمو به نفسه الىٰ معالي الأمور ، وترغب به عن الشائنات ، فيُخاطر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بكريمته ، ويركب الهولَ ، ويدّرع الليل ، ويحط الى الحضيض ، وتأبىٰ نفسه إلا علواً حتىٰ يسعد بهمته ، ويظفر ببغيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته ، ومن لاهمة له جثامة لُبَد ، يغتنم الأكلة ويرضى بالدون ، ويستطيب الدعة ، وإن أعدم لم يأنف من ذُل السؤال ، والجبان يفرُّ عن أمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، والشجاع يحمي من لايناسبه بسيفه ، ويقي الجار والرفيق بمحبته ، والبخيل يبخل علىٰ نفسه بالقليل ، والجواد يجود لمن لايعرفه بالجزيل . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها ﴾ ، يريد قد أفلح من أنمىٰ نفسه بالمعروف وأعلاها ، وقد خاب

من أسقطها بلئيم الأخلاق وأخفها . وقد يكون الرجل مُخالفاً لأبيه في الأخلاق ، وفي الشمائل ، أو في الهمم أو في جميع ذلك ، لعرق نزعه من قبل أجداده لأبيه وأمه . وقال الشاعر :

وأشبهت جدَّك شرَّ الجدود والعرقُ يسري الى النائم

ومن الناس الشريف الحسيب ، وذلك الذي جمع الىٰ محاسن آبائه محاسن نفسه ، ومنهم الشريف ولاحسب له . وذلك اذا كان لئيم النفس ، ومنهم من لاشرف له ولاحسب ، وذلك إذا كان لئيم النفس لئيم السلف .

وقال قيس بن ساعدة : لأقضين بين العرب قضية ماقضىٰ بها أحدٌ قبلي ولايردها أحدٌ بعدي : أيما رجل رَمىٰ رجلاً بملأمة دونها كرم فلا لؤم عليه ، وأيما رجل ادعىٰ كرماً دونه لؤم فلا كرم له ، يعني أن أولي الأمر بالمرءِ خصاله في نفسه . فان كان شريفاً في نفسه وآباؤه لئام لم يضرّه ذلك ، وكان الشرف أولىٰ به ، وإن كان لئيماً في نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك .

ومثله قول عائشة : كل شرف دونه لؤم فاللُّؤم أولىٰ به ، وكل لؤم دونه شرف فالشرفُ أولىٰ به : وقال الشاعر في مثله :

ومن يـك ذا لؤم ومجدٍ يعُـدّه فأولىٰ به من ذاك ماكان أقربـا
فلا لؤمَ عـوداً بعـد مجد يهدّه ولامجد معدوداً إذا اللؤم عقَّبـاً

والحسب مأخوذ من قولك : حسبت الشيء أحسبه حسباً ، إذا عددته ، وكان الرجل الشريف يحسب مآثر آبائه ويعدّهم رجلاً رجلاً ، فيقال : لفلان حسب ، أي آباءٌ يعدون وفضائل تحسب ، فالمصدر

مسكن والاسم مفتوح ، كما تقول : هُدمت الحائط هَدْماً ، فتسكن المصدر ، وتقول : لما سقط الى الأرض : هَدَم ، فتفتح الدال من الاسم وكذلك الأمم فيها أمة كرم بلبانها ، كالعرب ؛ فانها لم تزل في الجاهلية تتواصىٰ بالحلم والحياء والتذمم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسفه ، وتتنزه من الدناءة والمذمة ، وتتدرّب بالنجدة والصبر والبسالة ، وتُوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ماتوجبه للحميم والشفيق ؛ فربما بذل أحدهم نفسه دون جاره ، ووقى ماله بماله وقتل دون حميمه . ومنهم كعبُ بن مامة ، وكان اذا جاوره جارٌ فمات بعض لحمته وداه ، واذا مات له بعير أو شاة أعطاه مكان ذلك مثله ، ومنهم عُمير بن سلمىٰ الحنفي أحد أوفياء العرب ، وكان له جار فخالفه أخوه قرين الىٰ امرأته ، فاشتد الرجل في حفظ امرأته فقتله ، وكان عُمير غائباً ، فلما قدم وخُبِّر بذلك دفع قريناً الى وليّ المقتول فقتله واعتذر الىٰ أمه وعظم جرمه ، فقالت :

تُعدُّ معاذراً لاعذر فيها ومن يقتل أخاه فقد ألاما

ومن أعجب أمر في الجوار قصةُ أبي حنبل حارثة بن مر ، وكان الجراد سقط بقرب بيته ، فقصد الحيّ لصيده ، فلما رآهم قال : اين تريدون ؟ قالوا نُريد جارك هذا . فقال : أيّ جيراني ؟ قالوا : الجراد . فقال : أمّا إذ جعلتموه لي جاراً فوالله لاتصلون اليه ، ثم منع منه حتىٰ انصرفوا ، ففخر بعضهم فقال :

لنا هضبة ولنا معقل صعدنا اليه بصُمّ الصعادِ
ملكناه في أوليات الزما ن من بعد نُوح ومن بعد عاد

ومنـا ابن مُـرّ أبـو حنبـل أجـار من الناس رجْـل الجَـراد
وزيـدٌ لنـا ولنـا حـاتـم غياثُ الـورىٰ في السِّنـين الشدادْ

وقال قيس بن عاصم يذكر قومه :

لايَفطنـون لعيـب جارهـمُ وهمُ لِحفـظ جـواره فُطُـنُ

وقال مسكين الدرامـيّ :

نـاري ونـارُ الجـار واحـدة واليـه قبلـي تُنـزل القِـدر
فأصبحوا والنوىٰ عالي معرَّسهـم وليس كُل النـوىٰ يلقى المساكينُ

أراد من الأضياف من يأكل التمر بالنوىٰ ، وهذا يدل علىٰ شدّة فقره .

وأما مزرِّد فكان شرهـا منهومـاً ، والشره رفيق البخـل ، وهو القائل :

لبكت بصاعي حنطة صاع عجـوة الىٰ صاع سمن فوقـه يتريَّـع[12]
فقلت لبطني : أبشر اليـوم إنـه حَـوىٰ أمنـاً ممـا تحوز وتـرفـع
فان يك مصبـوراً[13] فهذا دواؤه وإن يك غرثانـاً فذا يوم يشبـع

وقال الحطيئة :

أعددت للضيفـان كلبـاً ضاريـاً عنـدي وفضـل هـراوة من أرزنِ
ومعاذراً كذبـاً ووجهـاً باسراً وتشكيـاً عضَّ الزمان الألـزن[14]

وهذا شرُّ القوم ، وليس من الناس صنف إلاّ وفيه الخير والشر ، علىٰ ذلك أسِّست الدنيا ، وعليه درج الناس ، ولولا أحدهما ماعرف الآخر ، وإنما يُقضي بأغلب الأمور ، ويحكمـون بأشهـر الأخلاق .

وليس في ثلاثة من الشعراء أو أربعة ماهدر مكـارمَ أخلاق آلاف من

الناس وبدّد صنائعهم ؛ فهذا كعب بن مامة آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمري حتىٰ مات عطشاً ؛ وهذا حاتم الطائيّ قسم ماله بضع عشرة مرّة ، ومرَّ في سفره علىٰ عنزة وفيهم أسيرٌ ، فاستغاث به ولم يحضره شيء ، فاشتراه من العنزيين فخلّاه وأقام مكانه في القدّ حتىٰ أدّى فداءه ، وكل فخر في طيء فهو راجع الىٰ نزار ، ولهم الحبلان وهما بنجد ، وأخذهم بآدابهم وتخلّقهم بأخلاقهم ؛ وهذا عديّ شاطر ابن دارة الشاعر ماله ؛ وهذا معنٌ في الإسلام كان يُقال فيه : حدِّث عن البحر ولاحرج ، وعن معن ولاحرج . وأتاه رجلٌ يستحمله ، فقال : ياغلام ، اعطه فرساً وبرذوناً وبغلاً وعيراً وبعيراً وجارية ، ولو عرفت مركوباً غير هذا لأعطيتكه ؛ وهذا نهيك بن مالك بن معاوية باع إبله وانطلق بأثمانها الىٰ مِنىٰ فأنهبها ، والناسُ يقولون : مجنون . فقال :

لست بمجنون ولكنّي سمح أنهبكم مالي إذا عزَّ القمح

وهذا شيء يكثر جدّاً ويتسع القول فيه ، ويخرج الكتابُ من فنه باستقصائه . وكان غرضنا في هذا الكتاب أن نُنبه بالقليل من كل شيء في عيون الأخبار .

وأما تعييرُهم إياهم بخبيث المطعم كالعلهز والحيّات ، وخبيث المشرب كالفظ والمجدوح ، فان هذا وأشباهه طعام المجاوع والضرورات ، وطعام نازلة الفقر والفلوات .

وقال الشاعر :

* اذا السنةُ الشَّهباءُ حل حرامها *

يريدون أنهم يأكُلون فيها الميتة . وقال الراعي :

إلىٰ ضَوء نار يشتوي القد أهلُها وقد يكرم الأضياف والقدُّ يشتوي

وإنما كان يكون هذا عيباً لو كانت العربُ مختارة له في حالة اليسر ، كما تختار بعضُ العجم الذبابَ وبهم عنه غنى ، والسراطين والدُّجاج لهم معروضة . فأما حال الضرورة فالناسُ كلهم يعسرون ، فمن لم يجد اللحم أكل اليربوع والضب ، ومن لم يجد الماءَ شرب المَجدوح والفظَّ .

قال الأصمعي : أغير علىٰ إبل حُرَيثة ، فذهب فركب بحيرة[١٥] ، فقيل : أتركب الحرام ؟ فقال : يركب الحرام من لاحلال له . وقال الشاعر :

ياليت لي نعلين من جلد الضَّبع كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

ومما يدلّك علىٰ أنّ أهل الثروة منهم علىٰ خِلاف ماعليه الصعاليك والعُثر[١٦] .

قال الشاعر :

فما لحمُ الغُراب لنا بزادٍ ولاسَرَطان أنهار البريص[١٧]

فانتفى من أكل لحوم الغربان وعيَّر بها قوماً . وقال آخر لامرأته :

أكلت دماً إن لم أرُعك بضرَّة بعيدة مهْوىٰ القُرط طيِّبة النشرِ

فلو كان شرب المجدوح عنده محموداً لم يجعل يمينه شرب الدم ، كما يقول القائل : شركت بالله إن لم أفعل كذا وكذا .

وقال آخر :

نعافُ وإن كانت خماصــاً بطوننــا	لُباب النّقــي والعُجابَ المجــرّدا

يريد أنه يرغب وإن كان جائعاً عن أكل الخبز بالتمر الىٰ أكله بالشحم .

ونزل رجل من العرب فقدَّم اليه جراداً ، فعافها وأنشأ يقول :

لَحَى الله بيتاً ضمني بعد هجعة	إليه دجوجيُّ من الليل مظلــم

فأبصرتُ شيخاً قاعداً بفنائــه	هــو العــيرُ إلا أنــه يتكــلّم

أتاني بيرقــان الدّبــا[١٨] في إنائــه	ولم يكُ في يَرق الدَّبا لي مَطعــم

فقلتُ له غَيِّب إباءك واعتــزل	فهل ذاق هذا لاأبا لك مُســـلم

وأمـا أكلهم العـلابي[١٩] والعـروق واللحم الني وتـركهم طيب الأطعمة والأطبخة ، وحسن الأدب عند الأكل ، فهـذا لعمري هـو الأغلب عـلىٰ من الأغلب عليه الفقـر ، فـأمـا ذوو النِّعمـة واليسـار والأقدار ، فقد كانوا يعرفون أطـايب الطعـام ويأكلونها ، ويـأخذون بأحسن الأدب عليها .

فالمضيرة لهم ، واسمها يدلك علىٰ ذلك ، تطبخ باللبن الماضر ، وهو الحامض ، فاشتق اسمُها منها .

والهريسة لهم ، سميت بذلك لأنها تهرس ، أي تدق ، ويقال للمدق المهراس .

والوشيقة لهم ، والعامة تُسميها العشيقة ، سميت بذلك لأنها توشق ، أي تقطع صغاراً والعصيدة لهم ، سميت بذلك لأنها تعصد اذا عملت ، أي تلوىٰ ، وكل شيء ألويته فقد عصدته ، ومنـه قيل

للمائل عنقه : عاصد . وقال مزرِّد :

لبكت بصاعي حنطة صاع عجــوة   الى صــاع سمن فوقـه يتريَّــع

وهذا هو العصيدة ، وقال أميـة بن أبي الصلت في عبدالله بن جُدعان :

له داعٍ بمكــة مشمعــل[20]   وآخــر فـوق دارتـه ينــادي

الىٰ ردح[21] من الشــيزي[22] ملاء   لُبـاب البـر يُلبـك بـالشِّهــاد

وهذا هو الفـالوذ . وهم أوصفُ النـاس للطعام وألـطفهم في ذكره .

حدثني أبو حاتم قال : حدَّثني الأصمعي قال : حدَّثنا أبوطفيلة قال : حدَّثنا شيخٌ من أهل البادية قال : ضفنا فلاناً بحنطة كأنها مناقير النغران[23] ، وتمر كأنها أعناق الورلان[24] ، يوحل فيها الضـرس .

وحـدثنا الأصمعي أيضـاً عن اعرابي أنـه قال : تمـرنا خـرس فطس ، يغيب فيه الضرس ، كأنَّ نواهن ألسن الطير ، تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك .

وحدّثني عبدالرحمن عن عمه قال : قال شيخ من أهل المدينة : فأتاني بمرقة كأنَّ فيها مشقاً ، فلم أر إلا كبداً طافية ، فغمست يدي فوجدتُ مضغة ، فمددتها فامتدت حتىٰ كأني أزمرُ في ناي .

ولهم أطبخة كثيرة . ومن أطبختهم الغسَّانية ، وهي لاتعرفها عامَّتنا ، كالحيسة والرَّبيكة والخريزة واللفيتة . تركتُ ذكرها واقتصرت علىٰ ماتعرف .

وكانوا يقولون : أطيب اللحم عـوذة . يريـدون أطيبه مـاوَلِي

العظمَ كأنه عاذبه .

وكانوا يقولون : إذا أكلتم فسمّوا وأدنوا . يريدون « بأدنوا » كلوا مما بين أيديكم وكانوا يكرهون أكل الدماغ ويرون استخراجه رغباً وحرصاً . وقال قائلهم :

* ولايتّقى المخ الذي في الجماجم *

ومن قبائل العرب من يعاف ألية الشاة ويقولون : هي طبق الاست .

وقال قائلهم :

وللموت خيرٌ من زيارة باخل ... يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

وكانوا يمدحون بقلة الأكل . وقال أعشى باهلة :

تكفيه حزّة فلذان ألمَّ بها ... من الشِّواء ويروى شربة الغمر

ويعيبون بالشره والنهم والكسل . ويقولون للبخيل الأكول . أبرماً قروناً . يريدون أنه لايخرج مع أصحابه شيئاً ويأكل ثمرتين . وأصل البرم ، الذي لايسير مع القوم . وقال بعض الرجاز :

لاتسألن عن بعلها أي فتىً ... خبٌّ جبانٌ واذا جاع بكى

لاحطب القومَ والقومَ سَقى ... ولاركاب القوم إن ضلّت بَغى

ويأكل التمرَ ولايُلقي النوى ... ولايُوارى فرجَه اذا اصطَلى

كأنه غرارةُ ملأى حشا

وقال الأحنف : جنّبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فأني أبغض أن يكون الرجل وصّافاً لبطنه وفرجه .

وإنَّ من المروءة أن يترك الرجلُ الطعام وهو يشتهيه . وقال

قائلهم : أقلل طعاماً تحمد مناماً ، وقال أيضاً : غلبت بطنتي فطنتي .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية يوم حكم الحكمان : أكثروا الطعام فوالله مابطن قوم الا فقدوا بعض عقولهم ، ومامضت عزمة رجل بات بطيناً .

ومثل هذا كثير لمن تتبعه ، فكيف تكون المعرفة بالطعام والأدب عليه الا كما وصفنا فأما تركهم انضاج اللحم فلا أعلمه الا في موضع واحد ، وهو إذا سافروا وغزوا فانهم يتمدحون بترك الإنضاج لعجلة الزماع ، وقال الشماخ :

وأشعث قد قدّ السفارُ قميصه ... يجر الشّواءَ بالعصا غير مُنضجِ

وقال الكُميت :

ومرضوفةٍ لم تون في الطبخ طاهياً ... عجلت الى محوِّرها حين غرغرا[٢٥]

ولم يزل الشرب اذا اجتمعوا الأحداث من أولاد الملوك وغيرهم ، يبادرون بالنشيل[٢٦] قبل النضج . قال اعرابي نحر بعيره وشرب :

علِّلاني إنما الدُّنيا علَلْ ... ودعاني من مَلام وعَذَل

وانشلا ماغبر من قدريكما ... واسقياني أبعد الله الجمل

وأما أكلهم سقط المائدة فانه إكرامٌ للطعام ، وإعظام للنعمة ، وجنس من الشكر لواهبها . ونبذه في المزابل استخفافٌ به ، وتصغير له وبخس بمؤتيه حقّ عطيته . ومن وهب لك شيئاً صُنته وعظَّمته ، سمحت لك نفسك بالزيادة منه ؛ وإن احتقرته وازدريته كان حريًّا أن يقطعه . والطعام أعظمُ نعم الله على خلقه بعد معرفته ، لأنه مثبت

الروح ، ومُمسك الرمق ، فمن صانه فقد عظَّم نعمة الله ، واستوجب زيادة الله ، ومن امتهنه في غير ماخُلق لـه فقد صَغَّرها واستوجب سخط الله .

حدَّثنا يزيد بن عمرو قال : حدَّثنا أيوبُ بن سُليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : ولاأعلمه إلا عن النبي (ﷺ) أنه قال : أكرموا الخبز فان الله سخَّر له السموات والأرض . وقد أمرنا (ﷺ) بأكل سقط المائدة ورغبنا فيه .

والعجب عندي من قوم نحلتهم الاسلام ، ونبيهم محمد (ﷺ) ، ثم تتابعت الأخبار عنه بشيء أمر به أو نهىٰ عنه ، فيعارضون ذلك بالعيب وبالطعن ، من غير أن يعرفوا العلة ، ولاأن يكون لهم في الإنكار له نفع ، أو عليهم في الإقرار به ضرر .

وأما أكلهم بالبارحين[٢٧] والسكين فمفسد للطعام ، ناقص للذته ، والناس يعلمون ، الا من عاند منهم وقال بخلاف ماتعرفه نفسه ، أن أطيب المأكول ماباشرته كفُّ آكلة ولذلك خلقت الكف للبطش والتناول . والتقذر من اليد المطهرة ضعف وعجب ، وأولىٰ بالتقذر من اليد الريق والبلغم والنّخاع الذي لايسوغ الطعام الا به ، وكفّ الطبّاخ والخبّاز تُباشره ، والإنسان ربما كان منه أقل تقذّراً أو أشد أنساً .

وأما الشجاعة ، فان العرب في الجاهلية أعز الأمم أنفساً ، وأعزها حريماً ، وأحماها أنوفاً ، وأخشنها جانباً ، وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الىٰ مداراتها وأخذ الرهن منها ،

والعجم تفخر بأساورة فارس ومرازبتها ، وقد كان لعمري لهم البأس والنجدة ، غير أن بين العرب وبينها في ذلك فرقاً ، منه ان العجم كانت أكثر أموالاً ، وأجود سلاحاً ، وأحصن بيتاً ، وأشد اجتماعاً ، وكانت تحارب برياسة ملك ، وسياسة سلطان ، وهذه امور تقوي المنة ، وتشد الأركان ، وتؤيد القلوب ، وتثبت الأقدام . والعرب يومئذ منقطعة ليس لها نظام ، ومتفرّقة ليس لها التئام ، وأكثرها يحارب راجلاً بالسيف الكليل ، والرمح الذليل ، والفارس منها يحارب علىٰ الفرس العربي الذي لاسرج له ، وعلىٰ السرج الرث الذي لاركاب له . والأغلب على قتال العجم الرمي ، والأغلب على قتال العرب السيف والرمح ، وهما أدخل في الجد ، وأبعدُ من الفرار ، وأدلّ على الصبر .

وشجعاؤهم في الجاهلية مثل عتيبة بن الحارث بن شهاب صيّاد الفوارس ، وبسطام بن قيس ، وبجير وعفاف ، ابني أبي مليل ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن ودّ ، وأشباههم .

وفي الاسلام مثل الزبير وعليّ وطلحة ، ورجال من الأنصار ، وعبدالله بن حازم السُّلمي ، وعبّاد بن الحسين .

وقال : ماظننت أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عبّاداً ليلة كابل وقطري بن الفجاءة ، وشبيب الحروري ، وأمثال هؤلاء عدد الرمل والحصى ، ليس منهم أحدٌ اذا أنت توقفت علىٰ أخباره وحاله في شجاعته ، الا وجدته فوق كل أسوارٍ ، والرجليون[٢٨] للعرب خاصة .

قال أبو عبيدة : رجليّو العرب المشهورون ، المنتشر بن وهب الباهلي ، وسليك بن عمير السعدي ، وأوفي بن مطر المازني . وكان

الرجل منهم يلحق بالظبي حتىٰ يأخذ بقرينه واذا كان زمان الربيع جعلوا الماء في بيض نعام مثقوب ثم دفنوه ، فاذا كان الصيف وانقطع الغزو غزواً وهم أهدىٰ من القطا ، فيأتـون علىٰ ذلـك البيض ويستثيرونـه ويشربونه .

وحدثني أبوحاتم قال : حدَّثني الأصمعي : ان السليك كـان يعدو فتقع سهامه من كنانته بالأرض فترتز[٢٩] . وكان يقول في دعائه : اللهم اني اعوذ بك من الخيبة . وأما الهيبة فلا هيبة .

وقرأت في كتب العجم أن بهرام جور كان في حِجْر ملك العرب بالبادية ، فلما بلغه هلاك أبيه وان الفرس عزموا أن يملكوا غيره ، سار بالعرب حتى نزل السواد ، وطالبهم بالملك وجادلهم عنه ، حتى اعترفوا له بالحق وملّكوه .

وقد كان كسرىٰ أغزى بني شيبان جيشاً ، فاقتتلوا بذي قار ، فهزمت بنو شيبان أساورة كسرىٰ ، فهو يوم ذي قار . ثم كان من أمر العـرب وأمر فـارس حـين جمعهم الله لقتـالهم بـالإمـام ، وسـاسهم بالتدبير ، مالاحاجة الىٰ الإطالة بذكره لشهرته .

ومما يدلّك على تعزز القوم في جهليتهم وأنفتهم وشدّة حميّتهم ، أن أبر ويز ، ملك فارس وأشدّها سطوة وإثخاناً في البلاد ، خطب الىٰ النعمان بن المنذر احدى بناته ، فردّه رغبة بها عنه ، ولم يزل هارباً منه حتىٰ ظفر به فقتله .

وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق ، المنصور من الجبابرة بالطير الأبابيل ، لم يـزالوا ولاتـه وسدنتـه ، والقائمـين لأموره ، المعـظمين

لشعاره . وكان يقال لهم : أهل الله ، وجيران الله ، لتزولهم الحرم وجوارهم البيت . وكان فيهم بقايا من الحنفية يتوارثونها عن اسماعيل صلى الله عليه وسلم ؛ منها : حج البيت الحرام وزيارته ، والختان والغسل ، والطلاق والعتق ، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والرضاع والصهر .

وقد كان حاجب بن زُرارة وفد على كسرى فرأى العجم ينكحون الأخوات والبنات ، فسوَّلت له نفسه التأسي بهم ، والدخول في ملّتهم ، فنكح ابنته ، ثم ندم على ذلك فقال :

لحا الله دينك من أغلف   يحلّ الخوات لنا والبنات
أجشّت[30] على أسرتي سوءةً   وطوّقت جيدي بالمخزيات
وأبقيتُ في عُنقي سُبَّة   مشاتم يجين بعد الممات
فتاة تجلّلها شيخها   فبئس الشيخ ونعم الفتاة

ومما كان بقى فيهم من الحنفية إيمانهم بالملكين الكاتبين . حدّثني بعض أصحابنا عن عبدالرحمن بن خالد الناقد قال : كان الحسن بن جهور ، مولى المنصور ، خرَّج الى بعض ولد سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب كتاباً كان لعبدالمطلب بن هاشم كتبه بخطه ، فاذا هو مثل خطّ النساء وإذ هو : باسمك اللهم . ذكر حق عبدالمطلب بن هاشم من أهل مكّة على فلان بن فلان الحميري من أهل زول صنعاء . عليه ألفُ درهم فضّة طيبة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه . شهد الله بذلك والملكان » . وقال الأعشى :

ولاتحسبنّي كافراً لك نعمةً   على شاهدي ياشاهد الله فاشهدِ

قوله : علىٰ شاهدي ، أي علىٰ لساني شاهد الله ، يعني الملك .

ومن ذلك أحكام كانت في الجاهلية أقرها الله في الاسلام ، لايبعد أن تكون من بقايا دين اسماعيل صلى الله عليه وسلم ؛ منها : دية النفس مائة من الإبل ، ومنها اتباع حكم المبال في الخنثى ، ومنها البينونة بطلاق الثلاثة ، وللزوج علىٰ المرأة في الواحدة والاثنتين .

فهذه حالها في الجاهلية ، مع أحوال كثيرة في العلم والمعرفة سنذكرها بتمامها بعد إن شاء الله .

ثم أتىٰ الله بالاسلام فابتعث منها النبي (ﷺ) ، سيد الأنبياء ، وخاتم الرسل ، وناسخ كل شرعة ، وحائز كل فضيلة ، ونشر عددها ، وجمع كلمتها ، وأمدّها بملائكته ، وأيدها بقوته ، ومكّن لها في البلاد ، وأوطأها رقاب الأمم ، وجعل فيها خلافة النبوة ، ثم الإمامة خالدة تالدة ، حتىٰ يأتي المسيح صلىٰ الله عليه وسلم فيصلي خلف الإمام منها فاردة لايستطيع أحد أن يأتي بمثلها ؛ وخاطبها يومئذ لاعجم فيها ، فقال : ﴿ كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس ﴾ ؛ فلها فضل هذا الخطاب ، والأمم طراً داخلة عليها فيه . وأما قوله لبني اسرائيل : ﴿ وفضلكم علىٰ العالمين ﴾ . فانه من باب العام الذي أريد به الخاص ، كقوله حكاية عن ابراهيم : ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ . وحكاية عن موسىٰ : ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ . وقد كانت الأنبياء قبلهما مؤمنين ومسلمين . فانما أراد موسىٰ زمانه . وكذلك قوله : ﴿ وفضلكم علىٰ العالمين ﴾ . يريد عالمي زمانهم . وقوله لقريش : ﴿ أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم ﴾ . ليس فيه دليلٌ علىٰ أن

أهل اليمن خيرٌ من قريش في الحسب ، ولا أنهم مثلهم ، وهم من ولد ابراهيم صلىٰ الله عليه وسلم ، ومن الذريّة التي اصطفىٰ علىٰ العالمين ، وليس لليمن والد من الأنبياء دون نوح . وإنما خاطب الله بها مشركي قريش ووعظهم بمن قبلهم من الأمم الهالكة لمعصيته ، وحذرهم أن ينزل بهم مثل ماأصابهم فقال : ﴿ أهم خير ﴾ من أولئك الذين كانت فيهم التبابعة والملوك ذوو الجنود والعدد ، فأهلكناهم بالذنوب . والخير قد يقع في أسباب كثيرة ، يقال هذا خيرُ الفارسين ، يريد أجلدهما ، وهذا خير العودين ، يريد أصلبهما ، وكانت قريش كما قال الله قليلاً فكثرهم ، ومستضعفين فأيّدهم بنصره ، وخائفين أن نتخطفهم الملوك فآمنهم بحرمه ، بما رهصه[31] لهم ، وأراد من تمكينهم ، وإعلاء كلمتهم ، وإظهار نوره لهم ، وتغيير ممالك الأمم لهم . ومن ذا من المسلمين يصح إسلامه ويصح عقده يقدِّم علىٰ قريش أو يعادل بها ، وقد قضىٰ الله لها بالفضل علىٰ جميع الخليقة ، إذ جعل الأئمة منها ، والإمامة فيها مقصورةً عليها أن لاتكون لغيرها ، والإمامة هي التقدُّم ، وهذا نصٌّ ليس فيه حيلة لمتأوّل .

قال رسول الله (ﷺ) : « الأئمة من قريش » .

وروىٰ وكيع عن الأعمش عن جابر قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الناس تبع لقريش في الخير والشر » .

وروىٰ وكيع عن سفيان عن ابن خثيم عن اسماعيل عن عبدالله عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن قريشاً أهل صبر وأمانة ، فمن بغاهم الغوائل كبّه الله لوجهه يوم القيامة » .

وروىٰ عن عبدالأعلىٰ عن معمر عن الزهري عن سهل بن أبي حثمة أن رسول الله (ﷺ) قال : « تعلموا من قريش ولاتعلموها ، وقدموا قريشاً ولاتؤخروها » .

وروىٰ يزيد بن هارون عن ابن ذئب عن الزهري عن طلحة بن عبدالله بن عوف عن عبدالرحمن عن جبير بن مطعم أن رسول الله (ﷺ) قال : « إن لقرشي قوة رجلين من غير قريش » . قيل للزهري : ماعنىٰ بذلك ؟ قال : فضل الرأي . قال : وكان يقال : قريش الكتبة الحسبة ملح هذه الأمة علم عالمها طباق الأرض .

وحدّثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن أبيه عن ابراهيم عن مكحول أن رسول الله (ﷺ) قال : لايقومنَّ أحد إلا لهاشمي » .

وحدثني يزيد بن عمرو قال : حدّثنا نصر بن خلف الضبِّي قال : حدّثنا عليّ بن عبدالله بن وثاب المدني عن مطرف بن خويلد الهذلي قال : سمع رسول الله (ﷺ) رجلاً وهو يقول :

اني امرؤ حميريٌّ حين تنسبني لامن ربيعةَ آبائي ولامُضَر

فقال : ذاك أضرعُ لخدّك ، وأبعد لك من الله ورسوله .

وحدثنا محمد بن عُبيد قال : حدّثنا أبو زيد شجاع بن الوليد قال : حدّثنا أبوقابوس بن أبي ظبيان عنَ أبيه عن سلمان قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ياسلمان ، لاتُبغضني فتفارق دينك » ، قال : قلت : يارسول الله ، كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : « لاتُبغض العرب فتبغضني » .

وروىٰ محمد بن بشر العبديّ قال : حدّثنا أبو عبدالرحمن عن

حصن بن عمير عن مخارق بن عبدالله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفّان قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودّتي » .

وروىٰ حميد بن عبدالرحمن عن عبدالله بن المؤمّل عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اذا اختلف الناس فالحق في مُضر » .

وروى أبونعيم عن الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن المُطلب بن أبي وداعة والمطلب بن ربيعة أن رسول الله (ﷺ) قال : « ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقة ، وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً » .

ثم يتلو العرب في شرف الطرفين أهل خراسان ، أهل الدعوة وأنصار الدولة ؛ فانهم لم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحاً ، لايؤدون الىٰ أحد اتاوة ولاخراجاً ، وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ ، ثم نزلوا بابل ، ثم نزل أردشير بابك فارس ، فصارت دار مُلكهم ، وصار بخراسان ملوك الهياطلة ، وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس ، وكان غزاهم فكادوه في طريقه بمكيدة حتىٰ سلك سبيلاً معطشة مهلكة ، ثم خرجوا اليه فأسروه وأكثر أصحابه ، فسألهم أن يمنوا عليه وعلىٰ من أسر معه ، وأعطاهم موْثقاً من الله أن لايغزوهم ولايجوز حدودهم ، ونصب حجراً بينه وبين بلدهم جعله الحد الذي حلف عليه ، وأطلقوه . فلما عاد الىٰ مملكته أخذته الأنفة والحمية بما أصابه ، فعاد لغزوهم ناكثاً لايمانه ، غادراً بذمته ،

وحمل الحجر ، الذي كان نصب ، أمامه في مسيره بتأوّل أنه ماتقدّم الحجر فانه لم يجزه ، فلما سار اليهم ناشدوه الله وأذكروه ماجعل على نفسه من عهده وذمته ، فأبى إلا لجاجاً ونكثاً ، فواقعوه فقتلوه وقتلوا حماته وكماته ، واستباحوا عسكره وأسروا ضعفته ، ولبثوا في أيديهم أسرى ثم أعتقوهم وأطلقوهم ، وغبروا بعد ذلك زماناً طويلاً ، وقتلوا كسرى بن فيروز ، وهذا شيء يُخبر به عن فارس فيما دونوا في سير ملوكهم من أخبارهم . ومن أقر بهذا على نفسه لعدوّه ، وأباحه لخصمه . فما ظنّك بما ستر وزيّن من أمره .

وكان فيما حكموا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز ، كلامٌ أحببتُ أن أذكره في هذا الموضع لأدّل به على حكمة القوم وحزمهم في الأمور ، وعلمهم بمكايد الحروب ، قالوا : لما التقى الفريقان ثم تصافّوا للقتال أرسل إخشنوار ملك الهياطلة الى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين الصفين ليكلّمه ، فخرج اليه . فقال اخشنوار : قد ظننت أنه لم يدْعك الى مقامك هذا إلا الأنف ممّا أصابك ، ولعمري لئن كنا احتلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمست منا أعظم منه ، ومابتدأناك ببغي ولاظلم ، ولاأردنا إلا دفعك عن أنفسنا وحريمنا ولقد كُنت جديراً أن تكون من سُوء مكافأتنا عليك وعلى من معك ، ونقض العهد والميثاق الذي أكّدت على نفسك أعظم أنفاً ، وأشدّ امتعاضاً مما نالك منّا ، فانا أطلقناكم وأنتم أسارى ، ومننا عليكم وأنتم مشرفون على الهلكة ، وحقنا دماءكم وبنا على سفكها قدرة ، وإنا لم نجبرك على ماشرطت لنا ، بل كُنت الراغب الينا فيه ، والمُريد لنا

عليه ، ففكّر في ذلك ومثّل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشد عاراً ، وأقبح سماعاً ، ان طلب رجلٌ أمراً فلم يتح له ، وسلك سبيلاً فلم يظفر فيه ببغية ، واستمكن منه عدوه علىٰ حال جهد منه ، وضيقة ممن معه ، فمنَّ عليهم وأطلقهم علىٰ شرط شرطوه ، وأمر اصطلحوا عليه ، فاصطبر لمكروه الفضاء ، واستحيا من الغدر والنّكث . أم أن يقال نقض العهد ، وختر[32] بالميثاق . مع أني قد ظننتُ أنه يزيدك لجاجة ماتثق به من كثرة جنودك ، وماتراه من حسن عدّتهم ، وماأجدني أشكّ في أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم ، عارفون بأنك قد حملتهم علىٰ غير الحق ، ودعوتهم الىٰ مايُسخط الله ، فهم في حربنا غيرُ مستبصرين ، ونيّاتهم اليوم في مناصحتك مدخولة ، فانظر ماغناء من يقاتل علىٰ هذه الحالة ، وماعسىٰ أن تبلغ نكايته في عدوه اذا كان عارفاً انه ان ظفر فمع عار ، وان قتل فالىٰ النار .

فأنا أذكّرك الله الذي جعلته علىٰ نفسك كفيلاً ، ونعمتي عليك وعلىٰ من معك بعد يأسكم من الحياة ، وإشرافكم علىٰ الممات ؛ وأدعو الىٰ مافيه حظّك ورشدك من الوفاء بالعهد ، والاقتداء بآبائك الذين مضوا علىٰ ذلك في كل ماأحبّوا أو كرهوا ، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره . ومع ذلك إنك لست علىٰ ثقة من الظفر بنا ، والبلوغ لبغيتك فينا ، وإنك تلتمس منّا أمراً نلتمس منك مثله ، وتبادىءُ عدوّاً لعله يمنح النصر عليك . فدونك هذه النصيحة . فبالله ماكان أحدٌ من أصحابك يبالغ لك أكثر منها ، ولازائدٍ لك عليها ، ولايحرمنك منفعتها مخرجها مني ، فانه لايُزري بالمنافع عند ذوي الرأي أن تكون من

الأعداء ، كما لا يحبب المضارّ إليهم أن تكون على أيدي الأولياء . ونحن نستظهر بالله الذي اعتذرنا اليه ، ووثقنا بما جعلت لنا من عهده ، إذا استظهرت بكثرة جنودك ، وازدهتك عدة أصحابك . واعلم أنه ليس يدعوني الى ماتسمع من مقالتي ضعفٌ أحسه من نفسي ، ولاقلة من جنود ، ولكني أحببتُ أن أزداد بك حُجة واستظهاراً ، وأزداد به للنصر .

هوامش كتاب العرب

١ ـ وجده الأستاذ جمال الدين القاسمي في خزانة السيد شاكر الحمزاوي في مجموعة كانت موقوفة ونجز وقفها معنوناً عليه بكتاب ذم الحسد تأليف العلامة أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالىٰ بخط مسند الشام في عصره الشيخ ابراهيم الجينيني الحنفي جامع الفتاوى الخيرية ـ من رجال القرن الثاني عشر ـ وقد نسخها رحمه الله علىٰ أصل مخروم الآخر حتى كتب في آخر نسخته مامثاله . هذا آخر ماوجدته الخ .

واسم هذا الكتاب في بعض المصادر « فضل العرب على العجم » وحقيقة اسمه كما في كتاب غريب الحديث لابن قتيبة « فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها » ، وبدار الكتب المصرية نسخة منه غير كاملة برقم ١٨٦٤ (أدب) .

٢ ـ جارية مهففة ومهفهفة : ضامرة البطن دقيقة الخصر .

٣ ـ الضناك ، ككتاب : الثقيلة العجز .

٤ ـ النصف : المرأة بين الحدثة والمسنة ، التي بلغت خمساً وأربعين أو خمسين سنة ونحوها .

٥ ـ كذا في الأصل « إصغاراً » ولعلها « أطماراً » .

٦ ـ يقال له : الكذاب الحرمازي ، واسمه عبدالله بن الأعور ، وقيل له الكذاب لكذبه (من طبقات الشعراء للمؤلف) .

٧ ـ الكرباس : ثوب من القطن الأبيض .

٨ ـ اليلنجوج : عود .

٩ ـ الحش ، مثلثة : المخرج ـ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين ، والجمع : حشوش .

١٠ ـ الدفر : النتن .

١١ ـ جوع يرقوع : إذا كان شديداً .

١٢ ـ يتربع : يزيد .

١٣ ـ المصبور : الذي صبره صاحبه .

١٤ ـ الزمان الألزن : الشديد الكلب .

١٥ - البحيرة : الناقة نتجت كثيراً فتركوها ترعىٰ وحرموا لحمها اذا ماتت على نسائهم .

١٦ - الغثر : سفلة الناس .

١٧ - البريص (بالصاد المهملة) : اسم نهر دمشق . والبيت لوعلة الجرمى .

١٨ - الدبا : الجراد . واليرقان : جمع اليرقانة ، الجرادة المتلونة .

١٩ - العلابي : جمع علباء البعير .

٢٠ - اشمعل القوم في الطلب اشمعلالا ، اذا بادروا فيه وتفرقوا .

٢١ - ردح : جمع رداح كسحاب : الجفنة العظيمة .

٢٢ - الشيز والشيزي : خشب أسود تتخذ منه القصاع .

٢٣ - النغر (كصرد) : البلبل ، وفراخ العصافير ، وضرب من الحمر ذكورها ؛ والجمع نغران ، وبتصغيرها جاء الحديث : يا أبا غمير ، مافعل النغير ؟

٢٤ - الورلان : جمع الورل ، محركة : دابة كالضب أو العظيم من أشكال الورع ، لحمه حار جداً .

٢٥ - لم تؤن : لم تحبس ولم تبطىء . ومحورها : يريد بياض زبد القدر ، والاحورار : الابيضاض وغرغر اللحم علىٰ النار : إذا صليته فسمعت له نشيشاً .

٢٦ - نشل اللحم وانتشله : أخرجه من القدر بيده بلا معرفة ، فهو نشيل ومنتشل .

٢٧ - كذا .

٢٨ - الرجليون (محركة) قوم يعدون علىٰ أرجلهم .

٢٩ - ترتز : تغرز .

٣٠ - أجشت الأرض : التف نبتها وحشيشها .

٣١ - رهص الله فلاناً : جعله معدناً للخير .

٣٢ - ختر : غدر .

فهارس الكتاب

جريدة المظان

فهرس الموضوعات

جريدة مظان الدراسة

١ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية .

أبو الريحان ، البيروني محمد بن أحمد، مكتبة المثنىٰ .

٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات

ابن حموش / مكي بن أبي طالب ، القاهرة ١٩٦٠م . تحقيق / د . عبدالفتاح شلبي .

٣ ـ الابريز من كلام سيدي عبدالعزيز / الدباغ

تأليف / أحمد بن المبارك ، بيروت ، المكتبة الشعبية .

٤ ـ ابن درستويه (حياته وآثاره)

عبدالله الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٥م .

٥ ـ ابن عبدربه وعقده .

د/ جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٣٣م .

٦ ـ ابن قتيبة ،

د . / محمد زغلول سلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥م .

٧ ـ ابن قتيبة ، العالم ، الناقد ، الأديب .

د . / عبدالحميد سند الجندي ، القاهرة ١٩٦٣م ، (أعلام العرب / ٢٢) .

٨ ـ ابن قتيبة .

د . / اسحق موسىٰ الحسيني ، (النص الانكليزي) لندن ١٩٥٠م ، والترجمة العربية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م . / ترجمة د . / هاشم ياغي .

٩ ـ أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة .

د . / أحمد مكي الأنصاري ، القاهرة ١٩٦٤م .

١٠ ـ أبو الطيب اللغوي .

د . / عادل أحمد زيدان ، بغداد ١٩٧٣م .

١١ ـ الإحكام في أصول الأحكام .

ابن حزم ، علي بن أحمد ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .

١٢ ـ أخبار النحويين البصريين .

السيرافي، الحسن بن عبدالله ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ . تحقيق/ د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، وطه الزيني .

١٣ ـ أدب الكاتب .

ابن قتيبة ـ طبعة / القاهرة ، وبيروت (دار صادر) .

١٤ ـ أدب الكتاب .

أبو بكر الصولي ، تحقيق/ محمد بهجة الأثري ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

١٥ - الأشربة .

ابن قتيبة ، دمشق ، تحقيق / محمد كرد علي ، ١٣٦٦ هـ .

١٦ - اصلاح المنطق .

ابن السكيت ، يعقوب بن اسحق ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م .

١٧ - الأضـداد .

ابن الأنباري ، محمد بن القاسم ، تحقيق / محمد أبي الفضـل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠م .

١٨ - الأعلام (١ - ٨) .

الزركلي ، خير الدين ، بيروت ، دار العلم للملايين .

١٩ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .

السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، ترجمة / د. صـالح أحمـد العلي ، بغداد ، ١٣٨٢ هـ .

٢٠ - الأغاني .

أبو الفرج الأصفهاني ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٤م .

٢١ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب .

ابن السيد البطليوسي ، بيروت ، دار الجيل ١٩٧٣م .

٢٢ - أمالي القالي .

أبو علي القالي البغدادي ، اسماعيل بن القاسم ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤ هـ .

٢٣ - أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) .

الشـريف المرتضىٰ / عـلي بن الحسين ، القـاهـرة ١٩٦٧م .
تحقيق / محمد أبوالفضل ابراهيم .
٢٤ ـ الأمثال العربية القديمة / زلهايم ، ترجمة : رمضان عبدالتواب ، بيروت ، ١٣٩١ هـ .
٢٥ ـ أمراء البيان .
محمد كرد علي ، القاهرة .
٢٦ ـ انباه الرواة علىٰ أنباء النحاة (١-٤) .
القفـطي ، عـلي بن يـوسف ، تحقيق / محمـد أبي الفضـل ابراهيم ، القاهرة ، دار الكتب ١٣٦٩ ـ ١٣٩٣ هـ .
٢٧ ـ الأنساب ،
السمعاني ، عبدالكريم .
طبعة / ليدن ، ١٩١٢ .
وطبعة بيروت ودمشق (نشرة محمد أمين دمج) .
٢٨ ـ الأنــواء
ابن قتيبة ، تحقيق / شارل بلا ، ومحمد حميدالله ، حيدر آباد ، ١٣٧٥ هـ .
٢٩ ـ الانتصار لصحة نقل القرآن .
البـاقـلاني (مخـطوط / القـاهـرة ـ معهـد المخـطوطـات ٢٨٤ تفسير) .
٣٠ ـ الباقلاني وآراؤه الكلامية .
د. / محمد رمضان عبدالله ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٣١ ـ البحر المحيط (١ ـ ٨) .
أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
٣٢ ـ البداية والنهاية (١ ـ ١٥) .
ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
٣٣ ـ البرهان في علوم القرآن (١ ـ ٤) .
بدر الدين الزركشي ، محمد بن عبدالله ، تحقيق / محمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٣٧٧هـ .
٣٤ ـ بغية الوعاة في طبقات النحاة (١ ـ ٢) .
السيوطي ، جلال الدين ، تحقيق / محمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤م .
٣٥ ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة .
مجد الدين الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب ، دمشق تحقيق / محمد المصري ، ١٩٧٢م .
٣٦ ـ بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب (١ ـ ٣) .
الألوسي ، محمود شكري بن عبدالله ، تحقيق / محمد بهجة الأثري ، القاهرة ، (د ـ ت) .
٣٧ ـ البيان والتبينّ (التبين) .
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق / محمد عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .
٣٨ ـ تأويل مشكل القرآن .
ابن قتيبة ، تحقيق / السيد أحمد صقر ، القاهرة

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (ط / ٢) .

٣٩ - تأويل مختلف الحديث .

ابن قتيبة ، تحقيق / محمد زهري النجار ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٤٠ - تاج العروس من جواهر القاموس .

الزَّبيدي ، محمد ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ، وطبعة الكويت صدر منها (١ - ٢١) ولم يكمل بعد .

٤١ - تاريخ الأدب العربي (١ - ٦) .

كارل بروكلمان ، ترجمة / عبدالحليم النجار ورمضان عبدالتواب ، دار المعارف ، ١٩٥٩ م ٠ ١٩م .

٤٢ - تاريخ الأدب الفارسي ،

رضا شفق ، ترجمة/ محمد هنداوي ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

٤٣ - تاريخ بغداد (١ - ١٤) .

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، القاهرة ١٩٣١م .

٤٤ - تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، (١ - ١٠) .

محمد بن جرير الطبري ، تحقيق / محمد أبي‌الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٩م .

٤٥ - تاريخ التراث العربي . (١ - ١٠) .

محمد فؤاد سزگين ، ترجمة / محمود فهمي حجازي ، الرياض (جامعة الامام محمد بن سعود) ١٤٠٢ هـ .

٤٦ - البصير في الدين .

الاسفرايني ، شاهفور بن طاهر ، القاهرة ١٣٥٩ هـ تحقيق /

محمد زاهد الكوثري .

٤٧ ـ تذكرة الحفاظ (١ ـ ٤) .

الذهبي ، شمس الدين ، حيدر آباد ١٣٢٣ هـ .

٤٨ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١ ـ ٤) .

القاضي عياض ، تحقيق / أحمد بكير محمود ، دار الحياة ـ بيروت .

٤٩ ـ التعريفات .

الجرجاني ، القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٥٠ ـ تفسير سورة الاخلاص .

ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ، وطبعات أخرى .

٥١ ـ تفسير القرطبي . (الجامع لأحكام القرآن) . (١ ـ ٣٠) .

القرطبي محمد بن أحمد ، القاهرة ، دار الكتب ١٩٣٥ ـ ١٩٥٠م .

٥٢ ـ تفسير الطبري .

محمد بن جرير / الطبري ، تحقيق / أحمد محمد شاكر .

القاهرة ، صدر منها (١٤) مجلداً . وطبعة / القاهرة (١ ـ ٣٠) ١٣٢٣ هـ .

٥٣ ـ تفسير غريب القرآن .

ابن قتيبة ، تحقيق / السيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٥٤ ـ تدريب النشر في القراءات العشر

ابن الجزري ، محمد بن محمد ، القاهرة ١٣٨١ هـ ، تحقيق

ابراهيم عطوة .
٥٥ ـ تهذيب الكمال ، لجمال الدين المزي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ١٤٠٢ ـ ١٤٠٦ هـ (١ ـ ٧) .
٥٦ ـ تهذيب الأسماء واللغات (١ ـ ٣) .
النووي ، محيي الدين بن شرف ، القاهرة ، ١٩٢٧م .
٥٧ ـ تهذيب اللغة (١ ـ ١٦) .
الأزهري ، محمد بن أحمد ، القاهرة . تحقيق / جماعة ١٣٨٤ هـ .
٥٨ ـ الجذور التاريخية للشعوبية .
الدوري ، عبدالعزيز ، بيروت .
٥٩ ـ جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي .
خالد العسلي ، بغداد ١٩٦٥م .
٦٠ ـ الحجة في القراءات السبع .
ابن خالويه / الحسين بن أحمد ، بيروت ١٩٧١م .
تحقيق / عبدالعالم سالم مكرم .
٦١ ـ الحيوان (١ ـ ٧) .
الجاحظ ، القاهرة ، تحقيق / محمد عبدالسلام هارون ١٩٣٨ م .
٦٢ ـ الدرس النحوي في بغداد .
مهدي المخزومي ، بغداد ، ١٩٧٥م ، وزارة الاعلام .
٦٣ ـ الديباج المُذْهب في علماء المَذْهب .

ابن فرحون المالكي ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ ، وطبعة ١٩٧٥م (١ - ٢) .

٦٤ - ديوان لبيد بن ربيعة .

تحقيق : احسان عباس ، الكويت ١٩٦٢م .

٦٥ - الذيل والتكملة .

ابن بشكوال ، تحقيق / احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٥ م .

٦٦ - الرد علىٰ الزنادقة .

أحمد بن حنبل ، حما ، ١٩٦٣م ، وطبعة / القاهرة .

٦٧ - رفع الأصر عن قضاة مصر (١ - ٢) .

ابن حجر العسقلاني ، تحقيق / حامد عبدالقادر ، ومحمد المهدي / القاهرة ، ١٩٥٧م .

٦٨ - الزاهر - (١ - ٢) .

أبو بكر ابن الأنباري ، تحقيق / حاتم الضامن . بغداد ، ١٩٧٩م .

٦٩ - السبعة في القراءات .

ابن مجاهد ، تحقيق / شوقي ضيف ، القاهرة .

٧٠ - سير أعلام النبلاء (١ - ٢١) .

الذهبي ، بيروت ، تحقيق / جماعة ، نشر / مؤسسة الرسالة .

٧١ - شرح أدب الكاتب .

الجواليقي ، موهوب بن أحمد ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٧٢ ـ شذرات الذهب (١ ـ ٨) .
ابن العماد الحنبلي ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ .
٧٣ ـ الشعر والشعراء .
ابن قتيبة ـ طبعة / القاهرة ، (١ ـ ٢) تحقيق أحمد محمد شاكر ، وطبعة / بيروت ، تحقيق احسان عباس ، ومحمد يوسف نجم ، ١٩٦٤م .
٧٤ ـ شعراء العراق المعاصرون ج١ ، غازي عبدالحميد ، بغداد ١٩٥٧م .
٧٥ ـ الشعوبية ،
عبدالله سلوم السامرائي ، بغداد .
٧٦ ـ الصاحبي في فقه اللغة .
ابن فارس ، طبعة / بيروت ١٣٨٢ هـ .
تحقيق / مصطفىٰ الشويحي ، وطبعة القاهرة / ١٣٢٨ هـ .
٧٧ ـ الصواعق المرسلة .
ابن قيم الجوزية ، القاهرة .
٧٨ ـ الصراع بين الموالي والعرب .
محمد بديع شريف ، القاهرة ، ١٩٥٤م .
٧٩ ـ الصراع بين القديم والجديد ،
محمد حسين الأعرجي ، بغداد ١٩٧٨م .
٨٠ ـ طبقات الشافعية (١ ـ ٢) .
جمال الدين الأسنوي ، تحقيق / عبدالله الجبوري ،

بغداد ١٩٧١م .
٨١ ـ طبقات الشافعية (١ ـ ١٠) .
السبكي ، القاهرة ، تحقيق / الحلو والطناحي ، ١٩٦٦ ـ ١٩٧٦م .
٨٢ ـ طبقات القراء / غاية النهاية (١ ـ ٣) .
ابن الجزري ، محمد بن محمد ، تحقيق / برجسترسر ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
٨٣ ـ طبقات النحاة واللغويين
ابن قاضي شهبة ، صدر الجزء الأول منه فقط ، بتحقيق / محسن غياض ، النجف ١٩٧٤م ، (ورجعت الى الأصل المخطوط الكامل) .
٨٤ ـ طبقات النحاة واللغويين .
الزبيدي ، أبوبكر ، تحقيق / محمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤م .
٨٥ ـ العبر في خبر من غبر (١ ـ ٥) .
الذهبي ، تحقيق / فؤاد سيّد ، وصلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م .
٨٦ ـ العربية .
يوهان فك ، ترجمة / عبدالحليم النجار ، القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٠م .
٨٧ ـ عقائد السلف .
مجموعة كتب / لابن قتيبة ، وابن حنبل ، والبخاري ،

والدارمي ، الاسكندرية . تحقيق / علي سامي النشار وعلي جمعي الطالبي . ١٩٧١م .

٨٨ ـ العقد الفريد (١ ـ ٧) .
ابن عبد ربه / أحمد بن محمد ، القاهرة ، تحقيق / أحمد أمين وجماعة . ١٩٦٢م .

٨٩ ـ عيون الأخبار (١ ـ ٤) .
ابن قتيبة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٨م .

٩٠ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء .
ابن أبي أصيبعة ، بيروت ، نشره / نزار الزين .

٩١ ـ غريب الحديث (١ ـ ٤) .
أبو عبيد / القاسم بن سلّام ، حيدرآباد ، ١٣٨٧ هـ ، تحقيق / محمد عبدالمعيد خان .

٩٢ ـ غريب الحديث (١ ـ ٣) .
ابن قتيبة ، بغداد ، تحقيق / عبدالله الجبوري ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م .

٩٣ ـ الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية .
مع (تحقيق الجزء الثالث من / كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي) .
عبدالله سلوم السامرائي ، بغداد ١٩٧٢م .

٩٤ ـ الفائق في غريب الحديث (١ ـ ٤) .
الزمخشري ، محمود بن عمر / جارالله ، تحقيق / البجاوي

وحمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧١م .

٩٥ ـ الفرق بين الفرق .

البغدادي طاهر ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .

٩٦ ـ فهارس البدء والتاريخ (١ ـ ٦) .

عبدالله الجبوري ، بغداد ١٩٦٦م .

٩٧ ـ الفهرست .

ابن النديم / محمد بن اسحاق ، ١٩٧٠م ، تحقيق / رضا تجدد .

٩٨ ـ فهرسة ابن خير الأشبيلي .

تحقيق / خليل زيارة وآخر ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

٩٩ ـ فهرست الطوسي .

محمد بن الحسن ، تحقيق / السيد محمد صادق بحر العلوم ، النجف ١٩٦٢م .

١٠٠ ـ القرطين (مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن) .

لابن قتيبة ، جمعهما : ابن مطرف الكناني ، محمد بن أحمد ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

١٠١ ـ القراءات القرآنية ، تاريخ وتعريف .

عبدالهادي الفضلي ، بيروت ، دار القلم ١٩٨٠م .

١٠٢ ـ الكامل في التاريخ (١ ـ ١٢) .

ابن الأثير علي بن محمد ، بيروت ١٣٨٥ هـ .

١٠٣ ـ الكتاب .

سيبويه ، عمرو بن عثمان .

١ ـ طبعة بولاق ، القاهرة ١٣١٦ هـ (١ ـ ٢) .
٢ ـ طبعة القاهرة ، تحقيق / محمد عبدالسلام هارون ، (١ ـ ٥) ١٩٦٦م .

١٠٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١ ـ ٢) .
حاجي خليفة / مصطفىٰ بن عبدالله ، أنقرا / ١٩٤٦م .

١٠٥ ـ اللباب في تهذيب الأنساب (١ ـ ٣) .
ابن الأثير ، علي بن محمد ، القاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧م .

١٠٦ ـ لحن العوام .
الزبيدي ، محمد بن الحسن ، تحقيق / رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٦٤م .

١٠٧ ـ لحن العامة والتطور اللغوي / رمضان عبدالتواب ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٠٨ ـ لسان العرب ،
ابن منظور ، محمد بن مكرم ، طبعة القاهرة ، وبيروت .

١٠٩ ـ لسان الميزان (١ ـ ٦) .
ابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد ، ١٣٢٩ هـ .

١١٠ ـ لطائف الإشارات (١ ـ ٢) .
ابن حجر العسقلاني ، القاهرة . تحقيق / عامر السيد عثمان ، وعبدالصبور شاهين ، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م .

١١١ ـ مجاز القرآن (١ ـ ٢) .
أبـو عبيدة / معمـر بن المثنىٰ ، تحقيق / محمد فؤاد سـزكين ،

القاهرة ١٩٥٤ م - ١٩٦٢م .
١١٢ - مختصر في شواذ القراءات (من كتاب البديع) ابن خالويه ،
تحقيق / برجسترسر ، القاهرة ، ١٩٣٤م .
١١٣ - المدارس النحوية ، د / خديجة الحديثي - بغداد ١٩٨٦م .
١١٤ - المدارس النحوية .
شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
١١٥ - مرآة الجنان (١ - ٤) .
اليافعي ، عبدالله بن أسعد ، حيدر آباد ١٣٣٨ هـ ، وصدر
الجزء الأول منه بتحقيق / عبدالله الجبوري بيروت ،
١٤٠٦ هـ .
١١٦ - مراتب النحويين .
أبو الطيب اللغوي ، تحقيق / محمد أبي الفضل ابراهيم ،
القاهرة ، ١٩٥٣م .
١١٧ - مروج الذهب (١ - ٤) .
المسعودي .
١ - طبعة القاهرة ، ١٩٤٨م / تحقيق محمد محيي الدين
عبدالحميد .
٢ - طبعة باريس ، (١ - ٦) تحقيق / شارل بلا .
١١٨ - المزهر في علوم اللغة (١ - ٢) .
السيوطي ، تحقيق / البجاوي وآخرين ، القاهرة (د . ت) .
١١٩ - المسك الأزفر .
الألوسي ، محمود شكري ، بيروت ، تحقيق عبدالله الجبوري ،

١٤٠٢ هـ ، دار العلوم (في الرياض) .
١٢٠ ـ مشاهير الكرد وكردستان .
محمد أمين زكي ، (١ ـ ٢) ، بغداد ١٩٤٨م .
١٢١ ـ المصطلح النحوي ،
عوض محمد القوزي ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .
١٢٢ ـ المحتسب (١ ـ ٢) .
ابن جني ، تحقيق / النجدي وزميله ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
١٢٣ ـ معرفة القراء الكبار .
الذهبي ، القاهرة ، تحقيق / محمد سيد جاد ، ١٩٦٩م .
١٢٤ ـ المعـارف .
ابن قتيبة ، تحقيق / ثروت عكاشة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
١٢٥ ـ معاني القرآن (١ ـ ٣) .
الفرّاء ، يحيىٰ بن زياد ، القاهرة ، تحقيق / أحمد نجاتي وآخرين ، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٢م .
١٢٦ ـ المعاني الكبيرة (١ ـ ٣) .
ابن قتيبة ، تحقيق / كرنكو ، حيدر آباد ، (طبعة بيروت بالأوفست) .
١٢٧ ـ معجم الأدباء (١ ـ ٧) .
ياقوت الحموي ، القاهرة ١٩٢٣ م ـ تحقيق / مرجليوث .
١٢٨ ـ معجم البلدان (١ ـ ١٠) .

ياقوت الحموي ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
١٢٩ ـ معجم القراءات القرآنية (١ ـ ٦) .
عبدالعال سالم مكرم و / أحمد مختار عمر ، الكويت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .
١٣٠ ـ المعجم العربي (١ ـ ٢) .
حسين نصار ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
١٣١ ـ معجم المطبوعات العربية .
يوسف إليان سركيس ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
١٣٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
محمد فؤاد عبدالباقي ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .
١٣٣ ـ مفهوم الشعر .
جابر عصفور ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
١٣٤ ـ مقدمة ابن خلدون ،
القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٤م .
١٣٥ ـ المنتظم (١ ـ ٥) .
ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، حيدر آباد ، ١٣٥٧ هـ .
١٣٦ ـ المؤتلف والمختلف .
الأمدي ، الحسن بن بشر ، القاهرة ، تحقيق / عبدالستار أحمد فراج ، ١٩٦١م .
١٣٧ ـ مؤلفات ابن الجوزي .
عبدالحميد العلوجي ، بغداد ١٩٦٥م .
١٣٨ ـ مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه . نعمة رحيم

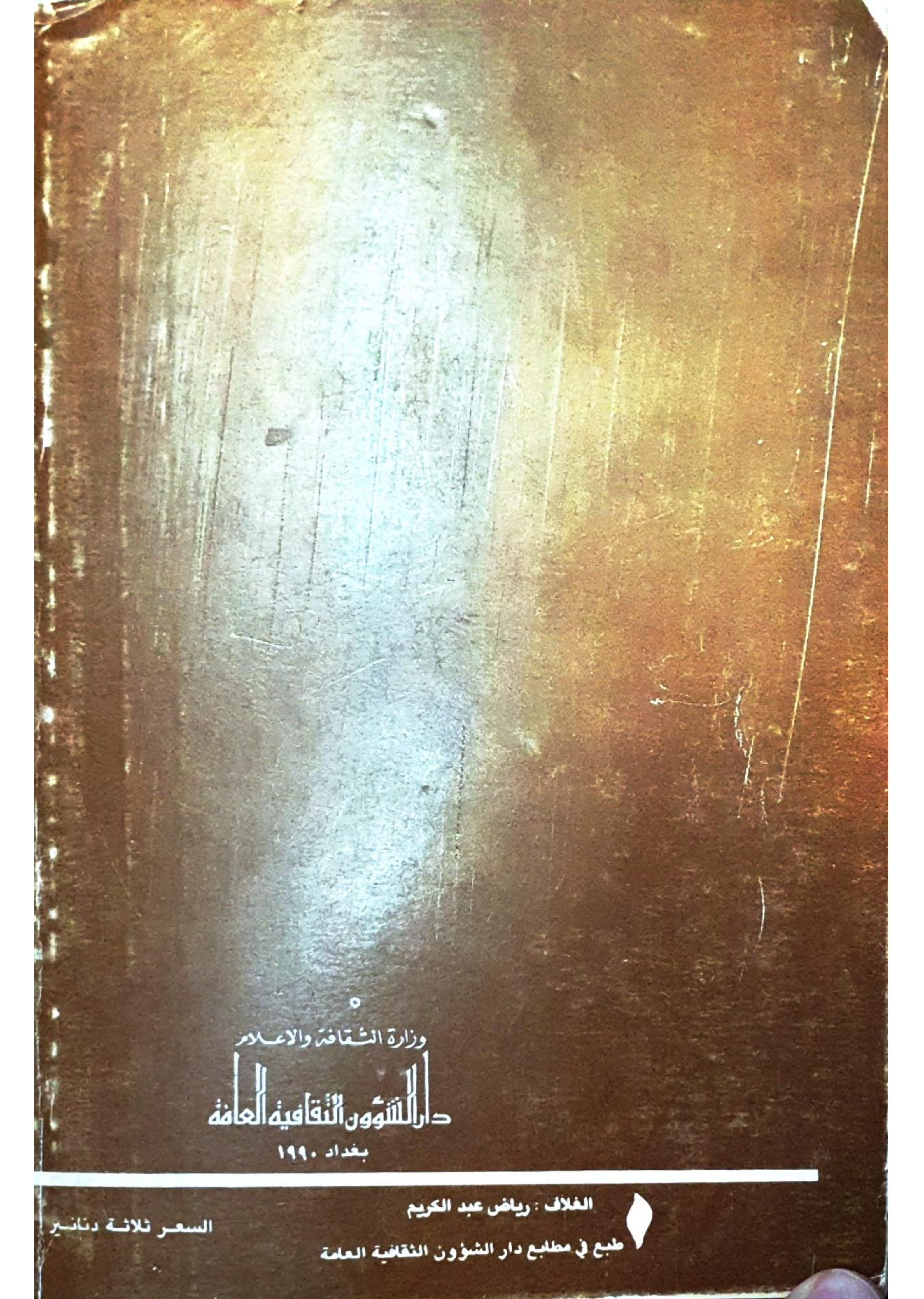
العزاوي ، بغداد ، نقابة المعلمين ، ١٩٧٥م .
١٣٩ ـ ميزان الاعتدال (١ ـ ٤) .
الذهبي ، شمس الدين ، تحقيق / علي البجاوي ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
١٤٠ ـ الميسر والقداح .
ابن قتيبة ، تحقيق / محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٨٥ هـ .
١٤١ ـ النجوم الزاهرة (١ ـ ١٥) .
ابن تغري بردى ، القاهرة ١٩٢٤ ـ ١٩٥٦م .
١٤٢ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء .
ابن الأنباري ، عبدالرحمن بن محمد ، بيروت ، تحقيق ابراهيم السامرائي ، ١٩٧٠م .
١٤٣ ـ نوادر المخطوطات (١ ـ ٨) .
مجموعة رسائل في التراث العربي ، حققها : محمد عبدالسلام هارون ، القاهرة .
١٤٤ ـ الوافي بالوفيات (١ ـ ٢٠) .
الصلاح الصفدي ، خليل بن أيبك ، تحقيق / جماعة ، استانبول وبيروت .
١٤٥ ـ وفيات الأعيان (١ ـ ٨) .
ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، تحقيق / احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٠م .

١٤٦ ـ الولاة والقضاة .
الكندي ، بيروت ، ١٩٠٨م (طبعة الأوفست) .
١٤٧ ـ هداية العارفين (١ ـ ٢) .
اسماعيل البغدادي ، استانبول ١٩٥١م .
١٤٨ ـ همع الهوامع (١ ـ ٢) .
السيوطي ، القاهرة ، ١٣٢٧ هـ . مطبعة السعادة .

الفهرست

الفصل الثاني

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة


وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٩٠
الغلاف : رياض عبد الكريم
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة
السعر ثلاثة دنانير